الوعي الإسلامي

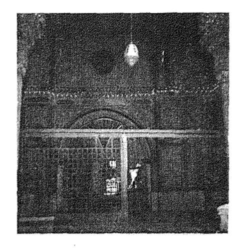
إسلامية ثقافية شهرية

السنة التاسعة – العدد ١٠٠ – غرة ربيع الآخر ١٣٩٢ هـ – ٢ مايو ١٩٧٢ م





وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ



مسجد العمرى
ببيروت

منظر رائع لواجهة المسجد العمرى ببيروت وهو آية من آيات الفن والابداع العربى فى الزخرفة والجمال

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI
Kuwait P.O.B. 13

السنة التاسعة

العدد (١٠٠)

غرة ربيع الآخر ١٣٩٣ هـ

٣ مايو (أيار) ١٩٧٣ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

اما الافراد فيشتركون راسا مع متعهد التوزيع كل فى قطر

الثمن :

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنوان المراسلات :

مجلة الوعى الاسلامى ـ وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد : ١٣ ـ كويت ـ هاتف : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٢٢٠٨٨

ذكرى المولد النبوى الشريف

كلمة
وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية

احتفلت وزارة الأوقـــاف والشئون الاسلامية بذكرى مولد أفضل مولود ، وأعظم مخلوق وموجود ، سيدنا محمد بن عبد الله صلـوات الله وسلامـه عليه ، وقد وفدت ذكـرى المولد النبوى الشريف هذا العام على المسلمين وقـد نزلت بساحتهم أحداث هى أكبر من أن توصف ، وأقربها نزولا ما حدث فجر الثلاثاء الذى يسبق ذكرى المولد من اقتحام العـدو الاسرائيلى لبيوت قادة المقاومة الفلسطينية فى بيروت ، العاصمة العربية اللبنانية ، وقتلهم وانتهـاك حرماتهـم ، ثم عـودته سـالما محروسـا بغفلتنـا ، محميا بعجـزنا .. وكان لهذا التحدى الصارخ من الصهيونية صداه البعيد فى المحيط العربى ، والمجتمع الاسلامى والمجال الدولى ، وقد انعكست آثار هذا التحدى فى الاحتفالات التى أقيمت بمناسبة المولد الشريف فتتابع الخطباء يعبئون القوى ، ويوقدون جذوة الايمان فى القلوب ، ويستنهضون العزائم للذود عن العقيدة والأوطان .

وفى حفل الوزارة الذى أقيم بمسجد السوق الكبير ونقلت وقائعه الاذاعة والتلفزيون ارتجل سعادة الأستاذ راشد عبد الله الفرحان وزير الأوقاف والشئون الاسلامية الكلمة التالية :



يحتفل العالم الإسلامى اليوم بذكرى مولد محمد بن عبد الله صلى اللـــه تعالى عليه وسلم .

يحتفل العالم اليوم بذكرى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم الذى قاد الأمة الإسلامية ، وقاد الأمة العربية من نصر الى نصر . نحتفل بالمعلم الأول . ونحتفل بالقائد الأول الذى علمنا كيف يكون الجهاد ، وعلمنا كيف يكون النضال ، وعلمنا كيف يكون الاستشهاد فى سبيل الله ، لقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى هذه الأمة روح العزة والكرامة ، وعلمها كيف تكون أمة وكيف تكون معلمة للشعوب والأمم ، ونحن نحتفل اليوم بهذه الذكرى لنأخذمنهـا عظـــة وعبـــرة ..

ايهـــا الســـادة :

ونحن نحتفل بهذه الذكرى تطلع علينا الأحداث المؤسفة ، ويستيقظ العالم اليوم على أحداث مؤلمـــة فى عالمنا العربى والإسلامى ، فقد استيقظ العـــالم على جريمة نكراء ارتكبها الاستعمار ، وارتكبتها الصهيونية ــ استيقظ العالم على اعتداء آثم على الشعب الفلسطينى المظلوم ، الذى شرد من دياره ومن وطنه ، استيقظ العالم على المؤامرة الكبرى التى دبرت ضد هذا الشعب ، والتى استهدفت القادة والزعماء للمقاومة وللفدائيين ، استيقظ العالم على هذا الذى يتنكر فى صورة الحمل الوديع ويرتكب أكبر جريمة .. استيقظ العالم على هذا الشعب اليهودى ، الشعب الصهيونى ، الذى يخـــدع العالم فيناشده السلام والأمـــن

والاطمئنان .. استيقظ العالم على هذا الشعب فوجده يرتكب اجرائم فى المدن الآمنة ، يقتل الأطفال والنساء والرجال ، لا يرحم النساء ، ولا يعطف على الأطفال ، إنه حيوان مفترس .

ايها السادة :

إن هذه الجريمة لا تستهدف زعماء المقاومة ، ولا تستهدف لفلسطينيين وحدهم ، وإنما تستهدف الأمة العربية والإسلامية ، لأنها مؤامرة لها ابعادها المعنوية قبل أبعادها العسكرية .. إنها مؤامرة تريد أن تفت فى عضد هذه الدعوة ، وفى هذه القوة ، وفى هذه العزيمة .. إنها الحرب النفسية التى ترتكز عليها الصهيونية ضد هذه الأمة العربية ، وتريد أن تشتت شملها ، وان تضعف قواها ، وأن تفرق كلمتها وشملها .. تريد أن تهزها ، وتريد أن تفرض عليها الاستسلام والرضوخ للأمر الواقع .. إن الحرب النفسية اقسى على الشعوب من الحرب العسكرية ..

ايها الإخوة :

على المؤمنين وعلى الثابتين ان يثبتوا فى مواقعهم ، وان يتنبهوا الى هذه المؤامرات ، وان يعرفوا أن عدوهم يتخذ من الأساليب ، ويتخذ من الخطط ما هو ادهى وأمر من ذلك ، لأنه يريد أن يمحو كل عربى ، وها هو يقوم بمعاونة الكفر والاستعمار بتقتيل ابنائنا وتشريد عائلاتنا .. وها هو ينفث سمومه فى كل يوم ، ويعتقل من ابنائنا كل يوم ، فعلينا أن نتنبه ، وعلينا أن نثبت فى مواقعنا ، وان نجابه هذه الحرب بكل عزيمة ، وكل ثبات ، وكل قوة ، ولنا فى تاريخنا العربى والإسلامى المجيد ما يقوى من عزيمتنا وما يثبت من أقدامنا .. إن لنا فى رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم وفى سيرته وفى جهاده وفى نضاله أسوة حسنة ، فقد عانى من الكفار ما عانى ، ولقد قاد معاركه وخاضها وناله من الأذى ما نال ، وقد أرسل جيشه الى الشام ليقاتل الروم ، وعندما وصل الجيش الى « معان » علم أن جيش الروم يبلغ مائة الف ، وعدد جيش المسلمين ثلاثة آلاف رجل ، فتردد بعض القوم ولكن الإيمان ثبت ، ولكن العزيمة وقفت ، وقالوا : ما جئنا إليه هو الذى نكرهه ، وإن لنا فى هذا الموقف إحدى الحسنيين فإما النصر وإما الشهادة ، فتقابل الجيشان فى مكان يقال له مؤته ، فى أرض الشام ، وتقدم القادة الذين امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يتأخروا الى المؤخرة وانما تقدموا الصفوف ، فتقدم زيد بن حارثة وهو يحمل راية المسلمين فجاهد وناضل حتى قتل ، فتقدم جعفر بن أبى طالب فجاهد وقاتل حتى قطعت يده اليمنى ، فحمل الراية بيده اليسرى ، وناضل حتى قطعت يده اليسرى ، فأخذ الراية بعضديه

فقاتل وناضل حتى قتل ، ولما حملوه وجدوا فى جسده أكثر من تسعين طعنة ، فجاء بعده عبد الله بن رواحة فاستلم الراية وقاتل وناضل حتى قتل ، ثم جاء بعد ذلك خالد بن الوليد ونظم الجيش ورتب الصفوف وظن الأعداء أن هناك مددا جاء الى هذا الجيش ، فتقابل الجيشان فانحـــاز الكفار الى مكان وانحاز المسلمون الى مكان آخر ، فكان النصر للمسلمين ، « **كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله** » فرجع جيش المسلمين وقد بعث الله فى قلوبهم الإيمان ، وقوى عزيمتهم بالثبات على الإسلام ، ثم بعد ذلك تتابعت جيوش المسلمين بتأييد من العقيـــدة الإسلامية وبتوجيه من القائد العظيم الذى يخوض المعركة متقدما الصفوف .

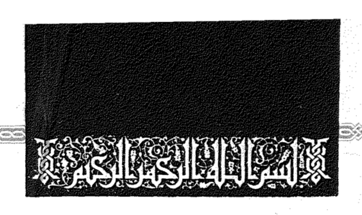
أيهـــا الســـادة :

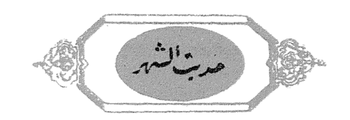
إننا نريد أن نقول لقادتنا ، ونريد أن نقول للمقاومة ، ونريد أن نقول للفدائيين لقد آن الأوان أن تتوحد صفوفكم ، وأن تقاتلوا صفا واحدا كرجل واحد « **إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص** » .

وعلى الأمة العربية أن تقاتل معهم ، وأن تؤيدهم بالرجال ، فإن ذلك من واجبنا ، وذلك فرض علينا ، فإن الإسلام قد أوجب علينا الدفاع عن الأوطان ، ومن لم تحدثه نفسه بالجهاد والقتال فى سبيل الله مات على شعبة من النفاق ، وعلى كل مسلم أن يجاهد ، وأن يناضل ، وأن يقاتل فى سبيل الله وفى سبيـــل الوطن .

إن ديارنا احتلت ، وصفوفنا تمزقت بيد أعدائنا ، فوجب علينا النضال ، ووجب علينا القتال ، ووجبت علينا المناصرة والمؤازرة بكل ما نستطيع من قوة : « **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم** ».

على القادة وعلى الزعماء أن يعرفوا هذه الحقيقة فإن النصر لا يأتى الا بالوحدة ، وحدة الكلمة ، ووحدة الفكر ، ولا يأتى الا بالنظام ، ولا يأتى الا بالتنظيم ، فإن عدونا يقاتلنا بهذه الفكرة ، ويقاتلنا بهذه الدعوة ، ويقاتلنا بهذا التنظيم . لقد انعقدت مؤتمرات الصهيونية لهذا الغرض فى كل مكان ، وها نحن نرى جيوشنا تقف بعيدة عن النصرة للفدائيين ، فعليها أن تقف وتقاتل وتجاهد ، وأن تنصر هؤلاء الذين يضحون بأرواحهم وبدمائهم فى سبيل الله . « **إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** » والسلام عليكم ورحمة الله .





المصحف...

المصحف اسم لا يغيب مدلوله ، ولا المراد به عن احد من الناس شرق او غرب . كفر أو آمن ، فهو ــ كما علمت الدنيا ــ فى ماضيها وحاضرها وكما تعلم الأجيال القادمة الى يوم الدين ــ اسم الصحف التى كتب فيها القرآن الكريم مرتب الآيات والسور على الوجه الذى تلقته الأمة الاسلامية من النبى صلى الله عليه وسلم . وأبو بكر رضى الله عنه أول من جمع القرآن وسماه المصحف ، وقد روى أن الصحابة رضوان الله عليهم لما جمعوا القرآن فى عهده ، وكتبوه فى أوراق قال : التمسوا له اسما ، فقال بعضهم « المصحف » فاختاره المسلمون وارتضاه الخليفة الأول .

وجاء فى بعض الروايات ما يدل على أن لفظ « المصحف » تداوله المسلمون بنفس المعنى قبل عهد أبى بكر فعن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : الغرباء فى الدنيا أربعة (وعد منها مصحفا فى بيت لا يقرأ فيه) انظر المناوى فيض القدير شرح الجامع الصغير جـ ٤ ص ٤٠٩ .

وعن ابن عمر قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسافر بالمصحف فى أرض العدو مخافة أن يناله العدو » المصاحف لابن أبى داود جـ ٥ ص ١٨٠ .

وعن أنس ــ مرفوعا « سبع يجرى للعبد اجرهن بعد موته وهو

فى قبره (وعد منها أيضا من ورث مصحفا) » انظر الاتقان للسيوطى ج ٢ ص ١٧٣ .

ولم تعرف الدنيا كتابا بذل اتباعه فى حفظه وتفهمه والعناية به حرفا حرفا وتحرير كلماته ، ومعرفة مخارج حروفه وعددها وعدد كلماته وآياته وسوره وأحزابه وأنصافه وأرباعه وسجداته ـ كما فعل المسلمون بالمصحف ، فقد تجردت لخدمته عقول ومواهب وبذلت فى دراسته أعمار وأموال لم يظفر بها على مدى التاريخ أى كتاب سماوى أو غير سماوى ، وشبعت ورويت على مائدته عبقريات كثيرة متنوعة أفادت الانسانية خير نتاج فى فنون المعرفة والوان الثقافة العقلية والانسانية .

ولم يبلغ كتاب من الذيوع والانتشار ما بلغ المصحف ، فقد كتب وطبع منه ملايين النسخ فى مختلف العصور والأجيال ، وحملت هذه المصاحف حيث يوجد الظل من الأرض .

جاء فى كتاب المسالك والممالك ص ١٦٢ عند الحديث عن سد يأجوج ومأجوج أن الخليفة الواثق بالله أراد أن يستخبر خبر هذا السد ، فأوفد « سلام الترجمان » لهذه المهمة ومعه خمسون رجلا : شباب أقوياء ، وحكى سلام ، فقال : « فأقمنا عند ملك الخزر يوما وليلة ، حتى وجه معنا خمسة أولاد ، فسرنا من عنده ستة وعشرين يوما ، فانتهينا الى أرض سوداء منتنة الرائحة ، وكنا قد تزودنا قبل دخولها خلا نشمه من الرائحة المنكرة ، فسرنا فيها عشرة أيام ، ثم صرنا الى مدن خراب فسرنا فيهاعشرين يوما ، فسألنا عن حال تلك المدن ، فخبرنا أنها المدن التى كان يأجوج ومأجوج يتطرقونها ، فخربوها ثم صرنا الى حصون بالقرب من الجبل الذى فى شعبة منه السد ، وفى تلك الحصون قوم يتكلمون العربية ، مسلمون يقرأون القرآن ، ولهم كتاتيب ومساجد ... الخ » .

وأيا كان سند هذه القصة من الصحة ومبلغها من الحقيقة أو الخيال ، فهى تشير الى حقيقة لا جدال فيها .. الى مدى اهتمام المسلمين أينما كانوا بالقرآن وحرصهم الشديد على اقراء أولادهم المصحف وتحفيظه لهم . يستوى فى ذلك الخلفاء والامراء وأوساط الناس وعامتهم . والكتاتيب المنبثة فى المدائن والقرى على تتابع الأجيال ومسار الزمن آية هذا الاهتمام وتلك العناية ، ووصايا الحكام للمعلمين والمؤدبين أصدق دليل وأعظم شاهد .

يقول عبد الملك بن مروان لمؤدب ولده : علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن . وهشام بن عبد الملك يقول لسليمان الكلبى لما اتخذه مؤدبا لابنه « وأول ما أوصيك به أن تأخذه بكتاب الله ، ثم روه من الشعر أحسنه » والرشيد يقول للأحمر معلم ولده الأمين « فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين . اقرئه القرآن وعرفه الأخبار » .

وفى كل جيل وكل بلد ييسر الله للقرآن الكريم طائفة من المسلمين يبذلون جهودا لتعليمه وتحفيظه وسط التيارات المثبطة والمعوقة أو المضادة ، ونذكر على سبيل المثال دار القرآن الكريم التى أنشأتها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية فى دولة الكويت ، واستوعبت عددا كبيرا من الراغبين فى الحفظ صباحا أو مساء ، وانك لتعجب أشد العجب حين ترى

فيها الشـــاب والشيخ والكهـل ، والهنـدى والعمـانى والباكستانى والاندونيسى والروسى و . . والمبصر والمكفوف والامام والمؤذن والعامـل والمحاسب والقاضى والجنـدى . . أعمار متفاوتة ، ومستويات مختلفة ، وجنسيات متعددة لم يجمعها فى دار واحدة وتحت سقف واحد الا هـدف واحد وهو التقرب الى الله والتعبـد بتلاوة آياته وحفظ كتابه .

وهذا التيسير والتوفيق من رحمة الله بعباده ولطفـه بهم ولـو كان الجاهلون لا يعلمون ، وفى حديـث حذيفة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان القوم يبعث الله عليهـم العذاب حتما مقضيا ، فيقرأ صبى من صبيانهم فى الكتاب « الحمد لله رب العالمين» فيسمعه الله تعالى فيرفـع عنهم بذلك العذاب أربعين سنة » . يقول ابن حجر العسقلانى فى كتابه الكافى الشافى ولهذا الحديث شاهد فى مسند الدارمى عن ثابت بن عجلان قال : كان يقال : « وان الله ليريـد العذاب بأهل الأرض فاذا سمع تعليم الصبيان بالحكمة صرف ذلك عنهم ، يعنى بالحكمة القرآن » .

ولم يكن اقبال النساء على حفـظ كتاب الله أقل من اقبال الرجال ، فقد حفظ لنا التاريخ أسماء نساء فـى خدمة المصحف وتلاوته . منهـن أم المؤمنين حفصة ، وتعتبر واحدة مـن القراء من أصحاب النبى ، وقد حفظت نسخة الجمع الاول التى كانت مرجع لجنة جمع القرآن على عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه . ومنهن ميمونة بنت أبى جعفر المدنى أحد القـراء العشرة فقد روت القراءة عن أبيها ، وروى القراءة عنها آخرون .

وفى النجوم الزاهرة لابن تغـر بردى أنه كان فى قصر زبيـدة بنت جعفر زوجة هارون الرشيد « مائـة جارية تقرأ القرآن فكان يسمع مـن قصرها دوى كـدوى النحـل مـن القراءة » .

وذكر ابن فياض فى تاريخه فـى أخبار قرطبة : « أنـه كان بالربض الشرقى منقرطبة مائة وسبعون امرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفى . وكان هذا فى ناحية من نواحيها فكيف بجميع جهاتها » .

وعرض ابن الجزرى السـيرة العلمية لابنته سلمى ، فذكر أنهـا « عرضت القرآن حفظا بالقـراءات العشر قراءة صحيحة مجودة مشتملة على جميع وجوه القـراءات بحيـث وصلت فى الاستحضار الى غايـة لا يشاركها فيها أحد فى وقتها » .

هذه بعض الأضواء على المصحف تدل على مبلغ عناية المسلمين رجالا ونساء فى مختلف العصور والاجيال بخدمة كتاب الله والاهتمـام بحفظه والمحافظة عليه وهى عناية لم يظفر بها اى كتاب فى الوجود ، ويكفى أنه منذ تنزلت الآيات الأولى منه الى اليوم لم تخل لحظة من ليل أو نهار مـن أفواه تتعطر بترتيله والسنة تترطب بتلاوته وقلوب تخشع وتلين لسماعه ، وستظل بحفظ الله هذه الأفـواه والألسنة والقلوب تطيب وتنـدى وتخشع الـى يوم الدين « انا نحـن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

معركة المصحف :

وبقدر تقديس المسلمين للمصحف وحرصهم على سلامته وجهودهـم للمحافظة عليه كانت احتاد اعداء الاسلام للمصحف وخصومتهم لـه ومحاولاتهـم الخاسرة لتزييفـه وتحريفه .

وبيوء اليهود من قديم الزمان بإثم تحريف الكتاب عن مواضعه ، وتبديل ما أنزل الله ، وقد مسخوا التوراة المنزلة على نبيهم مسخا يتفق مع أهوائهم ومآربهم فعمدوا الى الفاظها فزادوا فيها ونقصوا أو حذفوا وقدموا وأخروا « ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » .

وقد حاولوا أن يفعلوا ذلك بالمصحف فخابوا وخسروا ، وآخر هذه المحاولات المصاحف المحرفة التى طبعوها ووزعوها فى المغرب وغانا وغينيا ومالى وبعض دول افريقية أخرى ، وقد اكتشفت هذه المحاولة فى المغرب فجمعت النسخ المحرفة وأحصيت الأخطاء الموجودة فيها ، فوجد فيها أكثر من الف خطأ مطبعى ولفظى فى مائة الف مصحف ، ولم يقتصر التزييف عند الأخطاء المطبعية ، بل حذف فيها كلمة (ليست) فى قوله تعالى : « وقالت اليهود ليست النصارى على شىء وقالت النصارى ليست اليهود على شىء » وحذفت كلمة (غير) فى الآية « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » وابدال كلمة (آمنوا) بكلمة (لعنوا) فى قوله تعالى (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا) وقد اهتم المسلمون بهذا الحادث الاجرامى الخطير اهتماما كبيرا ، فشكلت لجنة فى القاهرة لمراجعة المصحف المحرف وتحذير المسلمين من تداوله ، وكذلك فعلت السودان والاردن ، وحرصت الكويت وغيرها من الدول العربية والاسلامية على منع تداول أى مصحف فيها الا بعد اجازة تداوله من اللجان المختصة .

ولوحظ فى الايام الاخيرة ظهور طبعات كثيرة من المصحف يبدو فيها الاهمال الشديد من العمال وأصحاب المطابع ، والاستغلال الحرام من بعض أصحاب المكتبات ودور النشر وهذا الاهمال وان كان غير متعمد الا أنه يساوى المتعمد فى الاثم والنتيجة واحدة وهى وجود مصحف محرف ومزيف ، وتتخذ هذه الأخطاء صورا متعددة كحذف أو زيادة بعض النقاط ، وحذف أو تغيير بعض الشكل ، ومخالفة للرسم العثمانى المجمع عليه ، وكحذف بعض السور وكوضع سورة أو بعض سورة فى غير موضعها الالهى .

وهذه المصاحف المحرفة لم تصبح نادرة بل كثرت وانتشرت انتشارا مخيفا .

فماذا ينتظر المسلمون والمسئولون بعد هذا ؟!

ماذا بعد المصحف ، وماذا قبل المصحف ، وماذا غير المصحف ، فى وجود المسلمين فى الماضى والحاضر والمستقبل ؟!!

ان ظهور ورقة مزيفة من أوراق النقد فى سوق من الأسواق تقيم الدنيا وتقعدها ، فتصادر تلك الورقة وتتخذ الحيطة لجمع مثيلاتها واعدامها منعا لتداولها ، كما يتعقب المزيفون ، وتنزل بهم أشد العقوبات .

أفلا يجب أن ينال المصحف من المسلمين مثل هذه العناية .. أفلا يجب أن يعتبر تحريف المصحف عمدا أو اهمالا جناية من الجنايات توضع لها عقوبات رادعة : « ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا » « ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون » .

رضوان البيلى



للشيخ محمد الغزالى

من التفسير الموضوعى :

لن نحتاج الى كبير عناء فى استبانة الخيوط الخفية التى تشد أجزاء هذه السورة وتجعل من معانيها وأغراضها كيانا متماسك الحقائق وضيىء الملامح ..

بدأت السورة بقسم جليل .. قسم بما فى الدليل من دقة وحكمة على صدق الدعوى ووجاهة صاحبها !! « والقرآن الحكيم . إنك لمن المرسلين . على صراط مستقيم » .

ان القرآن هو الشاهد الثقة على ان محمدا حق .

وما تضمنه القرآن من حكمة بالغة : حجة فوق الريب على انه وحى من السماء ، وأن الذى يتلوه مصدق الدعوة راشد الطريق .

ثم تضمنت السورة تمهيدا وجيزا عن مواقف الناس من هذه الرسالة

وانقسامهم بين مؤيد ومعارض وليس ذلك عجبا .

فالناس من قديم الزمان صنفان : صنف يحتبس فى المواريث الفكرية التى آلت اليه لا يعدوها ولا يحب أن يستخرجه أحد من نطاقها ، وصنف آخر مرن التفكير ، حر الوجهة يعطى نفسه حق المقارنة والترجيح ثم ينطلق بعدئذ على ما أحب .

ومن الصنفين جميعا كان الكافرون والمؤمنون .

وعقب هذا التمهيد ثلاثة مشاهد متميزة استغرقت السورة كلها ودارت على محور واحد : هو إضاءة الطريق أمام السائرين ، وسط الأدلة التى تدعم الحق ، وتذيب التعصب للباطل وتبنى الإسلام على أصوله المعتيدة من حركة العقل ، ووعى التجارب ، واحترام الفطرة ..

● المشهد الأول : دليل تاريخى من الماضى البعيد يقص نبا القرية التى قاومت المرسلين وكذبت تعاليمهم فاصابها ما أصابها .

● والمشهد الثانى : دليل من الحاضر المحسوس يلفت النظر إلى آيات الله فى البر والبحر والفضاء ويرجع البصر بين فجاج الارض وآفاق السماء كى يستخلص العبر الدالة على رب العالمين .

● والمشهد الثالث والأخير : دليل من المستقبل الآتى يؤكد للبشر أن لعالمهم الذى يعيشون فيه أجلا ينتهى اليه وان وراءه عالما آخر يسعد فيه المهذبون العقلاء ويشقى فيه من سفه نفسه ، وحقر عقله ، وأساء سيرته ، وفقد شرفه ..

من التمهيد الذى افتتحت به هذه السورة الكريمة ومن تلك البراهين الثلاثة المستمدة من الماضى والحاضر والمستقبل تكونت (يس) .

ونستطيع أن نلمح الروابط بين أول السورة وآخرها إذا ما أعدنا قراءتها متدبرين حال العرب الذين فوجئوا ببعثة محمد يدعوهم الى توحيد الله وحمل الرسالة التى أصطفاهم الله لها ومتدبرين كذلك الأدلة المثيرة المتلاقية كلها على أن الله حق ، ونبيه حق ، وهى ادلة كانت ولا تزال تهدى الحيارى فى كل زمان ومكان ..

فلنعد مرة أخرى الى التمهيد وما بعده ..

إن ناسا كثيرين يحيون داخل فكرة ثابتة سيطرت عليهم دون بحث او نقاش ..

والسجناء فى أوهامهم ينظرون يمينا ويسارا فلا يرون إلا السدود التى احتبسوا فيها والأحوال التى عاشوا فى ضيقها وجهلوا ما وراءها « إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى إلى الأذقان فهم مقمحون . وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون » .

والأغلال التى تحيط بالرجل العتيد وتجعله يعجز عن لى عنقه هنا وهناك فى حركة حرة يبصر بها شتى المناظر والأوضاع ..

... هذه الأغلال من صنع نفسه ابتداء وما ضاعفها الله عليه إلا لأنه هو يريد استبقاءها كما قال جل شأنه فى سورة أخرى .

« قل : من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا .. »

ويستطيع أى امرىء أن يخرج من ذلك السجن الظلوم إذا رحم نفسه وخشى ربه وعرف الحكمة من محياه ومماته ... إنه عندئذ يؤمن بالله ويهتدى بوحيه ، وذلك ما بدات الأدلة تنساق لتحقيقه .

فلنقف قليلا عند المشهد الأول منها وهو الذى يبدأ بقوله تعالى :

« واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون » .
لقد كذب أهل القرية رسالات السماء تقريبا كما فعل أهل مكة وقالوا لرسلهم : « ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء .. »
وماذا يملك الأنبياء للناس ؟ إنهم لا يحملون عصا يسوقون بها الجماهير ولكنهم يملكون قدرة على الإقناع وتجلية الحقائق لذلك قالوا : « وما علينا إلا البلاغ المبين » .
بيد أن العميان يكرهون الضوء وما كان عليهم من بأس لو تركوا رسل الله يتكلمون بما لديهم فمن ارتضى منطقهم دخل فيه وإلا انصرف عنه .
إن أهل القرية لم يفعلوا ذلك بل قالوا لهم : « لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم » .
وأقبل من بعيد رجل منصف لم يذكر القرآن اسمه ليكون أسوة للرجال الذين إن حضروا لم يعرفوا وإن غابوا لم يفتقدوا .. الرجال الذين يعملون بعيدا عن الشهرة والظهور .
وتحدث الرجل حديث العقل : « ومالى لا أعبد الذى فطرنى وإليه ترجعون » ما دام الله هو الذى خلق وما دام المرجع اليه فما معنى البعد عنه والتجهم لهداه ؟؟ ولمن أذهب ؟ : « أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون . إنى إذا لفى ضلال مبين » ..
وذهب الرجل ضحية الإيمان الذى اعلنه وشرح أسبابه .. ويبدو انه كان عميق الاخلاص لقومه شديد الرغبة فى هدايتهم فلما استقبلته بشاشة النعمة والرضوان تمنى لو أن قومه يعلمون ذلك المصير .. « قيل : ادخل الجنة قال : يا ليت قومى يعلمون . بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين » .
فماذا كانت عاقبة مكذبى الرسل ، ومهددى الحريات ، ومخرسى صوت العقل ؟ هل احتاج الأمر إلى تجريد جيش من السماء لتأديبهم ؟ كلا ، يقول الله : « وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين . إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون » .
كان جديرا بأبناء آدم أن يعوا هذا المصير وأن يرويه الأسلاف للأخلاف غير أن عبر الماضى تمر دون أن يذكرها الكثيرون ولو استفاد الحاضر من الغابر لتجنب الناس ويلات شتى .
ومع روعة المثلات الأولى فإن الإفادة منها قلت إلى حد أن القرآن الكريم يرسل هذه الصيحة المنددة المفندة « يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون » ..
فلنطو هذا المشهد ولنلق نظرة على مشهد ثان فى هذه السورة يعرف الناس بربهم ويقفهم أمام آياته التى يرونها فى الصباح والمساء .
يبدأ هذا المشهد بوصف ما تنبت الارض . خذ حفنة من هذا التراب الذى لا نهاية له فى الحقول والحدائق . أترى فيه سكرا أو دهنا أو نشا أو أملاحا أو الوانا أو غير ذلك كله مما تحسه وتطعمه فى الحبوب والفواكه التى تأكلها .. كيف خرجت من هذا الطين البارد الجامد شتى الالوان التى تصبغ الثمر والزهر بالصفرة والشقرة ، وكيف خرجت الطعوم الحلوة من هذا الكدر والقذى ؟؟ ومن لف هذه الحبوب فى أغلفتها المحكمة ولف هذه الفواكه فى قشورها الزاهية ؟؟ : « وآية لهم الارض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون . وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب

وفجرنا فيها من العيون . ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون » .
ودليل ثان مما يمتد اليه سمع الناس وبصرهم من ترادف الليل والنهار عليهم .. أن انحصارنا فى حركاتنا المحدودة يشغلنا عن حركة الفلك الدائر وذلك أننا نصبح ونمسى ونودع شتاء ونستقبل صيفا دون أن ندرى كيف تداولنا الليل والنهار والحر والبرد .
إن ذلك كله نتيجة جريان هائل للكوكب الذى نسكنه والكواكب التى تشرف علينا وهو جريان مرهوب السرعة فى هذا الفضاء الرحب .
ومع أننا نسكن كونا دوارا لا ينى يسبح فى ملكوت شاسع الابعاد فان هذا الدوران وذلك السبح محكومان بنظام محيط ملجمان بزمام ضابط « لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون » ودليل ثالث من هذه السفن التى تجرى فى الماء يقدر أن الأجسام ترسب وتطفو وفق قانون مدروس مطرد ومن ثم أمكن صنع سفن فى أحجام الجبال تحمل الالوف من الانفس والقناطير المقنطرة من المتاع ثم تنطلق متهادية فوق اللجج لو شاء ربها أبقاها فوصلت الى مرافئها سالمة أو شاء نفخ فى الامواج الحاملة فأرغت وأزبدت ورمت فى قاع البحر بما حملت فما يستطيع أحد إسداء عون ، ولا انجاء هالك .
« وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون . الا رحمة منا ومتاعا الى حين » ودليل رابع من هذه الانعام المسخرة لنا ننتفع من محياها ومماتها ..
لكن قبل أن نشرح هذا الدليل وغيره ينبغى أن نذكر أن وسط الصورة قد قام على معنى محدد معقول أما المشهد الخاتم للسورة فهو حديث عن البعث والجزاء يبدأ من قوله تعالى : « ويقولون : متى هذا الوعد إن كنتم صادقين . ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون » . ويستمر هذا الحديث الى نهاية (يس) وربما تخلله من المشهد الثانى ما يلفت العقل الى آيات الله الجديرة بالنظر كقوله جل شأنه « أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا انعاما فهم لها مالكون . وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون » ..
الا أن ذلك الامتداد العقلى لا يقص من انفراد آخر السورة بكلام مثير عن نهاية العالم وبداية عصر الثواب والعقاب . فلننعم النظر فى المشهد انه ينبئنا بأن أمر الله يأتى مباغتا والناس مستغرقون فى أعمالهم اليومية لا يتوقعون حدثا ما ..
قد يخرج الموظف الى عمله فلا يبلغ الديوان الا وقد وقعت الواقعة .
أجل وربما قامت الساعة والخادم ذاهب لشراء بعض السلع فلا يعود بها وتصوير القرآن لقيام الساعة يوضح أنه يتم والناس مسترسلون فى الحديث حول شئونهم يتجادلون فى تقرير وجهات نظرهم وبينما هم كذلك ينفخ فى الصور « فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون » .
حتى الهاجعون فى مقابرهم من آماد بعيدة .. إن قومتهم ليوم الحساب تجيئهم مفاجئة حتى ليصيحون دهشين : « من بعثنا من مرقدنا » .. ويجيب كل شىء « ... هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون » .
ولا نمضى فى وصف النعيم وترغيب المؤمنين فيه ولا فى وصف العذاب وترهيب المنحرفون منه وانما نتوقف لنتأمل فى بعض أدلة البعث التى ختمت بها الصورة .

الم تسال نفسك يوما : ماذا كنت قبل مائة عام قبل أن يوجد هـذا البدن المكتنز بالشحم واللحم ويتوقد فيه هذا الروح المنعم بالفكر والشعور؟ ماذا كنا ؟؟ بعض هذا الهواء المنتشر فى الجو ؟ بعض هذا التراب الممتد على الأرض ؟ لا ندرى .. !!

واذا كان ذلك نسبنا المادى فمن أى أصل تولد الفكرة والشعور ؟

إننى أجزم بأنى وجدت بعد عدم وأن هذا الايجاد يتكرر جيلا بعد جيل ومع دلالة هذا الخلق على رب مبدع عظيم على رب مقتدر حكيم .. مع هذه الدلالة الصارخة فإن هناك صما لا يسمعون وعميانا لا يبصرون وناسا يتكلم أحدهم عن الله ولقائه بجهل غريب « أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ، وضرب لنا مثلا ـ ونسى خلقه ـ قال : من يحيى العظام وهى رميم » ..

وإن الشخص الذى يعرف من أى باب دخل الحياة لا يليق به أن يرسل هذا السؤال ، إنه يتناقض مع نفسه حينما يستبعد وجودا كان هو صورة حية له ودليلا أبديا على امكانه ..

من يحيى العظام وهى رميم ؟ يحييها منشىء الإنسان من نقطة الصفر إن البعث ليس وعدا بشىء يتم فى المستقبل فهو يستغرب الآن ..

إنه تكرار لعمل يتم كل يوم بل كل ساعة من ليل أو نهار فما وجه الاستغراب فى وقوعه ؟؟ ولكنه الجهل الغليظ « قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم . الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا .. »

فلنرسل فكرنا وراء هذه اللفتة ، هناك فى الحقول الناضرة والحدائق الغناء حيث الصمت السائد والنماء البطىء « يتنفس » النبات دون أن نشعر وفى شهيقه وزفيره يقول علماء الطبيعة أنه يمسك « الكربون » ويرسل « الأكسوجين » يمسك النار ويرسل لنا الحياة ما اعجب القدرة وما أغرب هذه المتناقضات ..

ومضى النظم الكريم يستكمل ادلة البعث ، ويشرح دلائل العظمة الالهية لم يختم السورة بهذا الختام « فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون » هذه سورة (يس) ، مقدمة تناولت رسـالة محمد بالشرح الوجيز وتناولت معارضيه ومؤيديه بالتعليق اليسير ثم ثلاثة مشاهد فصلت وجه الحق فى هذه الرسالة الخاتمة تفصيلا تناول العالم من أزله الى أبده واستطاعت ان تدفع الباطل وتزروه هباء .

هذه هى السورة التى أرتفع صوت الوحى فيها « لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين » ومع ذلك فإن جماهير المسلمين تواضعت على قراءتها فى المقابر بين رفات الموتى .

الا ما أظلم المسلمين لكتاب ربهم ، وتراث نبيهم ، وأساس تاريخهم ، ومهاد حضارتهم .

ولسنا نزعم أن المقدمة والمشاهد الثلاثة المذكورة قد انتظمت فـى قوالب فنية كما يصنع العلماء المحدثون فى تأليفهم ، كلا إن القرآن أكبر من ذلك فاحتواؤه على المعانى يشبه احتواء الكون المادى على مصادر المعرفة فى وحدة لا انفصام بين أجزائها .

ولكننا فى هذا اللون من التفسير نجتهد فى اكتشاف محور تدور عليه السورة كلها أو ملامح تشيع فى كيانها العام . ثم نصف ذلك للقارىء حتى يحسن الانتفاع بالكتاب الكريم ..



للدكتور على عبد المنعم عبد الحميد

روى البخارى عن ابن شهاب : ان سعيد بن المسيب سمع ابا هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الحرب ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكـون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها . » ثم يقول ابو هريرة : اقراوا ان شئتم (وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) .

١ خبر نزول عيسى عليه السـلام بلغ حد التواتر وقد وردت الاحـاديث الشريفة الدالة على هذا الخبر فى جميع الكتب الصحيحة (١) وتحدث به شارحا ومؤكدا كل علماء التفسير والحديث من لدن أن سمع هذا الحديث ومنذ أن بدا عهد التدوين وجدنا احاديثهم وآراء مسطورة فى آثارهم الشريفة وتنوقل قبـل التدوين وجاء محكيا عن الصحابة رضوان الله تبارك وتعالى عليهم اجمعين كما حمله خبرا موثوقا مؤكدا متواترا التابعون وتابعوهم باحسان الى يومنا هذا ، ولنسرد على أنظار القارىء الواعى الذى يلقى السمع وهو شهيد آثارهم عبر قرون وقرون ثم نعقب بما يقتضيه المقام :

أ ـ قال الشيخ محمد السفاريني في كتابه « لوامع الانوار البهية ص ٩٤ جـ ٢ » (... ونزوله أي عيسى عليه السلام ثابت بالكتاب ، والسنة ، والاجماع أما الكتاب : فقوله تعالى : « وان من أهل الكتــاب إلا ليؤمنن به قبل موته » اى ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى ، وذلك عند نزوله من السماء آخر الزمان حتى تكون الملة واحدة ، ملة ابراهيم حنيفا مسلما . وأما السنة : فقد ورد خبر نزوله في الصحيحين وغيرهما (كما هو مبين بالهامش) . وأما الاجماع : فقــد أجمعت الأمة على نزوله ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة ، وإنمــا حاول الانكار الفلاسفة والملاحــدة ، وقد انعقد اجمــاع الأمة على أنه ينزل ويحــكم بالشريعة المحمدية) .

ب ـ ساق العلامة الحافظ ابن كثير القرشي في كتــابه (تفسير القرآن العظيم) ص ٥٧٨ جـ ١ ، كل الأحاديث الواردة في نزول عيسى عليه السلام الى الأرض من السماء آخر الزمان قبل يوم القيامة وأنه يدعو الى عبادة الله وحده لا شريك له ، وعند تفسيره قوله تعالى (وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) ، قال : قال ابن جرير : اختلف أهل التاويل في معنى ذلك ، وأصح أقوالهم أن هذا الإيمان يكون عند نزول عيسى عليه السلام ، يعنى لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى الا آمن به قبل موت عيسى ، وهنا عقب ابن كثير بقوله : ولا شك أن هذا الذى قاله ابن جرير هو الصحيح لأن المقصود من سياق الآى هو تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى عليه السلام وصلبه وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك ، فاخبر الله سبحانه أنه لم يكن الأمر كذلك ، وإنما شبه لهم فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك ، ثم إنه رفعه اليه وأنه باق حى ، وأنه سينزل قبل القيامة كما دلت عليه الأحاديث المتواترة ، فيقتل مسيخ الضلالة ، ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية فلا يقبلها من أحد من اهل الأديان ، بل لا يقبل الا الاسلام ، فاخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع اهل الكتاب حينئذ ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم ، ولهذا قــال : (قبل موته) أى قبل موت عيسى الذى زعم اليهود والنصارى أنه قتل وصلب (ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) أى باعمالهم التى شاهدها هو قبل رفعه الى السماء وبعد نزوله الى الأرض كما ورد فى سورة المائدة فى الآية رقم ١١٦ ومــا يليهــا ..

جـ ـ وقال الزمخشرى فى تفسيره « الكشاف عن حقائق التنزيل وعيــون الأقاويل فى وجوه التاويل » ص ٥٨١ جـ ١ ، .. عند قوله تعالى (وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) : الضميران لعيسى عليه السلام بمعنى وان منهم أحد الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وهم أهل الكتاب الذين يكونون فى زمان نزوله ، حيث روى : أنه ينزل من السماء فى آخر الزمان فلا يبقى أحد من أهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهى ملة الاسلام ...

د ـ واورد القرطبى فى كتابه (الجامع لأحكام القرآن) ص ١٠ جـ ١ ، ما يدل على نفس المعنى وأعاد النصوص كاملة كما هى مؤكدا باسلوبه الخاص وعباراته المتميزة خبر نزول عيسى عليه السلام .

هـ ـــ وقال أبو حيان الأندلسي الغرناطي في تفسيره (البحــر المحيط) ص ٣٩٢ جـ ٣ : روى أنه ـــ أى عيسى عليه السلام ـــ ينزل من السماء في آخر الزمان ، فلا يبقى أحد من أهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام ، قاله ابن عباس رضى الله عنهما والحسن وأبو مالك ، ثم أورد أبو حيان ما لا يخــرج عما أورده غيره ممن سبقوه في معالجــة تفسير القرآن العزيز .

و ـــ وقال الألوسي البغدادى في تفسيره (روح المعانى في تفسير القرآن الكريم والسبع المثانى) ص ١٣ جـ ٦ ما نصه : .. الضميران لعيسى عليــه السلام وروى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما وأبى مالك والحسن وقتادة وزيد واختاره الطبرانى ، والمعنى : أنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب الموجودين عند نزول عيسى عليه السلام الا ليؤمنن به قبل أن يموت وتكون الأديان كلها دينا واحدا ، وأخرج أحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ينزل عيسى بن مريم فيقتل الخنزير ويمحو الصــليب ويعطى المال حتى لا يقبل ـــ اى المال ـــ وتلا أبو هريرة رضى الله عنه (وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) ...

ز ـــ وقال القاسمى في تفسيره (محاسن التأويل) عنـــد قوله تعالى : (وإن من أهل الكتـــاب ، الا ليؤمنن به قبل موته) :أى ما من أحد من أهل الكتاب يدرك نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان الا ليؤمنن به قبــل موته ، أى موت عيسى ، أى لا يموت حتى ينزل في آخر الزمان يؤيد الله به دين الاسلام حتى يدخل فيه جميع أهل الملل ، إشارة ان موسى عليه السلام ، إن كان قد ايده الله تعالى بأنبياء كانوا يجددون دينه زمانا طويلا ، فالنبى الذى ينسخ شريعــة موسى وهو عيسى عليه السلام هو الذى يؤيد الله به هذا النبى العربى في تجديد شريعته ، وتمهيد أمره والذود عن دينـــه ويكون من أمته بعد ان كان صاحب شريعة مستقلة وأتباع مستكثرة ، ذلك أمر قضاه الله تعالى في الأزل ، فاقصروا أيها اليهود ، فمعنى الآية إذن والله أعلم : انه ما من احد من أهل الكتاب المختلفين في عيسى عليه السلام على شك (٢) . الا وهو يوقن بعيسى قبل موته بعد نزوله من السماء ، أى ما قتل وما صلب ويؤمن به عند زوال الشبهة ـــ ا هـ نقله القاسمى عن البقاعى . ثم أورد القاسمى بعد ذلك الأحاديث الصحيحــة الواردة في صحيح الامامين البخارى ومسلم وغيرهما ، ومن تلك الأحاديث ما رواه الامام أحمد في المسند ص ٤٣٧ جـ ٢ ، طبـــع الحلبى ، عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « .. الأنبياء أخوة لعلات (٣) : دينهم واحد وأمهاتهم شتى وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم لأنه لم يكن بينى وبينه نبى ، وإنه نازل ، فاذا رأيتموه فاعرفوه ، فانه رجل مربوع يميل الى الحمرة والبياض ، سبط ، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل ، بين مُمَصَّرتَيْن (الممصرة من الثياب هى التى فيها صفرة خفيفة) ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجــزية ، ويعطل الملل حتى يهلك الله في زمانه الملل كلها غير الاسلام ، ويهلك في زمانـــه المسيخ الكذاب ، وتقع الأمنة في الأرض حتى ترتع الإبل مع الأسود جميعا ، والنمور مع البقر ، والذئاب مع الغنم ، ويلعب الصبيان والغلمان بالحيَّـــات لا يضر بعضهم بعضـــا فيمكث ما شاء الله أن يمكث ثم يتوفى فيصـــلى عليــه المسلمون ويدفنونه » ...

ح ــ وقال الحافظ بن حجر العسقلانى فى كتابه (فتح البارى بشرح البخارى) ص ٣٠٣ جـ ٧ : قال العلماء : الحكمة فى نزول عيسى عليه السلام دون غيره من الأنبياء ، الرد على اليهود فى زعمهم أنهم قتلوه فبين الله تعالى كذبهم وأنه هو الذى سيقتلهم أول نزوله لدنو أجله ليدفن فى الارض اذ ليس لمخلوق من تراب الأرض أن يدفن فى غيرها ، وقيل إنه ــ أى عيسى عليه السلام ــ دعا ربَّه لما رأى صفة محمد وامته فيما أنزل عليه من الإنجيل أن يجعله منهم فاستجاب الله دعاءه وأبقاه حتى ينزل فى آخر الزمان مجددا لأمر الاسلام فيوافق خروج الدجال فيقتله ... ونقل ــ اى الحافظ بن حجر ــ عن طريق أبى رجاء عن الحسن قال : قبل موت عيسى (يعنى إيمان اهل الكتاب المشار اليه فى الآية الكريمة) . والله انه الآن لحى ولكن ، واذا نزل آمنوا به أجمعون ، ونقله عنه أكثر اهل العلم ، ورجحه ابن جرير وغيره ..

ط ــ وأخيرا : قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فى فتاواه ص ٣٢٩ جـ ٤ ما نصه : « والمسيح صلى الله عليه وسلم وعلى سائر النبيين لا بد أن ينزل الى الأرض على المنارة البيضاء شرقى دمشق ، فيقتل الدجال ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ، كما ثبت ذلك فى الأحاديث الصحيحة ، ولهذا كان فى السماء الثانية .... لأنه ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة .. »

أما بعد : فهذه مصادر الشريعة (الكتاب والسنة والاجماع) التى لو طرحناها لما قام بناء الاسلام ولو شككنا فيها لتطرق الشك الى كل ما كانت تلك المصادر مصدره ، وأى كتاب يعتد به مرجعا بعد القرآن الكريم ، ونرجو عنده الخبر اليقين ، إذا نحن رددنا الصحاح التى اعتبرها علماء الملة من لدن أن بدت للوجود ، وقرئت فى كل ناد ، ودوى صوتها يملأ أجواز الفضاء ، وشع نورها ، فأخرج ضحى المحجة الطاهرة وأغطش ليل الكفر البهيم ، فبهرت الدنيا شريعة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرست قواعد العدالة ، والحق توجيهات ربنا جل وعلا وقام القرآن الكريم حارسا من زيغ وسياجا من ضلال . وسدا منيعا لا ينال حماه ضد كل مهاجم كاشح ، وحصنا رفيعا لا يطاول يصد كل غاز بقوة مادية تسلح ، أو بفكر فلسفى تذرع ، أو بمراوغة وممالأة أتصف ، أو بلسان أعجمى رطن (٤) ، أو عربى أفصح ، إن جاء شارعا رمحه صدته رماح ، وان مخفيا مكره فالله خير الماكرين ، وعلى هذا أمكن أن يقال : انه مما لا يقبل الجدل ، ولا يحتمل المماراة ولا يدعو الى المساءلة ، خبر نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان الذى لا يعلم تحديده الا من عنده مفاتح الغيب التى لا يعلمها الا هو ، وسيكون نزوله ظاهرة أساسية ونذيرا وايذانا بدنو أجل الدنيا ، وطرقا قويا لأبواب الآخرة ولكن متى ؟ هنا يقف القلم عن الجريان ، وتخرس الألسنة عن الكلام ، وتتجه الأبصار والبصائر الى من عنده الجواب وحده ، وتناجى القلوب الطاهرة قيوم السموات والأرض : «ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار . ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد . »

٢ ــ ونعود الى ألفاظ الحديث الشريف موضع البحث ذاكرين معانيها وما

تشير اليه ، إذ مفتتح الكلام الشريف يشعر بقرب نزول عيسى عليه السلام ، وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم (ليوشكن) أى ليقربن ويكون حصوله سريعا ، وهذا من أشراط الساعة ، وعلم توقيتها محجوب عن البشر لسر يعلمه الله تعالى ، وقد ألحّ السائلون عن الساعة ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قول الله تبارك وتعالى : « يسألونك عن الساعة أيان مرساها . فيم أنت من ذكراها . الى ربك منتهاها . إنما أنت منذر من يخشاها . كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها » الآيات من سورة النازعات . وإنما تسبقها نذر تنبىء عن اقترابها ، ولدى نزول عيسى عليه السلام سيفيض المال ويكثر لدرجة أن الناس لا يهتمون بتحصيله وإنما ينحصر حرصهم على رضا الله تعالى فى العبادة وحدها حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها .

قال ابن الجوزى : يشير أبو هريرة ، رضى الله عنه، عند تلاوته للآية الكريمة فى آخر الحديث الى صلاح الدنيا وقوة إيمان الناس بالله تعالى ، وإقبالهم على الخير وقيامهم بالعبادة لله كاملة غير منقوصة ، وقال القرطبى : معنى الحديث : أن الصلاة حينئذ تكون أفضل من الصدقة . لكثرة المال حينذاك وعدم الانتفاع به حتى لا يقبله أحد .. وفى قوله : ويضع الحرب إشارة الى أن السلام سيعم الدنيا ولا يوجد ما يدعو لقتال فسيصير الدين واحدا ، والحَكَم العدل هو عيسى عليه السلام على سنن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ..

وهذا الحديث لا يتعارض مع ما ورد فى أحاديث أخرى من أن الساعة لا تقوم الا على شرار الناس : وحتى لا يقال فى الأرض : الله . الله . لأن الفساد المشار اليه سيحدث بعد موت عيسى عليه السلام ، ودفنه بالأرض، فحينئذ سيعود الكفر مسيطرا ، ويتجافى الناس عن كل دين ، فقد أخرج الامام أحمد ومسلم من حديث ابن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تجىء بعد موت عيسى عليه السلام ريح باردة من قبل الشام فلا تبقى على وجه الأرض أحدا فى قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل فى كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه ، فيبقى شرار الناس فى خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان ، فيقولون : ماذا تأمرنا ؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان ، فيعبدونها وهم فى ذلك فى دار رزق حسن عيشهم ... ثم ينفخ فى الصور . »

والخلاصة : أن نزول عيسى عليه السلام حاصل باذن الله تعالى وتقديره ، ونحن نؤمن بكل ما ورد فى القرآن الكريم والسنة الصحيحة جملة وتفصيلا ، ومعلوم أن من آمن بالله وأيقن بقدرته التى لا يعجزها شىء سهل عليه التصديق

برسالة رسله عليهم افضل الصلاة وأزكى السلام ، وبالتالى يؤمن بكل ما صدر عنهم ما دام صحيحا متواترا مجمعا عليه من سلف الأمة وخلفها المتعاقبين فى حقب الزمان المتطاولة ، وأما الملحدون فى آيات الله تعالى فلا يقام لهم وزن ، فما يأتون الا بنظريات لا تثبت على المحك العقلى المتزن ، ولئن بدت بعض الأخبار الصادقة غريبة الآن فغرابتها لا تستدعى إنكارها فكم من مجهول كشفه العلم كان الحديث عنه مرفوضا فى كل صور ، ولا يمكن ان يشاع ويذكر وإن صدر به قول وصف مصدره بالجنون والعته ، وقد أبدت الأيام صدق ما كانوا يحدسون، وهذا فى جانب البشر ، فما بالك بما عند علام الغيوب ، لا شك أنه حق وصدق وسيكشف عنه كر الغداة ومر العشى .. وفى الذكر الحكيم : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » ٥٣ من فصلت . صدق الله العظيم .

---

(١) : ورد هذا الحديث نصا أو مع اختلاف يسير فى الالفاظ الآتية لا على سبيل الحصر وانما على سبيل المثال :

١ ــ ورد فى صحيح الامام البخارى فى باب نزول عيسى عليه السلام وذكر فيه حديثين عن أبى هريرة .

٢ ــ واخرجه الامام مسلم فى صحيحه من رواية الليث بن سعد عن ابن شهاب ، ومن حديث ابن عمر رضى الله عنهما .

٣ ــ وذكره ابو نعيم فى المستخرج من سند اسحق بن راهوية .

٤ ــ واورده الامام احمد فى مسنده من وجه آخر عن أبى هريرة .

٥ ــ وذكره الطبرانى من حديث عبد الله بن مغفل .

٦ ــ ورواه ابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما من طريق سعيد بن جبير باسناد صحيح

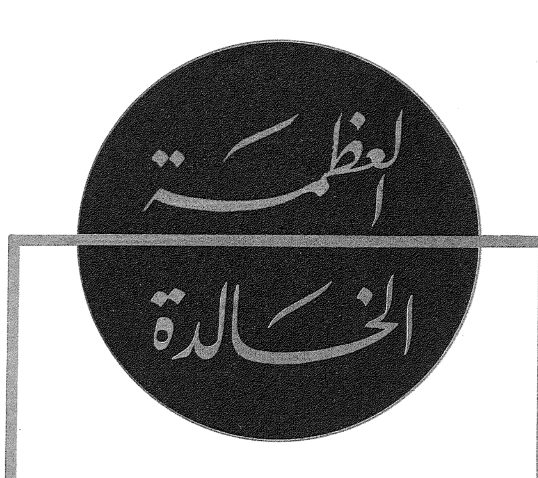
٧ ــ ورواه ابو داود باسناد صحيح من طريق عبد الرحمن بن آدم عن أبى هريرة مرفوعا .

٨ ــ ورواه ابن ماجه ، وابن حيان ، والبيهقى .

(٢) يشير الى قوله تعالى فى الآية رقم ١٥٧ من سورة النساء : « .. وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا » .

(٣) بنو العلات : أبناء الرجل الواحد من أمهات شتى : (لسان العرب مادة علل) .

(٤) رطن الأعجمى رطنا تكلم بلغته ، والرطانة والمراطنة : التكلم بالعجمية ، وقد تراطنا ، تقول رأيت أعجميين يتراطنان ، وهو كلام لا يفهمه العرب ، قال الشاعر : (كما تراطن فى حافاتها الروم) .. الخ .. عن لسان العرب مادة « رطن » .



للشيخ عبد الحميد السائح

كثير من العظماء تحدث عنهم التاريخ القديم والحديث ، من رسل وانبياء ، ومصلحين وشعراء ، ومع هذا فلم ينجوا من الشك يحوم حولهم ، فى وجودهم وفى اخبارهم ، فضلا عن نواحى عظمتهم واسباب بروزهم .

فهذا السيد المسيح عليه السلام الذى ينتسب إليه مئات الملايين من البشر ، يترددون في وجوده ، ويحيطونه بهالة من التشكيك ، حتى كأنه اسطورة او خرافة .

ولم يقتصر هذا الموقف على السيد المسيح بل شمل الكثيرين من الرسل والأنبياء مثل ابراهيم واسماعيل ويعقوب ويوسف وموسى عليهم السلام .

لم يصدر هذا التشكيك من عرب ولا من مسلمين ، لأن المسلم ، بحكم عقيدته ، يؤمن بوجود هؤلاء الأنبياء كما يؤمن بوجود محمد عليه السلام ، بناء على قوله تعالى : « قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون »(١) .

وهذه الآية وأمثالها من آيات كتاب الله ، بالنسبة للمسلم ، حجة قاطعة ، لا تقبل نقاشا ولا تأويلا ، فمن شك فى وجود أى من أولئك الرسل والأنبياء أو غيرهم ممن ذكروا فى القرآن الكريم لا يصح اسلامه ولا تسلم عقيدته .

ومن اجل هذا فان الدكتور طه حسين حينما أصدر كتابه « فى الشعر الجاهلى » وذكر فيه : للقرآن والتوراة أن تحدثانا عن ابراهيم واسماعيل ، ولكن ذلك لا يكفى لاثبات وجودهما التاريخى : تصدى الأزهر الشريف حينئذ لمعارضة ذلك معارضة حادة ، واعتبر الموقف منافيا لتعاليم الاسلام ، ومصادما لهدى القرآن .

وإنما صدر التشكيك أساسا عن شخصيات غريبة يفترض أنها تنتسب للسيد المسيح أو تدين بديانته .

قال ول دورانت فى موسوعته التاريخية « قصة الحضارة » : « هل وجد المسيح حقا ؟ أو أن قصة حياة مؤسس المسيحية وثمرة أحزان البشرية وخيالها وآمالها ، أسطورة من الأساطير ، شبيهة بخرافات كرشنا وأوزوريس وايزيس ...

لقد كان بولنجروك والملتفون حوله يقولون فى مجالسهم الخاصة ، ان المسيح قد لا يكون له وجود على الاطلاق .. الخ .

وقد شمل التشكيك كثيرين من العظماء والشعراء .

محمد فوق الشبهة أو التشكيك

اما سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فى وجوده ، ومكان ميلاده ووفاته ، فلم يثر حوله أى من الشبهة أو الانكار لا فى الشرق ولا فى الغرب لأنه يمثل العظمة الخالدة ، والحقيقة التاريخية ، التى لا تمارى ولا تبارى .

ونحن لا نريد أن نذكر الغربيين أو المستشرقين الذين يميلون للسير وراء الحقائق أو البحث عنها ، وانما نشير الى جورج سال ، الذى ترجم القرآن الكريم فى مستهل القرن الثامن عشر للاساءة الى الاسلام ونبى الاسلام ، وهو ينضح بالحقد والتعصب والكراهية ، ومع هذا فلم يسعه إلا الاعتراف بشخصية محمد وإن مكان منبته لم يسدل عليه سدول النيسان ، وإن توقير العرب له كان عميقا ، حتى أنهم لم يدعوا المكان الذى تنفس فيه اول ما تنفس يكتنفه ريب أو غموض .. الخ(٢) .

نواحى عظمتـه

إن المتتبع لما وصل الينا من أخبار سيدنا محمد منذ ولادته ، وفى أثناء طفولته وشبابه وكهولته ، الى أن اختاره الله رسولا الى البشرية ، ومنقذا للانسانية ، من مهاوى الضلال والانحراف تتجلى له نواحى العظمة الخالدة والصفاء المتسامى ، عن الانخراط فى مجتمعه ، والتأثر ببيئته ، ويدرك كيف صنعه الله على عينه ، وهيأه لأفضل رسالة وأكرم مهمة ، « الله أعلم حيث يجعل رسالته » (٣) .

فمنذ نشأته صلى الله عليه وسلم عرف بعزوفـــه عن الأصنـــام وتعظيمها ، وصدق الحديث ، والأمانة ونصرة المظلوم ، وقد حبب اليـــه التعبد لربه ، وكان يخلو بغار حراء يتعبد فيه ، وكانت عبادته تفكرا فيمـا آل اليه أمر الناس من ظلمات الجاهلية ، المنافية كل المنافاة ، للعقـل والفطر السليمة ، وكيف السبيل الى شفائهم من هذه العلل المستحكمة ؟

وقد أنبته الله نباتا حسنا ، حتى كان أفضل قومه ، مروءة ، وأحسنهم خلقا ، وأعزهم جوارا ، وأعظمهم حلما ، وأصدقهم حديثا ، وأحفظهم لأمانة ، حتى سماه قومه « الأمين » لما جمع الله فيه من الأحـوال الصالحـــة ، والخصال الكريمة المرضية . (٤)

الاستسقاء به وهو طفل :

أخرج ابن عساكر عن جلهمة بن عرفطة قال : قدمت مكة وهم فى قحط ، فقالت قريش : يا أبا طالب ، اقحط الوادى وأجدب العيال ، فهلم فاستسق، فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دجن ، تجلت عنه سحابة قتمـاء حوله أغيلمة ، فأخذه أبو طالب ، فألصق ظهره بالكعبة ، ولاذ باصبعــه الغلام ، وما فى السماء قزعة ، فأقبل السحاب من هنا وهنــا ، واغــدق واغدودق ، وانفجر الوادى وأخصب النادى والبادى ، فى ذلك يقول أبو طالب :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل(٥)

خروجــه من مكة

وكان يخرج حول مكة يعمل فى رعى الغنم ، وروى ابن أبى شيبة أنه لما بلغ الثانية عشرة خرج مع عمه أبى طالب حتى بلغ بصرى ، فرآه بحيرا الراهب فعرفه بصفته ، وقال هذا سيد العالمين ، يبعثه الله رحمة للعالمين، وإنا نجده فى كتبنا ، وسأل أبا طالب أن يرده خوفا عليه من اليهود .

ثم خرج مرة أخرى ومعه ميسرة غلام خديجة فى تجارة لها ، حتى بلغ سوق بصرى ، وله حينئذ خمس وعشرون سنة ، ونزل تحت ظل شجرة ، فقال نسطورا الراهب ، ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبى ، وتضاعف ربحه فى تجارتــه .

وإذا عرفت أن اجتماعه مع بحيرا فى المرة الاولى ، ومع نسطورا فى المرة الثانية لم يتجاوز الساعات المعدودة ، تدرك مدى الاغراق فى الخيال والبعد عن الحقيقة فيما زعمه بعض المستشرقين الحاقدين ، من أنــه تلقى علم أهل الكتاب عن ذينك المصدرين ، ويكفينا أن نرد عليهم بقول اللـــه سبحانه « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينـك اذن لارتـاب المبطلون » (٦) . وانه كان يسفه مزاعم أهل الكتاب التى تتنافى مع عقيـدة التوحيـد الخالص ، وصدق الله العظيـم « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا لــه لحافظون » (٧) .

زواجــه

ولما عاد من رحلته ورات خديجة آثار أمانته وبركته عرضت نفسهـا

عليه وكانت سنها اربعين سنة ، فتزوجها وكان ابن خمس وعشرين سنة ، واقدم على ذلك وهو يعلم انها أرمل وتزوجت قبله بعلين ،ولم يتزوج عليها حتى توفيت ، وكان وفيا لها مقدرا لمواقفها وخصائصها فى حبها للخير ورجاحة عقلها ، واستمر على هذا التقدير بعد وفاتها .

حلف الفضول

وقد ساهم صلى الله عليه وسلم في عنفوان شبابه فى حلف الفضول ، وكان أكرم حلف سمع به العرب وأشرفه ، وخلاصته ان رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة ، واشتراها منه العاص بن وائل ، وكان ذا قدر وشرف بمكة ، فحبس عنه حقه ، فاستعدى عليه الزبيدى الأحلاف عبد الدار ومخزوما وجمحا وسهما وعديا ، فأبوا أن يعينوه على العاص ، فعلا جبل قبيس فنادى بشعر يصف فيه ظلامته رافعا صوته ، فسعى في ذلك الزبير بن عبد المطلب ، وقال : ما لهذا مترك ، فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم ابن مرة فى دار ابن جدعان فصنع لهم طعاما ، وتحالفوا فى ذىالقعدة فى شهر حرام قياما ، فتعاهدوا وتعاقدوا بالله ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم ، حتى يؤدى اليه حقه ، ثم مشوا الى العاص وانتزعوا منه حق الزبيدى ، وقال الزبير :

ان الفضول تحالفوا وتعاقدوا ... أن لا يقيم ببطن مكة ظالم
امر عليه توافقوا وتعاقدوا ... فالجار والمعتز فيهم سالم

قال ابن اسحق فحدثنى محمد بن زيد التيمى انه سمع طلحة بن عبد الله يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لى به حمر النعم ، ولو دعى به فى الاسلام لأجبت (٨) .

بناء الكعبة

وكان السيل هدم الكعبة قبل الاسلام فتعاونوا على بنائها ، وشارك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى ذلك ، وكان ينقل الحجارة معهم ،ولما انتهوا الى موضع الحجر الأسود تنازعوا أيهم يضعه ، ثم اتفقوا على أن يرتضوا بأول من يطلع عليهم من باب بنى شيبة ، فكان صلى الله عليه وسلم وكانوا يعرفونه بالأمين لوقاره وهديه وصدق لهجته ، واجتنابه القاذورات والأدناس،فحكموه فى ذلك وانقادوا لقضائه كما هو معلوم(٩) .

اختياره لرسالة ربه

ولما اكتمل نضجه وتم إعداده وبلغ اربعين سنة ، اختار الله أفضل خلقه لأكرم رسالة ، وبعثه للناس كافة بشيرا ونذيرا ، ورحمة للعالمين .

ولما نزل عليهالملك بآيات القرآن الكريم رجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده، حتى دخل على خديجة وأخبرها بما جرى ، قالت : فوالله لا يخزيك الله أبدا ، انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل

وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق .
وهذه الصفات التى تحدثت بها خديجة رضى الله عنها تنبىء عما جبل عليه صلى الله عليه وسلم من حب الخير وبذل العون والمساعدة ، وكريم الأخلاق التى عرف بها قبل الرسالة ، وان المتأمل فى صفحات سيرته ، والمدقق فى مراحل شريعته وسنته ، وقد خلا قلبه من الغل والحقد والحسد، يرى بعينى بصره وبصيرته ، ما يجعله يؤمن بأن هذه الشريعة السمحة ، وما تضمنته من مبادىء سامية هى شريعة الله الى خلقه ، لانقاذهم من مهاوى الجهالة والمفاسد ، والقضاء على أسباب الفتن والعداء ، والارتفاع بالبشرية الى درجة المحبة والاخاء والوفاء ، من غير عصبية ولا تكبر ولا استعلاء ، ونشر الوية العدالة المطلقة بين البشر ، والمساواة والحرية والأمان ، لا يفرقهم عرق ولا لون ، ولا لغة ولا مكان ، ولا حسب ولا نسب، فالكل أمام قانون هذه الشريعة سواء .
وإنما نبين بعض تلك المبادىء من كتاب الله وسنة رسوله للذكرى والاتعاظ « وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين »(١٠) .
١ ــ « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله »(١١) .
٢ ــ « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا أعدلوا هو أقرب للتقوى »(١٢) .
٣ ــ « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم »(١٣) .
٤ ــ « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم »(١٤) .
٥ ــ « ولقد كرمنا بنى آدم »(١٥) .
٦ ــ قال الرسول صلى الله عليه وسلم : عليكم ما تطيقون من الأعمال ، فان الله لا يمل حتى تملوا (١٦) .
٧ ــ قال الرسول صلى الله عليه وسلم : الخلق كلهم عيال الله وأحب خلقه اليه انفعهم لعياله (١٧) .
٨ ــ ان النبى صلى الله عليه وسلم مرت به جنازة فقام ، فقيل له : انها جنازة يهودى ، فقال : اليست نفسا ؟ (١٨)
٩ ــ قال صلى الله عليه وسلم : ايما أهل عرصة ظل فيهم امرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله (١٩) .
١٠ ــ إن الله فرض للفقراء فى أموال الأغنياء قدر ما يسعهم ، فان منعوهم حتى يجوعوا أو يعروا أو يجهدوا حاسبهم الله حسابا شديدا وعذبهم عذابا نكرا (٢٠) .
١١ ــ إن الأشعريين اذا أرملوا فى الغزو أو قل طعام عيالهم فى المدينة جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم باناء واحد بالسوية ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم : فهم منى وأنا منهم (٢١) .

١٢ ــ قال صلى الله عليه وسلم : والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تراحموا ، قالوا : كلنا رحيم يا رسول الله ، قال : انــه ليس برحمة أحدكم ، يعنى نفسه وأهل خاصته ، ولكن رحمة العامة (٢٢) .

١٣ ــ قال الرسول صلى الله عليه وسلم : قال اللــه عز وجل : ان كنتم تريدون رحمتى فارحموا خلقى (٢٣) .

١٤ ــ قال الرسول صلى الله عليه وســلم : إن أحبكم الى الله أحسنكم أخلاقا ، الموطئون أكنافا ، الذين يألفون ويؤلفون ، وان أبغضكم الى الله المشاءون بالنميمة الملتمسون العثرات ، المفرقون بين الاخوان(٢٤)

١٥ ــ قال صلى الله عليه وسلم : أد الأمانة الى من ائتمنك ، ولا تخن من خانك (٢٥) .

١٦ ــ قال صلى الله عليه وسلم : أحب للناس ما تحب لنفسك (٢٦) .

١٧ ــ قال صلى الله عليه وسلم : المؤمن من أمن الناس على أموالهم وأنفسهم (٢٧) .

١٨ ــ ان النبى صلى الله عليه وسلــم كان إذا بعث جيشـــا قال : انطلقوا باسم الله ولا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا صغيرا ولا امــرأة ، ولا تغلوا ، وضموا غنائمكم واصلحوا واحسنوا إن الله يحب المحسنين (٢٨) .

١٩ ــ حينما بعث أبو بكر جيوشا الى الشام كان من امــراء الجيش يزيد بن أبى سفيان وقد أوصاه بقوله : لا تقتلن امرأة ولا صبيا ولا كبيــرا هرما ولا تقطع شجرة مثمرة ولا تخربن عامرا ، ولا تعقرن شاة ولا بعيرا ، إلا لمأكلة ، ولا تغرقن نخلا ولا تحرقنه ، ولا تغلوا ولا تجبنوا (٢٩) .

هذا غيض من فيض يدل على سمو المبادىء والخصال التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو اليها ، ويعتبرها جزءا من رسالته وهى من دلائل عظمته ، وعظمة الرسالة التى حملها الى البشرية .

تاريخ الميـــلاد

المشهور فى العالم الاسلامى قديما وحديثا أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين فى ١٢ ربيع الأول ، اعتمادا على ما ذكر فــى كتب السير مثل محمد بن اسحاق والسيرة الحلبية وغيرهما ، ولكن محمود باشا الفلكى فى كتابه « التقويم العربى قبل الاسلام ، وتاريخ ميلاد الرسول وهجرته صلى الله عليه وسلم » ترجمة حفيد المؤلف السفير محمود صالح الفلكى ، بعد أن استعرض ما فى المراجع العربية وغير العربية ، القديمـــة والحديثة ، من أصحاب السير والمؤرخين وعلماء الفلك ، وصل الى نتيجـــة هى : أن النبى صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين فى ٩ ربيع أول الموافق ٢٠ أبريل (نيسان) سنة ٥٧١ م (٣٠) .

وقد اعتمد هذا التاريخ كثير من العلماء والمؤلفين المعاصرين نظرا لما يتمتع به المؤلف من خبرة وثقة واطلاع واسـع .

أول من احدث الاحتفال بالمولد

لم يعرف عن أحد من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ولا عــن

التابعين وتابعيهم أنهم كانوا يحتفون بذكرى المولد النبوى الشريف ، لأنهم كانوا معنيين بتطبيق شريعته ، والأخذ بسنته ، والاقتداء بهديه ، عملا بقول الله سبحانه : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا »(٣١) .

ولما تباعد المسلمون عن تنفيذ شريعة الله ، والأتساء بهدى رسول الله ، وساد المجتمعات كثير من أنواع الفساد والمنكرات لجأ بعض الناس الى احداث مثل هذه الاحتفالات بنية حسنة أو غير حسنة ، لاظهار تعلق الناس بمحبة رسول الله ، وكل ما يتصل به ، أو لاتخاذ ذلك وسيلة لأخذ الأموال والعطايا والهبات .

وقد أحدث الاحتفال بالمولد النبوى فى عهد الملك مظفر الدين بن زين الدين ، صاحب اربل سنة ستمائة هجرية ، أحدثه له بعض الصوفية ولم يكن له أصل فى الدين .

وذكر ابن كثير أن أبا الخطاب عمر بن الحسن الأندلسى الدانى المحدث (المعروف بابن رحية) اشتغل ببلاد المغرب ثم رحل الى الشام ثم الى العراق واجتاز اربل سنة اربع وستمائة ، فوجد ملكها يعتنى بالمولد النبوى ، فألف له كتاب « التنوير فى مولد السراج المنير » فقراه عليه واجازه بألف دينار ، وقد انتقد فى اقدامه على ذلك وهو من رجال الحديث الشريف .

وكان صاحب اربل ينفق على المولد فى كل عام ثلثمائة الف دينار ، وقد ذكر تفاصيل ذلك فى تاريخ ابن خلكان وشذرات ابن العماد وتاريخ ابن كثير (٣٢) .

وقد افتن المسلمون بعد ذلك أنواعا من الاحتفالات والتظاهرات ، وبعضها يجمع من الفتن ما يجب الترفع عنه خصوصا فى هذه الذكرى العطرة .

رأى

والذى أراه أن المسلمين لو عادوا الى دينهم ليغترفوا من ينابيعه الأولى مناهج حياتهم ، لكانت سنة الرسول صلى الله عليه وسلم موضع الرعاية والعناية والتنفيذ ، ولا ستولى على مجتمعاتهم الطابع الاسلامى ، الذى يجعل من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وهديه مشعلا يضىء لهم سبيل السلوك الصحيح فى سائر ميادين حياتهم ، ولاستغنوا عن الاشتغال بهذه المظاهر التى لا ينفذ منها شىء الى قلوبهم ، ولا تغير من أساليب حياتهم ومظاهر سلوكهم .

ولو أنهم اقتصروا فى هذه المناسبة على تعداد مناقب الرسول ومواقفه فى جهاده وتضحياته وسلوكه فى الحياة ، وأظهروا نواحى عظمته التى كانت من أسباب نشر دعوته ، لكان فى ذلك جنوح الى الاستفادة من هذه الذكرى العطرة بجعل الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، مثلا يحتذى ويقتدى .

حالة المسلمين فى هذه الذكرى

جعل الله العزة من صفات المؤمنين ، قال سبحانه : ولله العـــزة ولرسـوله وللمؤمنين ، ولكن المنافقين لا يعلمون (٣٣) . وقال صلى الله عليه وسلم : إذا ذلت العرب ذل الإسلام (٣٤) .

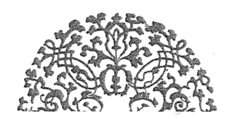
ولكننا نرى بأعيننا هذه المهانة الكبرى التـــى اظلت ديار العروبـــة والاسلام ، اينما اتجهنا ، نتيجة تآمر قـوى الشر والطغيان والاستعمـــار بجميع انواعه والوانه ، ودعم الصهيونية العالمية فى احتلال الديار المقدسة وتشويه معالمها والقضاءعلى حضارتها وازالة آثارها العربية والاسلامية ، حتى بلغ بهم الاستهتار الاعتداء على المسجد الأقصى المبارك بالقـــدس ، وعلى المسجد الابراهيمى الشريف بالخليل وانتهاك حرماتهما وحرمات اماكن مقدسة أخرى . وقد زادوا عتوا واستعلاء حين اعتدوا اخيرا على لبنان فى الأعماق ، مستعينين بقوات بريـــة وجويـــة وبحريـــة ، ليقتلوا الآمنين من الشيوخ والنساء والأطفال ، وحين اعتدوا على الطائرة الليبية المدنية فقتلوا منا ما يزيد على مئة شخص من الأبريـــــاء ، ولم نر من البلاد العربيـــة أو الاسلامية الا الحسرات والزفرات والأنات والآهات ، ومن الراى العـــام العالمى إلا كلمات التأنيب حينا وكلمات التبرير حينا آخر ، حتى اخذ العربـــى والمسلم يتساءل عما أصاب العرب والمسلمين من تخاذل وتفكك ، وانحـــلال واضمحلال ، ومتى تتحرك جيوشهم وقواهم لرد العدوان ، وماذا يفيدهـــم الاحتفال بمثل هذه الذكرى وهم ابعد ما يكونون عن أن يمثلوا صفة العـــزة والقوة والاعتصام ؟ مع أنهم لو جمعوا قواهم وبادروا لتحمل مسؤولياتهـــم وبذلوا انفسهم ونفائسهم فى سبيل الله ، لكانوا قوة يحسب حسابها ،لهابهم أعداؤهـــم ولحققوا هـــدف قول الرسول الأعظم « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضـــو تداعى له سائـــر الجسد بالسهر والحمى (٣٥) .

ولنفذوا ما ترمى إليه الآية الكريمة : كنتم خير أمـــة أخرجت للنـــاس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله (٣٦) .

ولعملوا بقول الله سبحانه : « إن الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله ، فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليـــه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ؟ فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم »(٣٧) .
غفور رحيم »(٣٨) .
وذلكم هو السبيل الذى يرضى الله ورسوله عنا ، ويجعلنا جديريـــن بنسبتنا الى هذا الرسول العظيم ، ويحقق لنا محبته ، كما قال سبحانـــه : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم اللـــه ويغفر لكم ذنوبكم واللـــه غفور رحيم » (٣٨) .

واخيرا أختم هذا البحث بقول الحسن البصرى : ليس الإيمان بالتحلى ولا بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقته الأعمال (٣٩) .

فنسأل الله أن يلهم قادتنا وولاة أمورنا رشـــدهم وصوابهـــم ، وأن يوفقهم للالتحام فى موقف موحد يدفع عن الجميع العار والشنار والذلـــة والمهانة ويصل بنا الى درجة العزة والشرف والكرامة .



---

(١) ٨٤ آل عمران.
(٢) نبى الانسانية للاستاذ احمد حسين .
(٣) ١٢٤ الانعام .
(٤) مختصر السيرة لمحمد بن عبد الوهاب .
(٥) البخارى ، ومختصر السيرة للشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب .
(٦) ٤٨ العنكبوت .
(٧) ٩ الحجر .
(٨) و (٩) مختصر السيرة للشيخ عبد الله ابن محمد بن عبد الوهاب .
(١٠) ٥٥ الذاريات .
(١١) ٦٤ آل عمران .
(١٢) ٨ المائـــدة .
(١٣) ١٣ الحجرات .
(١٤) ١٠٨ الانعام .
(١٥) ٧٠ الاسراء .
(١٦) البخـــارى .
(١٧) البزار والطبرانى فى معجمة .
(١٨) البخارى .
(١٩) ابن ابى شيبة فى مسنده .
(٢٠) الخطيب ـــ المنذرى .
(٢١) البخارى ومسلم .
(٢٢) مستدرك الحاكم .
(٢٣) أحمد بن عدى ـــ الكامل .
(٢٤) ابن الخطيب .
(٢٥) البخارى فى التاريخ .
(٢٦) البخارى فى التاريخ .
(٢٧) ابن ماجه .
(٢٨) أبو داود .
(٢٩) مالك ، وقد ذكرت هذا وان كان قـــول الخليفة الاول ابى بكر الصديق ، رضى الله عنه ، لانه يمثـــل وجهـــة النظر الاسلامية ، التى تلقاها أبو بكر عـــن استاذه وأستاذ البشرية محمد رسول الله صلى الله علية وسلم .
(٣٠) صفحة ٤٤ .
(٣١) ٢١ الاحزاب .
(٣٢) معارف السنن شرح سنن الترمـــذى لمحمد يوسف البنورى ج ٤ ص ٤٣٧ .
(٣٣) ٨ المنافقون .
(٣٤) أبو يعلى فى مسنده .
(٣٥) البخارى ومسلم .
(٣٦) ١١٠ آل عمران .
(٣٧) ١١٢ توبة .
(٣٨) ٣١ آل عمران .
(٣٩) البخارى .



للأستاذ على الطنطاوى

اخذت القلم ، وقعدت لاكتب المقالة التى شرفنى الأستاذ رضوان حين كلفنى كتابتها للجزء الممتاز من المجلة ــ فورد على وارد صرف ذهنى عنها ، وجعلنى أسائل نفسي : لماذا اكتب ؟ وما الفائدة من الكتابة ؟

هل نفعتنا الأحاديث والخطب والمقالات ؟

لقد خطبت اول خطبة عامة سنة ١٣٤٥ هـ (من نحو نصف قرن) وما زلت أخطب ، وكتبت من تلك الأيام وما زلت أكتب ، وحدثت فى الاذاعة من يوم انشئت محطة الشرق الأدنى فى (يافا) قبل الحرب ، وما زلت احدث .

ويخطب ويكتب ويحدث عشرات وعشرات ممن هم أصفى منى جنانا ، وأكثر ايمانا ، وأفصح لسانا ، وأجلى بيانا ، واقدم زمانا ، خطبوا على كل منبر ، وكتبوا فى كل جريدة ومجلة ــ وحدثوا من كل اذاعة ــ فماذا كانت ثمرة هذا الجهد كله ؟

هل نحن اليوم فى مجتمعاتنا : فى بيوتنا ، فى مدارسنا ، فى محاكمنا ، فى أسواقنا ، فى أزياء نسائنا ، وسلوك شبابنا ــ هل نحن اليوم اقرب الى الاسلام أم قبل خمسين سنة ؟

من كان يقدر أن يتصور يومئذ أننا سنصير الى ما صرنا اليه اليوم ؟

---

* حالت ظروف البريد دون نشر هذا المقال فى عدد ربيع الأول .

ومالى أفرض الفروض ، واقــدر الوقائع ، وعندى رسالة لى مطبوعة سنة ١٣٤٧ هـ ، عنوانها (دمشق بعد تسعين سنة) ، صورت فيها بخيـال شبابى الجامح أغرب ما (وصل اليه) خيالى . فإذا الذى حدث فعلا — فى خمس واربعين سنة يسبق ما تخيلت وقوعه فى تسعين سنة !

نعم ، والرسالة مطبوعة موجودة ، وحالنا قائم ملموس بل لو تخيل رجل فى الكويت قبل ربع قرن حال الكويت اليوم ، لحسبوه قد جن ّ وفقد العقل

فلماذا انتهت جهودنا الى الهزيمة والفشل ؟

فكروا : لمــاذا ؟

لو استقريتم أفــراد المسلميـن لوجدتم الكثرة الكاثرة لا تزال تؤمـن بالله واليوم الآخر ، أو تريــد أن تعد ّ من المــؤمنين ، وتكـره أن توصـف بالالحاد أو بالفساد ، ولوجدتم فيهـم علماء كثيرين ، وخطباء وواعظين ، ومحاضرين ومدرسين ، كلهم يدعو الى الله ، أو يحب أن يعد ّ مع الدعاة اليه .

ووجدتم المساجد لا تزال عامـرة بالمصليـن ، وخطب الجمعة تعلـن بالمكبر ّات والاذاعــات والمـدارس لا تزال تدرس فيها علوم الدين ، وان مسخت مناهجها ، ونقصت ساعاتها، والاذاعات لا تزال تبدأ برامجهـا بالقرآن وتختمهـا بالقـرآن ، وان وضعت بعد القرآن فى الافتتاح عزفا على العود ، وقبل القرآن فى الختام مسرحية تكشـف فيها العورات ، وتظهر فيها المحرمات .

فكيف استطاع الدعاة من أعـداء الاسلام (مع هذا) أن ينجحوا مـن حيث فشلنا نحن دعاة الاسلام ؟

الا ترون أن هذه المسألة تستحق أن تعرض فى العدد الممتاز ، وان نجد لها الجواب ؟

اكان ذلك لأن الذى ندعو اليـه باطل ؟

هذا محال ، لأن الاسلام صيغ من جوهر الحق ، لا من أعراض الأوهام أم كان لأن الاسلام بليت حقائقه ، فلم تعد تقوى على مواجهـة الخطوب ، فى عصر تفجيـر الذرة ، واقتحـام الفضاء ؟

كلا ، فالإسلام كان جديدا لما جاء ، وبقى جديداً ، لا يبلى ولا يتقدّم الا فى الأذهان التى تعجز أو تكسل أو تزهد فى كشف أسرار القرآن ، وهى لا تنفد على مر ّ الزمان ، ولا تزال ابدا يفيض نبعها لمن يعرف طريق الاستقاء منها ، ولا يزال الذهن البشرى يكشف فى كل عصر من هذه الأسرار ما لم يكشفه السابقون .

لقد أظهر تقدم العلوم فى أيامنـا معانى آيات — كانت فى خفاء — وكان المفسرون يحاولون ادراكها ، فيحومون ولا يصلون ، ولا تزال فى القرآن آيات فيها اشارات وتلميحات لأسرار سنن الله فى الوجـود ، وقوانينـه فـى الطبيعة ، لم يصعد العلم بعد الـى الذروة التى يكشفها منها — وهذا من الأدلة على أن القرآن كتاب لم يخرج من فكر بشرى — لأنه يستحيل علـى انسان مهما كان عبقريا ، أن يشيـر الى علوم لم يكن فى أيامه ، ولا بعد أيامه بألف سنة من عرفها أو سمـع بها ، أو قدر وجودها .

كلا — أقولها مرة ثانية ، فالاسلام كان صالحا لعصر محمد وصحبه ، وبقى صالحا فـى عصر الـذرة والصاروخ ومركبات القمر ، وسيبقى صالحا ، وسيبقى دستور الحـق والخير والجمال ، وطريق سـعادة الجسم والعقل والروح فى كل عصر .

وهذه دعوى ضخمة ، ولكن معنا دليلها ، وهو دليل أضخم من الدعوى فلم يكن هذا الفشل اذن لـ (قصور) فى الإسلام ، فهل كان لـ (تقصير) منا

في الدعوة الى الاسلام ؟

لاننا لم نستطع أن نستخرج من أصول الاسلام (من الكتاب وصحيح السنة) الأقضية والأحكام الملائمة لهذا الزمان ، ولأننا (أو لأن مشايخنا) وقفوا عند كتب الفقه ، يقرؤونها ويعيدونها ، لا يستطيعون الكلام عما ليس فيها ، وعمّا جدّ من الأوضاع والمعاملات بعد موت مؤلفيها ، فلما لم يجد الحكام عندهم حلاً لمشكلات العصر من شرع الله ، عمدوا الى قوانين الأجانب فأخذوها ، وتركوا دينهم لها ، فكان علينا قسط كبير من تبعة هذا الذنب الكبير ، كما قال ابن القيم في (الطرق الحكمية) ؟

* * *

أم لأننا ندعو الناس ، وندعو الشبان والشابات الى الدين بغير الأسلوب الذي يصلح لدعوتهم ، واننا نخاطب أهل هذا العصر بلغة العصور المواضي ، نفتح الكتاب المؤلف من قرون ونقرأ عليهم منه ، فلا يسمعون منا ، ولا يفهمون عنا ؟

أم لطبيعة الوعظ ، وانه ثقيل على النفس ، لأن النفوس تهوى الانطلاق والشرع يقيدها ، وتميل مع اللذة حيث مالت والشرع يعدلها .

هذا واقع ، ولكن العقل ايضا (كاسمه) قيد ، والحكمة قيد ، واسمها مشتق من حكمة الدابة ، والقوانين قيد ، والحضارة قيد ، والذي يريد أن يتفلّت من كل قيد يصير مجنونا ، فالمجنون هو الحر الحرية المطلقة ، يعمل كل ما يشاء ، يمشي عاريا ، يعرّي امرأته ونساء المسلمين ، يركب على كتفي سائق السيارة ويدلي ساقيه ــ يمنع لصوص الأموال ويسمح للصوص الأعراض ، يحارب من يأتي ليفسد صحة الناس ، أو يزهدهم بالولاء لوطنهم ، ويدعوهم للولاء لاسرائيل ، ويسالم المبشرين الذين يريدون اخراج أولاد المسلمين من دينهم ، وادخالهم في دين غيره ــ هذا الذي له الحرية المطلقة التي يفعل بها ما يشاء ، وهذا هو المجنون .

أم لأن فيها من يجمل في الدعوة ولا يفصّل ، فيكون كراكب الطيارة تعلو جدا حتى لا ترى الكويت الا نقطة سوداء ، على سيف البحر ، فيصفها فلا يفيد وصفه اياها . ومن يفصّل قبل الاجمال ، كمن تريد منه وصفا عاما للكويت ، فيصوّر لك داره فيها ، ويذكر كل ما في الدار ، من أثاث ورياش وأزهار وأشجار ، فلا تفهم من ذلك شيئا عن وضع الكويت .

أو يزيد على ذلك فيدعي أن داره هي الكويت ، ويردّ عليه جاره فيصف دار نفسه ويظن أنه وصف الكويت .

نعم ، منا من ينادي بالرجوع الى الاسلام ، ويكرر ذلك ويعيده ، ولكن لا يبيّن كيف يكون الرجوع الى الاسلام ، كخطباء الجمعة ، يأمرون بتقوى الله ، وهذا حق ولكن لا يوضحون للناس كيف يتقون الله ، فلا يستفيدون من قولهم (اتقوا الله)

ومنا من يأخذ بعض الفروع فيجعلها هي الدين ، ويلقنها الشبان الناشئين، يبدأوهم بها قبل تصحيح العقيدة ، وقبل معرفة الكبائر لاجتنابها ، والفرائض للقيام بها .

ثم نختلف على هذه الفروع ، ونتجادل ونختصم ، ونضيع بأسنا بيننا ، ومعول الالحاد ، و (ديناميته) يعمل في أساس بناء الاسلام ، فاذا تصدعت العمارة ومالت الى السقوط، هل يهتم أحد بكسر قفل الباب ، أو زجاج النافذة ؟

اذا كان المريض المصاب بسرطان القلب تحت أيدي الجراحين ، في غرفة العمليات وهم يعدون الثواني يخافون أن يعاجله الموت قبل اتمام العملية ، هل يهتم أحد بشوكة دخلت تحت ظفره ؟

فما لنا نهتم بالفروع والأغصان ،

وجذع شجرة الاسلام ، مهدّد بالكسر ، لا سمح الله ، ولن يسمح ان شاء الله ، لأن الله تعهد بحفظ هذا الدين فالدين محفوظ ولكن الامتحان لنا ، فاما ان ننصر الله فينصرنا ، واما أن نخذل شرعه ، فيستبدل بنا قوما غيرنا يدخل في الاسلام شعب من الشعوب الحية ، فيحمل لواءه ، ويعلي مناره ، ونكون نحن (لا قدر الله) كفقراء اليهود ، لا دنيا ولا دين .

. . .

أم لأن فينا من يعظ الناس ولا يتعظ ، ويأمر بالمعروف ولا يأتيه وينهى عن المنكر ويقع فيه ، يكذب بلسان حاله ، ما جاء بلسان مقاله ، يخالف فعله قوله ، وتناقض سيرته وعظه ، فينفر ضعاف القلوب من الدين ، ويكون حجة لهم على الصادقين من الداعين .

أم لأن منا من آثر دنياه على آخرته ، ورضا الحكام على رضا الله ، فوقف على أبوابهم ، ومشى في ركابهم ، فلما رأى ذلك العامة ، ظنوا بان جميع الداعين ، مثل هؤلاء المنحرفين ، مع أن الله لا يخلي هذه الأمة من علماء يريدون وجهه وحده ، يصدعون بالحق ، لا يقولون إلا ما يرضي الله ، فاذا عمت الفتنة ، وعلت الضجة ، ولم يعد يسمع صوت الحق ، كان أقصى أمرهم أن يسكتوا ويعتزلوا ، وينكروا بقلوبهم ، لا يسايرون أحدا قط على حساب دينهم .

. . .

أم لأن الهجوم علينا كان أقوى من دفاعنا ، لأننا لم نعد للمعركة (معركة الالحاد والفساد) ، خططا محكمة كخطط عدوّنا ، بل نحن لم نعرف ماذا يخطط لنا العدوّ ، الذي يدخل علينا من كل باب ، من مناهج المدرسة ، وازياء الثياب ، ووسائل الاعلام ، وقوانين الدولة ، وما تخرج المطابع من كتب ، وما يشتمل عليه الفن من أشكال والوان ، من كل ذلك يدخل علينا العدوّ ونحن لا ندري ، ولا أظن أن الله سيعذرنا لأننا لم نكن ندري .

فكنا نقعد حتى ينال عدو الاسلام منا منالا ، فنثب وثبا قبل أن نحدّد سبيلنا وندخل المعركة قبل أن نجمع جندنا ، ونسوّي صفوفنا ، ونؤلف بين قلوبنا ، فننهزم ننهزم لأن الله جعل لكل شيء سببا ، فمن أخل باستيفاء أسباب النصر ، فرّ منه النصر ، وصحابة رسول الله صلى الله عليه ورضي عنهم كانوا اكرم على الله منا ، وهم مع ذلك قد هزموا في (أحد) لما تركوا بعض أسباب النصر التي قدرها الله له ، كما قدّر الأسباب كلها والمسبّبات ، فخالف الرماة أمر قائدهم ، وتركوا مواقعهم ، افنطمع أن ينصرنا الله ، وقد قطعنا أسباب النصر كلها ، ما اتصل منها بالأرض وما ارتبط بالسماء ؟

لقد فقدنا ارثنا من الحماسة والنشاط ، وتسللت الى عروقنا جراثيم الخمول والكسل ، فآثرنا الراحة على العمل ، ولبستنا حقيقة ؟ يوجعني الاعتراف بها ، ويشد على صدري حتى أحسّ بالاختناق ولكنها تبقى حقيقة .

حقيقة أعترف بها ، وذقني من الخجل تضرب صدري ، وبصري من الحياء الى الأرض ، هي أن أهل الباطل لهم من ايمانهم بباطلهم ، وحماستهم له ، ودفاعهم عنه ، وبذلهم في سبيله المال والنفس ، اكثر مما لنا (نحن أهل الحق) من الايمان بحقنا ، والجهاد في سبيله ، وحمل الأذى في الذود عنه .

انهم يمشون الى مجاهل الأرض ، يسكنون الأكواخ كأنها قبور ، ويصبرون على معاشرة أصحابها ، ليدعوهم الى ما يؤمنون هم به ، ومنهم

من يقاتل فى سبيل معتقده الأرضى ، اقوى دول الأرض ، التى الهبت بطياراتها بلده بالنار ، واشاعت فى أقطاره الدمار ، وهو ماض لاينثنى ..

ونحن ... نحن المؤمنين بأن الجهاد أصل من أصول ديننا ، نحن الذين نؤمن بأن شهيدنا حيّ فى ضيافة ربنا ، نحن أبناء من مشوا على أرجلهم ، من المدينة الى قلب فرنسا من هنا ، وقلب الهند من هناك ، ففتحوها كلها ، لا ليأكلوا خيراتها ، بل ليهدوا الى الحق أهلها ، ويحملوا اليهم من هذا الخير الذى أنزله الله من السماء ، على غار حراء ، نحن .. ننتهى الى هذه النهاية ؟!

يحتل اليهود قبلتنا الأولى ، ومسرى نبيّنا ، وتتحدانا امرأة عجوز ونحن سبعمائة مليون ، وامرأة أخرى تمسك بخناق تسعين الف أسير منا ، تسعون الفا كآساد الشرى ... يا أسفى !

ما أشد السقطة على رفيع القدر ، عالى المقام !

ولكن هذا ذنبنا . نحن الذين أبعدنا الاسلام عن معركتنا ، فأبعدنا بذلك النصر عنا .

اننا ما هزمنا لنقص العدد فنحن سبعمائة مليون ، ولا لنقص المال فعند المسلمين من الأموال أكثر مما عند اليهود ، ولا لقلة السلاح فعند المسلمين من السلاح أكثر مما عند اليهود ، ولا لقلة العلماء فعند المسلمين من العلماء (بعلوم الكون) أكثر مما عند اليهود ولكن لقلة الدين .

لقد ضعنا بذلك وأضعنا الشباب

على أن فى الشباب بحمد الله — فى الشباب والشابات فى الشام ومصر والأردن وغيرها رجعة قوية الى الاسلام ، رجعة من الله ليست بعملنا ولا بجهودنا ، رجعة وان تكن فى نطاق ضيق ، وفى عدد قليل ، لكنها قوية راسخة ، وان كان من المؤسف أن عيوبنا انتقلت اليهم ، خلافاتنا ، تمسكنا بالفروع قبل الأصول ، تفرقنا فرقا ، فيا ليت أبنائى وبناتى من الشباب والشابات يعتبرون بنا ، ويجتنبون نقائصنا ومعايبنا .

ان هذه المعايب جعلتنا يا أولادى نصير الى الضياع .

كلمة حق أقولها لكم ، والحق يقال ويسمع ، ولو كان مرّا . نحن يا أولادى لم يبق فينا أمل ، نحن الشيوخ (أعنى بالسنّ) ، نحن جيل الضياع ، جيل الهزيمة ، نحن أضعنا فلسطين ونحن سبعمائة مليون ، فالأمانة الآن فى أعناقكم أنتم ، والحمل على عواتقكم ، فلا تكونوا مثلنا .

لو أن سبعمائة مليون فأرة ، (والعفو من قبح المثال) هجمت على لندن أو نيويورك لهرب منها أهل نيويورك أو لندن ، فلماذا لا نصنع شيئا ؟ ما السبب ؟

لا أناقش ولا أتفلسف بل أقرر حقيقة ، لو أن ولدك مرض فأخذته الى طبيب فأعطاه دواء زاده مرضا ، فأخذته الى آخر فأعطاه الدواء الذى كان فيه الشفاء ، أفبعد هذه التجربة مجال لمقال ؟

التجربة أصدق برهان ، ونحن قد جربنا يوما ادخال الاسلام الى المعركة فاستنقذنا به القدس من أيدى جيوش أوروبة كلها بعدما ملكوها أكثر من تسعين سنة .

وجربنا إبعاد الإسلام عن المعركة فأضعنا القدس بعدما كانت فى أيدينا ومع ذلك نجد صعوبة بالغة فى افهام المسلمين — هذه الحقيقة الظاهرة — أفليس هذا عجيبا ؟

...

قلت فى مطلع هذه المقالة انى بدأت اكتب وأخطب من أكثر من خمس

واربعين سنة ، عما الذى أثمرته هذه الكتابات وهذه الخطب ، وما كتب الكتاب الاسلاميون قبلى كالسيد رشيد رضا ، والأمير شكيب أرسلان ، وخالى محب الدين الخطيب، والأساتذة فريد وجدى وعبد العزيز شاويش والغمراوى وغيرهم ، ومن جاء معي أو بعدى ممن لا يحصيهم عدد — ولا يجهلهم أحد — فماذا كان حصاد هذا الجهد كله ؟

لقد شهدنا فى هذه السنين الخمسين عرى الإسلام تنقض عروة عروة ، وصرح الاسلام يهدم حجرا حجرا ، وأهل الخير والحق كل يوم الى ضعف وقلة ، وأهل الشر والباطل كل يوم الى قوة وكثرة .

وكنت أبحث عن السبب ، وذكرت ما خطر على بالى من الأسباب ، وفى كلها قدرت النقص فينا ، والذنب علينا ، نحن الدعاة ، أو الكتاب والخطباء الاسلاميين ، فلم لا يكون النقص فيكم أنتم أيها القراء ، والذنب عليكم ؟ أو فينا وفيكم معا ؟ ونكون مسؤولين جميعا ؟

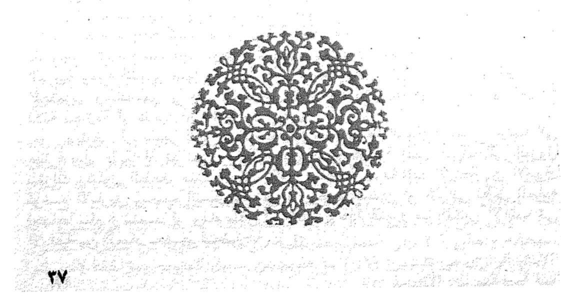
اضرب لكم مثلا ، اسكتوا كلكم قليلا . هل تسمعون فى الغرفة صوتا ؟

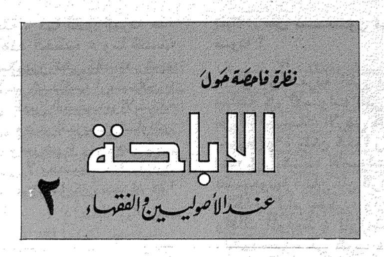
ان جو الغرفة التي (ترونها) ساكنة كل الأصوات التى تخرج الآن من اذاعات الأرض كلها انكم لا تسمعونها ، ولكن هاتوا رادّا (راديو) فانه يردّ هذه الأصوات عليكم فتسمعونها ، فان كان الراد بلا ذخيرة (بطارية) لم يفدكم ، وان وجد — وكذلك المواعظ ، المواعظ موجودة ولكنها تحتاج الى قلوب ، والقلوب لا تفيد ان كانت تحتاج الى بطاريات فاستحضروا قلوبكم وضعوا لها بطاريات ، تستفيدوا من كل ما تقرؤون وما تسمعون ولو كانت الموعظة من مقصّر مثلى .

ها هنا السر ، وهذا هو السبب فى الفشل الذى انتهت اليه دعوتنا خلال هذا الأمد الطويل .

ليس النقص فى المواعظ وفى الواعظين ، وان لم تبلغ ولم تبلغوا حدّ الكمال ولكن النقص فى القلوب الواعية .

اللهم يا من قلوب العباد فى يديه . أحى قلوب المسلمين ، وليّنها وارزقها الانتفاع بالموعظة ، اللهم آمين .





د . محمد سلام مدكور

أساليب الاباحة والصلة بينها وبين كل من الحل والصحة والجواز

تكلمنا فى مقال سابق عن الاباحة وموقف الأصوليين والفقهاء منها ، وبينا أن الاذن الذى يفيد الإباحة قد يكون مصدره الشرع وقد يكون مصدره العباد ، وقلنا إن إذن الشارع لا يسقط حق العباد ، وأن إذن العباد لا يسقط حق الله وذلك لأن حق الله ليس مجالا لإذن العبد ولا ترخيصه ، كما أن كل تصرف لا بد أن يكون فى حدود ما أباح الشارع وأذن به .

ويعنينا هنا أن نبين أساليب الإباحة :

والمراد بأساليب الإباحة ما يدل عليها وتستفاد هى منه سواء أكان ذلك بدلالة لفظية حقيقية كانت أو مجازية أم كان ذلك بقرينة من القرائن العقلية . فأساليب الاباحة متنوعة ، وهذا التنوع فى جملته مظهر من مظاهر ثروة اللغة العربية وقوة التعبير فيها والدلالة على أنها جديرة أن تكون مجالا لاجتهاد المجتهدين وتنافسهم فى فهم النصوص الشرعية ولاسيما فيما يدل على الاباحة دلالة مجازية أو كنائية أو عقلية .

وينبغى أن نشير الى أن الاباحة التى مصدرها العباد لا تحتاج دائما الى عبارة تدل عليها إذ قد تكون بعبارة تدل عليها كدعوة الضيف الى النزول بمنزلك وتناول الطعام عندك ، كما تكون بما يفيد عرفا تلك الاباحة من الأفعال كوضع الأباريق ونصب السبل للشرب ، ووضع الجفان أو الأوانى للأكل للعامة ابتهاجا ببلوغ مقصد أو وفاء بنذر أو كفارة وهذا النوع هو الكثير الأغلب فى الاباحة من العباد بعضهم لبعض .

أما بالنسبة للاباحة التى مصدرها الشرع ، فاننا بتتبع ألفاظ القرآن وهو المصدر الأول للتشريع لم نجد كلمة الاباحة ولا شيئا مما تصرف منها بفعل أو مشتق ، وإنما يوجد فى أساليب القرآن كما يوجد فى السـنة النبوية ما يدل عليها دلالة صريحة تارة . فلا يحتاج اللفظ الى قرينة يعتمد عليهـا فى إفادة الاباحة ، وما يدل عليها دلالة غير صريحة فيحتاج اللفظ للدلالة عليها الى قرينة تبين انها مرادة من اللفظ .

أولا ـ الأساليب الصريحة :

١ ـ نفى الحرج ومن ذلك قول الله تعالى(١) : « ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على انفسـكم أن تأكلوا من بيوتكم .. » فقد دلت الآية دلالة صريحة على إباحة الأكل من بيت الانسـان وبيت أبيه وبيت أمه لأن ذلك هو المعنى العرفى الذى يتبادر الى الذهن عند سماع نفى الحرج .

ومن ذلك ما رواه البخارى فى صحيحه أن رسـول الله وقف فى حجة الوداع للناس فى منى يسألونه ، فجاءه رجل فقال : لم أشعر فحلقت قبل أن أذبح .. ؟ فقال الرسول عليه السلام : إذبح ولا حرج . وجاء آخر فقال : لم أشعر فنحرت قبل أن أرمى ..؟ فقال له النبى : ارم ولا حـرج . فما سـئل عن شىء قدّم ولا أخّر إلا قال : افعـل ولا حرج . وهذا يفيـد أن المشرع رفع الحرج عن كل من ترك الترتيب ناسيا . فصار ترك الترتيب بين الشـعائر بالنسبة له مباحا .

٢ ـ نفى الجناح : ومن ذلك قوله تعالى(٢) : « فإن أرادا فصـالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما » فإن الأسلوب يدل صراحة على إباحة فطام الصبى قبل تمام الحولين ، لأن نفى الجناح كنفى الحرج فى أنه يتبادر من كل منهما الى الذهن معنى الاباحة .

٣ ـ نفى كل من الاثم والمؤاخذة والحنث والسـبيل : كما فى قوله تعالى : « اذكروا الله فى أيام معدودات فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه »(٣) فالآية صريحة فى معنى الاباحة باعتبار الأصل لأنهـا رفعت الاثم عن الفعل وضده معا ، وخيرته بين التعجيل والتأخير برفع العقاب عن كل منهما .

ومن نفى المؤاخذة قوله تعالى : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم . ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم »(٤) فإن رفع المؤاخذة فى الآية صريح فى إفادة رفع الاثم وعدم العقاب على الفعل الذى هو اللغو فى اليمين ، وظاهر أنه لا ثواب على الفعل . ولا معنى للاباحة إلا هذا .

ومن نفى الحنث الدال على الاباحة ما روى من أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال(٥) : عندما ترامى قوم بحضرته بالنبال . فحلف أحدهم أنه أصاب الهدف وأن صاحبه أخطأ . فإذا الامر بخلاف ذلك . فقال الآخر حنثت يا رسول الله . فقال عليه السلام : أيمان الرماة لغو لا حنث فيها ولا كفارة .

ومن نفى السـبيل الدال على الاباحة دلالة صريحة فيما نرى قول الله سبحانه وتعالى : « ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل » يقـول الإمام الرازى فى تفسيره (٦) : ما عليهم من سبيل كعقوبة ومؤاخذة لأنهم أتوا بما أبيح لهم من الانتصار .

٤ ــ ومن أساليب الاباحة الصريحة نفى البأس . وهى مما ورد استعماله فى السنة فى عدة مواضع فمن ذلك ما رواه الامام أحمد فى مسنده من قوله عليه السلام : « لا بأس بالحيوان واحدا باثنين يدا بيد » فإنه يدل على إباحة بيع الحيوان مع التفاضل اذا لم يكن هناك أجل . ومن ذلك قوله عليه السلام فيما رواه الحكم عن وائلة بن الاسقع : « لا بأس بالحديث قدمت أو أخرت اذا أصبت معناه » فانه يفيد إباحة رواية الحديث مع التقديم والتأخير فيه ما دام ذلك لا يؤثر فى المعنى . وهذا هو مذهب الجمهور فى صحة رواية الحديث بالمعنى وهو الحق تحقيقا لليسر ودفعا للحرج وعملا بظواهر النصوص كهذا الحديث وغيره . كما جاء فى كتاب (جمع الجوامع وشرحه) .

والفقهاء يستعملون كلمة لا بأس بمعنى الاباحة فى كتب الفقه ومن ذلك قول صاحب الاختيار (٧) : « ولا بأس بتوسد الحرير وافتراشه ، ولا بأس بلبس ما سداه ابريسم ولحمته قطن أو خز » .

٥ ــ ومن أساليب الاباحة الصريحة كلمة (رفع القلم) جاء فيما أخرجه أحمد وأبو داود والنسائى والحاكم عن السيدة عائشة رضى الله عنهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « رفع القلم عن ثلاثة : النائم حتى يستيقظ وعن المبتلى حتى يبرأ وعن الصبى حتى يكبر » فانه يدل على إباحة ما يصدر عن هؤلاء من الافعال لأنه لا إثم فى الفعل كما لا إثم فى الترك وذلك هو معنى الاباحة .

ومن ذلك كلمة رفع الخطأ . روى الطبرانى بسنده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » والمقصود إنما هو رفع إثم الخطأ لا نفس الخطأ ورفع الاثم يفيد إباحة الفعل الصادر فى هذه الظروف . وهذا القدر كاف فى تحقيق الاباحة لأن المباح ما لا إثم فى فعله ولا تركه .

وكذلك كل ما يدل على التخيير فى الاساليب العربية من غير حاجة الى قرينة مثل إن شئت ، لك أن تفعل . ونحو ذلك .

ثانيا ــ الأساليب الدالة على الاباحة دلالة غير صريحة :

وهذه قسمان فيما نرى : ملفوظة ، وغير ملفوظة وسنعرض كل واحد منها :

أ) الألفاظ التى تستفاد منها الاباحة بقرينة :

١ ــ صيغة الأمر : نقل الآمدى(٨) عن بعض الأصوليين أن صيغة الأمر وضعت حقيقة لإفادة الاباحة ، وأنها تفيد غيرها بطريق المجاز وتحتاج فى إفادة غير الاباحة الى قرينة . وهو رأى يبدو غريبا إذ الواقع أن دلالة صيغة الأمر على الاباحة دلالة مجازية تحتاج الى قرينة . على أننا انتهينا فى كتابنا « الأمر فى نصوص التشريع الاسلامى ودلالته على الأحكام »(٩) الى أن صيغة الأمر إنما وضعت فى أصل اللغة لمجرد الطلب ولا بد من القرينة لإفادة ما عدا ذلك .

ودلالة صيغة الأمر على الاباحة تعتبر مجازية عند من يقول : إن الأمر وضع فى أصل اللغة لافادة الندب وهو أبو هاشم الجبائى والمعتزلة ، وكذلك على رأى الماتريدى وأتباعه الذين يقولون إن صيغة الأمر موضوعة فى الأصل للقدر المشترك بين الوجوب والندب وهو مجرد الطلب ، وكذلك بالنسبة للقائلين بأنها مشتركة بين كل من الوجوب والندب أى موضوعة لكل على حدة . فإنها تكون مجازا فى استعمالها للاباحة وتحتاج الى قرينة لإفادتها .

وحتى عند القائلين بأن صيغة الأمر مشتركة فى إفادة الوجوب والندب والاباحة حقيقة ، والقائلين بأنها مشتركة فى إفادة ذلك وفى إفادة التهديد أيضا فإن استعمالها فى الاباحة وإن كان حقيقيا عندهم إلا أنه يحتاج الى قرينة باعتباره مشتركا . فيكون لا بد من القرينة فى استعمال الأمر للاباحة سواء قلنا إنه مجاز أو مشترك (١٠) .

ومن استعمالات الأمر فى الاباحة بالقرينة مجيئه بعد حظر سابق مثل قوله تعالى : « وإذا حللتم فاصطادوا »(١١) وذلك بعد قوله « غير محلى الصيد وأنتم حرم » ومثل قوله تعالى « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا » بعد قوله : « إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع » .

٢ ـ مفاد النهى بعد الوجوب ، ومفاد فسخ الوجوب : قال السبكى والمحلى في جمع الجوامع وشرحه : إن النهى بعد الوجوب للتحريم عند الجهور وقيل للكراهة وقيل للاباحة نظرا الى أن النهى عن الشىء بعد وجوبه يرفع طلبه فيثبت التخيير فيه .

وجاء فى تقرير الشربينى على جمع الجوامع : إن الوجوب لشىء إذا نسخ بقى الجواز بمعنى عدم الحرج في الفعل والترك . وقيل تبقى الاباحة فقط كما قالوا بالنسبة لنسخ الوجوب فى آية « كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين » .

٣ ـ ومن الأساليب غير الصريحة أيضا التعبير بالحل فإنه فيما نرى يفيد الاباحة إفادة غير صريحة فان معناه الصريح ما قابل الحرام وهو يشمل المباح والواجب والمندوب والمكروه فيصلح للاستعمال فى واحد منها بقرينة فقول الله تعالى : « اليوم أحل لكم الطيبات »(١٢) فإنها تدل على إباحة أكل المستلزمات التى لم يرد ما يحرمها .

٤ ـ ومن الأساليب غير الصريحة نفى التحريم أو النهى عنه . ومن نفى التحريم قول الله تعالى : « قل من حرم زينة الله »(١٣) فان هذا وإن كان استفهاما صورة ولفظا فهو نفى حقيقة ومعنى . ومن النهى عن التحريم قوله تعالى : « لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم »(١٤) فإن الآية نزلت فى الرد على الذين كانوا يتعمقون فى العبادة ويبالغون فى ترك الطيباب .

٥ ـ ومن أساليب الأباحة غير الصريحة الاستثناء من التحريم الصريح أو الضمنى فمن الأول قول الله تعالى : « وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه »(١٥) ومن الثانى قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان « لا يحل دم امرىء إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزانى والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة » .

وقد يكون الاستثناء ضمنيا من التحريم الصريح ويفيد الاباحة كما فى قوله تعالى « حرمت عليكم الميتة والدم .. فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم فإن الله غفور رحيم »(١٦) فقد صرح القرطبى(١٧) باعتبار هذا الاسلوب إباحة .

ب) ما يدل على الاباحة من غير لفظه :

فان ذلك يكون من الأمور الفعلية فيشمل السنة الفعلية فى بعض أنواعها والسنة التقريرية . فما كان من الأفعال الجبلية كالقيام والقعود والأكل والشرب ونحوه فلا نزاع فى كونه على الاباحة بالنسبة للنبى ولأمته ، وما كان من أفعال

النبى غير المختصة به مما لم يقع بيانا وظهر فيه معنى القربة يكون من قبيل الاباحة عند المالكية لأنه لا يجوز أن يكون صادرا منه على وجه يقتضى الاثم لعصمته صلى الله عليه وسلم فثبت انه لا بد ان يكون مباحا أو مندوبا أو واجبا وهذه الاقسام مشتركة فى رفع الحرج عن الفعل . فأما رجحان الفعل فلم يثبت على وجوده دليل فثبت بهذا أنه لا حرج فى فعله كما أنه لا رجحان فى فعله فكان مباحا(١٨) .

أما ما لم يظهر فيه وجه قربة فقد نقل كل من الشوكانى والدبوس فيه خلافا وأن الرازى قال : الصحيح انه مباح واختار ذلك الجوينى فى البرهان وهو الراجح عند الحنابلة .

وأما السنة التقريرية . فان ما سكت عنه النبى صلى الله عليه وسلم ولم يكن قد سبق منه النهى عنه ولا عرف تحريمه فإن سكوته عنه يدل على إباحته ورفع الحرج عن فاعله إذ لو لم يكن جائزا لكان تقريره لفاعله على فعله حراما من النبى ومن هذا ما روى عن جابر رضى الله عنه من حديث العزل « كنا نعزل فى عهد رسول الله والقرآن ينزل فبلغ ذلك رسول الله فلم ينهنا » فان الفقهاء أخذوا من عدم نهى النبى صلى الله عليه وسلم دليلا على إباحة العزل لمنع الحمل .

هذا بالنسبة لأساليب الاباحة ، أما الصلة بين لفظ الاباحة والتخيير : فقد سبق أن قلنا فى المقال السابق إن الاباحة عند الأصوليين تخيير من الشارع بين الفعل والترك مع استواء طرفى الفعل والترك فلا ثواب ولا عقاب على فعل واحد منهما ، أما التخيير فإنه تارة يكون تخييرا على سبيل الاباحة بين فعل المباح وتركه وكل من الفعل والترك يتصف بالاباحة ، وتارة يكون بين بعض الواجبات وبعض إلا أنها لا تكون واجبات على سبيل التعيين ، وهذا هو الواجب المخير كما فى خصال كفارة اليمين فى قوله تعالى : « فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة »(١٩) فإن فعل أى واحد منها يسقط المطالبة ، كما أن ترك كل واحد منها يقتضى الاثم .

وتارة يقع التخيير بين بعض المطلوبات على سبيل الندب كما فى التنفل قبل صلاة العصر فإن المكلف مخير بين أن يصلى ركعتين أو يصلى أربعا . على أن المندوب فى ذاته فى مرتبة من التخيير وإن كانت دون التخيير فى المباح إلا أنها لا تخرج عن أنها تخيير ضرورة أنها لا ضرر فى ترك المندوب وإن كان يثاب على فعله بينما التخيير فى المباح لا ثواب فيه ولا عقاب ومن ذلك التخيير فى الأضحية بين الإبل والبقر والغنم إذا آثر الأضحية على الصدقة علىأن هناك ناحية تخيير بين الصدقة والأضحية(٢٠) . فالتخيير أعم من الاباحة . إذ قد يكون التخيير بين المباحات كما يكون بين الواجبات بعضها مع بعض وكذلك يكون بين المندوبات .

وأما الصلة بين الاباحة والحل . فقد عرفنا أن الاباحة بمعنى التخيير من الشارع بين الفعل والترك . أما الحل فإنه فى لسان الشرع وفى اصطلاح الفقهاء أعم من ذلك لأنه يطلق دائما على ما يقابل الحرام . فالحلال هو ما ليس ممنوعا منعا باتا يدل على ذلك وروده فى الكتاب والسنة مقابلا للحرام الذى هو خطاب الشارع بالكف عن الشىء على سبيل الجزم . واذا كان الحلال مقابلا للحرام وجب أن يشمل كل ما عداه فيدخل فيه المباح والمندوب والواجب بل والمكروه ولذا صرح الفقهاء فى مناسبات مختلفة بالحل مع الكراهة وفى هذا يقول العزيزى عند قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « أبغض الحلال الى الله الطلاق »(٢١) ان الحلال هو الجائز الفعل والمراد غير الحرام فيشمل

المكروه . ومع هذا فمن الفقهاء من لم يعتبر الحلال شاملا للمكروه وقصر الحلال على ما يشمل الواجب والمندوب والمباح . وافرد للمكروه قسما يقابل كلا من الحلال والحرام ، ومنهم من جعله داخلا فى قسم الحرام على ما بيناه تفصيلا فى كتابنا (الاباحة عند الأصوليين والفقهاء) .

وأما الصلة بين لفظ الاباحة ولفظ الجواز . فاننا نجد الامام الغزالى يصرح بأن الجواز مرادف للاباحة . بينما يرى غيره أن الجائز أعم من المباح فالجائز ما سوى الحرام والمكروه وبذا يكون شاملا لكل من الواجب والمندوب والمباح ويكون على هذا مرادفا للفظ حلال بالاطلاق المشهور .

فالجائز يستعمل بمعنى المباح على ما هو مسلك الغزالى وبمعنى الحلال وهو المتداول كثيرا فى عبارات الفقهاء وبالنظر يبين أن لكلمة الجواز استعمالا ثالثا يجعلها مرادفة لكلمة صحة ومن هذا قولهم فى باب الطهارة « المياه التى يجوز التطهير بها سبعة مياه .. والمياه التى لا يجوز التطهير بها .. » .

وأما الصلة بين الاباحة والصحة .. فالواقع أن حقيقة الاباحة وماهيتها تباين حقيقة الصحة وماهيتها .. فان الاباحة كما هى التخيير بين الفعل والترك .. وأما الصحة فانها موافقة الفعل ذى الوجهين الشرع . والتخيير وصف من أوصاف الشارع . اما الصحة فهى وصف للفعل الذى يقع من المكلف . ولهذا يقال : إن الاباحة من الاحكام التكليفية ، اما الصحة فبعض الأصوليين يعتبرها حكما عقليا . والجمهور منهم يعتبرونها من الاحكام الشرعية الوضعية باعتبار انها تعرف من جهة الشرع(٢٢) .

والى اللقاء فى المقال التالى حيث نتكلم عن أسباب الاباحة .

---

(١) سورة النور الآية ٦١ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٣٣ .

(٣) سورة البقرة آية ٢٠٣ والمقصود تعجيل التكبير فى ايام التشريق بالحج .

(٤) سورة البقرة آية ٢٣٥ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى هـ ٣ ص ١٠٠ .

(٦) التفسير الكبير هـ ٢٧ ص ١٨١ .

(٧) الاختيار شرح المختار هـ ٣ ص ٢٢٢ .

(٨) الاحكام فى اصول الاحكام هـ ٢ ص ٢٠٨ .

(٩) ص ٢٤٥/٢٣٧ والكتاب مطبوع سنة ١٩٦٧ بالقاهرة .

(١٠) راجع ابن الحاجب هـ ١ ص ٤٢٨ وارشاد الفحول ص ٨٨ .

(١١) سورة المائدة آية ٢ .

(١٢) سورة المائدة آية ٥ .

(١٣) سورة الاعراف آية ٣٢ .

(١٤) سورة المائدة آية ١٧ .

(١٥) سورة الانعام آية ١١٩ .

(١٦) سورة المائدة آية ٣ .

(١٧) الجامع لأحكام القرآن هـ ٢ ص ٢١٦ .

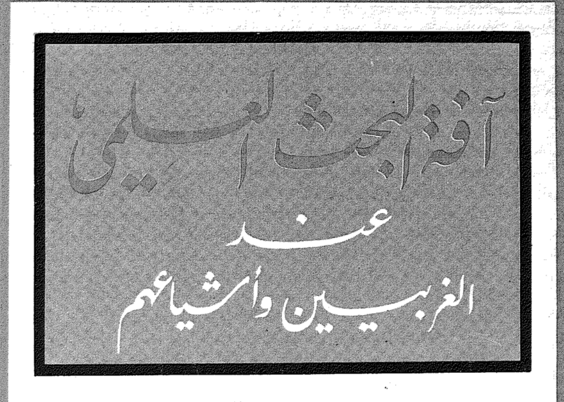
(١٨) انظر ارشاد الفحول للشوكانى ص ٣٤ .

(١٩) سورة المائدة الآية ٨٩ .

(٢٠) راجع المغنى لابن قدامة الحنبلى هـ ٨ ص ٨١٨/٨١٦ .

(٢١) فى كتابه السراج المنير الجامع الصغير هـ ١ ص ١٩ .

(٢٢) وقد بينا تفصيل ذلك فى كتابنا مباحث الحكم عند الاصوليين .



للدكتور / محمد سعيد رمضان البوطي

«السبر والتقسيم» قاعدة يعتمدها علماء أصول الشريعة الإسلامية ، لدى استنباط علل الأحكام والتأكد من صحتها .

وهي تعني استثارة جميع الاحتمالات ، وعرضها في تصنيف وتقسيم شاملين أمام الفكر ثم دراستها واحدة إثر أخرى ، للكشف عن العلة التي لا بد أن تكون كامنة في واحدة منها .

والقيمة العلمية في هذه القاعدة ، هي استقصاء الاحتمالات كلها ، واتخاذ ذلك أساسا للمقارنة والبحث فان أكثر ما قد يكون سببا لزلة الباحث العالم ، في دراسة بحث ما ، إنما هو عدم انطلاقه من نظرة شاملة مستقصية للاحتمالات الواردة ومهما أوتي بعد ذلك طاقة في التأمل والمقارنة والبحث ، فان هذه الطاقة قد لا تغنيه في الوصول الى الحق أي غناء ، لأن مادة البحث نفسها لم تتكامل تحت نظره وبين يدي فكره .

واذا كانت هذه القاعدة من أهم منطلقات علماء الشريعة الإسلامية بصدد دخولهم في اي بحث علمي ، فإنها لتعتبر جانبا مهملا ، بل مجهولا ، لدى أكثر الباحثين من علماء الغرب بصدد البحث في اي حقيقة علمية مما لا يخضع لبرهان التجربة والمشاهدة ، كشئون التاريخ والتاريخ الطبيعي وقضايا النفس وأكثر مسائل العقيدة وما قد يتبعها .

فمهما توفر في أبحاثهم — بعد ذلك — من مقومات الدقة في الدرس ومظاهر المنهجية أو الموضوعية في البحث ، فإن شيئا منه قد لا يغنيهم عن

كشف الحقيقة شيئا ، لما اوضحنا من أن ضرورة تجميع المادة العلمية وحصر الاحتمالات الواردة بشأنها ، ينبغى أن تكون الخطوة الأولى فى السير الى اى دراسة أو بحث .

السر فى ذلك

ومن المعلوم أن استقصاء الاحتمالات كلها ، ووضعها جميعا تحت مجهر واحد من النظر والفحص ، هو المقصود بالموضوعية التى هى الأساس الأول لسلامة البحث العلمى، وضمان الوصول الى نتائج سليمة صادقة من ورائه .

ومن المعروف أن « موضوعية البحث » من أكثر الكلمات التى يحتفل بها الغربيون فى أبحاثهم ، ومن ثم فهى منسوبة إليهم وملتصقة بهم أكثر من أن تنسب إلى اى فئة أخرى . فلماذا لا تتبوأ هذه القاعدة عندهم مكانها اللائق ، وفيم تكون مهملة بل مجهولة عندهم ؟! .. وما السر فى هذا التناقض البين ، بين المباهاة بالموضوعية من جانب واهمال اهم مقومات هذه الموضوعية من جانب آخر ؟! ..

والجواب ، أن موضوعية البحث قد تبدو حقيقة ثابتة فى تلك الدراسات العلمية الأخرى المتعلقة بظواهر الطبيعة مما يخضع لبرهان التجربة والحس . وهى دراسات أبدع الفكر الغربى لها ، بحق لا مرية فيه ، منهجا من البحث الموضوعى الذى لا يشوبه اى خلل أو نقص .

أما تلك الدراسات الأخرى ، التى ألمحنا إلى أصناف منها ، فقد تخلفت الموضوعية عنها تخلفا كبيرا وخطيرا ، مما جعلها تصبح فريسة للرغبة والبواعث النفسية أكثر من أن تكون موضوع بحث علمى مجرد .

أكثر هذه الدراسات تنطلق عندهم من رغبة سابقة فى الوصول إلى نتائج معينة ، ولا تبدأ من نقطة الدراسة العامة للاحتمالات المطلقة .

ومن شأن الرغبة السابقة التى تتطلع الى نتيجة بخصوصها ، أو التى تتجافى عن نتيجة بخصوصها ، أن تفرض على صاحبها امانة بعض الاحتمالات سلفا ، وبالتالى فهى تفرض عليه طيها عن النظر والبحث مطلقا .

وقد يكون العامل فى إماتة بعض الاحتمالات ، أو اهمال النظر فيها ، جهلا بما قد يكون لهذا الاحتمال من أهمية أو قيمة ، ولكنه يكون ، فى اغلب الأحيان ، باعثا نفسيا يتمثل فى عصبية أو تقليد أو سلطان عرف أو بيئة ..

وليس بعجيب ولا مستهجن أن يتسلل باعث نفسى من هذا القبيل إلى مجال البحث والعلم خفية عن صاحبه ودون أن يتنبه إلى تدخله فى التأثير والحكم . ذلك لأن من شأن النفس أن تخادع العقل وتغافله بين حين وآخر ، فتلبس الأمر عليه وتخلط أمامه الموازين بأشباهها ، ولكن العجيب والمستهجن حقا ، أن يتنبه الباحث من نفسه إلى هذه الظاهرة فيقرها ، ثم يتخذ منها منهجا لاكتشاف الحقائق وسبيل الاعتقاد بها ! ..

العجيب أن تظهر فى الغرب مدرسة تعلم الباحث لدى استقراء الاحتمالات المتعلقة بشرح حقيقة ما أن يستبعد منها سلفا مالا يرغب فيه،

والا يبقى منها تحت مجهـر البحث والنظر إلا ما يتفق مع رغباته وينسجم مع أمانيه المتعلقة بتفسير تلـك الحقيقة . فهى تعلمـه مثلا بصدد البحث فى الأديان واكتشاف الـدين الحق منها أن يستعرض الاحتمالات المتمثلة فى المسيحية أو اللاادرية أو الإسلام ، فيسقط الاسلام منها سلفا ، لأنه احتمال غير مرغوب فيه ، فهو محكوم عليه اذا بالموت ! . . ثم يحصر بحثه فى الاحتمالين الباقيين والمقارنة بينهما (١) .

تحول الحقائق الواضحة الى الغـاز مغلقـة

ولا ريب أن تسيير منهج البحث فى حقيقة الشيء تحت سلطان الرغبة قد يورث النفس رضى وبهجـة ويشعرها بتحقيق بعض أمانيها ، ولو فى نطاق الوهم والخيال ، وقد تكون من ورائه فائدة أهم فيما يبدو ، كحفظ ذاتية الأمة من أن تذوب فى كيانات أخرى . وكتوفير قوالب فكرية — ولو لم يكن لها مصداق فى الخارج — تحافظ على شخصيتها من أن تميع ثم تتعرض للتجسد فى قوالب أخرى .

غير أن هذا السبيل ، بالاضافة الى كونه لا يحقق إلا فوائد وهمية ، من شأنه أن يضحى بقيم جوهرية ذات تأثير بالغ وخطير فى حياة الانسان . فحسبه أنه يسدل فوق الحقـائق الواضحة حجابا ، ويبعد المسافـة بينها وبين كل محاولة لمزيـد من العلم بها ، ويحيلها إلى الغـاز واحاجى غامضـة بدون أى موجب أو سبب حقيقى مفيد ، فتغدو بذلك جميـع النظريات المطروحـة فى تفسيرهـا مظهرا للحيرة فى شأنها اكثر من أن تكون اقترابا اليها لحل مضمونها ! . . وطبيعى أن تتناسخ النظريات ، بسبب ذلك فى شأنها ، فى تطـواف دائب ضمن حلقة مفرغة لا نهاية لها .

والنقاش فيها كلام فارغ

والذين يغيب عن بالهم هذا الواقع الخطير الذى نتحدث عنه ، يتوهمون أن النقاش في مثل هـذه النظريات والآراء القائمة على هذا المنهج ، قد يعود بأصحابها إلى سبيل الرشـد والمنطق السليم ، فيبدؤون حياة ، بل عصرا ، من المناقشة والجدال اللذين لانهاية لهما ولا ثمرة من ورائهما .

وشيء طبيعى أن يظل الأمر كذلك لأن منطلق كل من الطـرفين يختلف اختلافا جذريا عن الآخر . فلا مطمع للفروع التى تنبثق عن كل منهما إلا أن تسير فى خطين متباعدين عـن بعضهما قدر ابتعاد المنطلقين عـلى أقل تقدير .

وهكذا ، فإن الخوض فى مناقشة من يحلل لك الفتح الإسلامى مثلا على أنه انتصار يسار على يمين ، أو تمرد على عوامل الانغلاق الاقتصادى فى الجزيرة العربيـة ، أو ثورة السيادة العربية علـى العنصر الأعجمى — خوض فيما لا طائل فيه من الكـلام وانحصار ضمن دائرة مغلقـة من الحديث . ذلك لأن صـاحب هـذا التحليل أمات منذ أول بحثه احتمال نبوة محمد عليه الصلاة والسـلام وصدقه فيما جاء يخبر عن ربه ، وطواه عن اى التفات اليه أو نظر فيه، فمشى بذلك فى طريق مسدود ، ليجد امامه احد احتمالات ثلاثة لا رابع لها ،

ثم ليجد نفسه مضطرا إلى اختيار واحد منها . إذ مهما كانت هذه الاحتمالات بعيدة عن المنطق والبرهان التاريخى ، فلا مندوحة له عن أن يغمض العين ويقبل أى واحد منها إذا كان حريصا ألا يعود من بحثه خالى الوفاض ! ..

المنطق الوهمى ! ..

ومهما كان خطأ مثل هذا المنهج بينا ، فإن صاحبه منطقى مع نفسه بالنظر لانحصاره ضمن ما فى هذا الطريق المسدود . لقد رأى أمامه هذه التفسيرات الثلاثة ولم ير غيرها ، إذا لا بد أن الحقيقة مخبوءة داخل واحد منها .

وهذا هو المنطق الوهمى الذى احال كثيرا من الظنون بل الأوهام المجردة الى أحكام علمية ومسلمات قطعية ! .. إذ كان المصباح الذى من شأنه أن يكشف عن زيفها وبطلانها قد أبعد عن ساحة البحث كلها ، فغدت الساحة دينا لهذا الأوهام وحدها .

انه على كل حال منطق ، وان كان وهميا . وربما لبست الأوهام للعقول ثوب الحقيقة فانخدعت بها ، فكان لها من ذلك بعض العذر ! .

من صور هذا المنطق الوهمى

وما أكثر القضايا والأبحاث العلمية التى ذهبت فيها الحقائق ضحية هذا المنطق الوهمى ، فانمحت عنها معالم الحق ، وانحسرت من حولها مسالك البحث ، وسدت اليها منافذ النظر الحر ، حتى غدت ألغازا مغلقة تحوم من حولها صور الحيرة والاضطراب وتسمى افتئاتا وظلما سبل الدراية والبحث ! ..

من هذه القضايا تلك النظريات المضطربة المتناقضة عن قصة النشأة الإنسانية وتطورها فإنما هى « بدءا من آراء لامارك الى الداروينية القديمة الى ما تطورت اليه من الداروينية الحديثة » انعكاسات حيرة فى تفسير تاريخ النشأة الإنسانية واكتشاف أسرارها ! .. وما كان لهذا البحث أن يزج أصحابه فى أى حيرة لو أنهم استعرضوا منذ أول الطريق الاحتمالات الواردة كلها ، دون أن ينبذوا اى واحد منها سلفا ! .. اذا لوجدوا قصة هذه النشأة مدونة من قبل خالق الانسان ومبدعه جل جلاله، واذا لاستراحوا واراحوا ، ولأخضعوا الفكر والعقل لقول هذا المبدع جل جلاله : (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا) .

ولكنهم لما نبذوا من احتمالات الأمر ما لا رغبة لهم فيه ، فلم يقفوا عنده بأى تأمل أو نظر ، كان لا بد لهم أن يحصروا أنفسهم فى الحلقة التى انطبقت عليهم ، أو فى نهاية الطريق الذى سدوه على أنفسهم ، ووجدوا أنفسهم يقولون : لا بد أن الإنسان تطور من كائن بسيط تحت سلطان القانون الطبيعى الذى يسطى أولوية البقاء للأصلح ويقضى على كل متخلف فى دروب الضعف أو الفساد ! .

قيل لهم : ولكن من الذى وضع مقياس الأصلح ؟ .. وأين هذا القانون من الطبيعة التى تجفف مستنقعات شاسعة أو تحسر مياها غامرة فتنطفىء على أعقاب ذلك حياة ملايين من الأرواح كان من الممكن

ان تواصل سيرها فى نجاح الحياة مستظلة بحماية القوة والصلاح ؟ . بل أين هذا القانون من الدنيا العريضة التى يزدحم فيها جميع أشكال الموجودات بدءا من أصغر جزئيات الفاسد والضعيف إلى أرقى نماذج الأقوى والأصلح دون أن ينسخ الصالح منها الفاسد عن الوجود ؟..

قالوا : فلنقرر اذا أنه تطور عشوائية وطفرة وليس تطور سمو وصلاح ! .. قيل لهم فهلا شدت الطفرة الإنسان ذات مرة الى الخلف بدلا من أن تنهض به دائما الى الأعلى ؟ .. وهلا تجاوزت مرة واحدة خط النظام الدقيق الذى يسير وفق خط مرسوم الى تحقيق علة غائية وقد علم جميع العقلاء أن « العلة الغائية » تمثل أعقد عمليات التنظيم والتدبير ؟ .. وما لهذه الطفرة العجيبة فى تدبيرها أبدعت حياة الإنسان من هلاميات لا شأن لها ، ثم ظلت تنهض بها فى معارج السمو والتصعيد المادى والمعنوى الى أن اقامته عند عتبة الأسرار الكونية ، وأورثته علم استغلالها وتسخيرها ؟ !..

قالوا : فماذا نقول إذا ؟ .. إنه على كل حال خير تفسير يمكن أن يتسق مع الظواهر الطبيعية المرئية أمامنا ، وهو على ما فيه من نقاط ضعف وعوامل نقد ، اقرب الى الفكر العلمى من القول بأن الأرض أو السماء انشقت فجأة عن كائن معقد الصنع عجيب الطوية ، يهدد الأرض بقوته ويطمح الى القمر والنجوم بسلطانه !.

اجل .. إنه منطق ، ولكنه منطق وهمى ، ينسجم مع عقلية ذاك الذى وضع نفسه فى حلقة مقفلة أو حصر نفسه فى طريق مسدود . ومن ثم فهو صادق مع نفسه عندما يقول وهو فى محبسه ذاك : هذا كل ما أراه أمامى فهل للعقل من سبيل إلا أن يتخير أقرب الحلول ؟! ..

ولكنه جهل عظيم وخداع خطير أمام مقياس الانطلاق فى دنيا الحقيقة كلها ، بكافة احتمالاتها الواردة ، دون تحكيم للرغبة ولا للبيئة ولا للتقاليد ولا لسلطان المنفعة .

وصورة أخرى

واليك صورة أخرى لهذا المنطق .. ذلك الموضوع الذى تظل طائفة كبرى من الباحثين فى حيرة مستمرة من أمره الا وهو التحقيق فى هوية الشريعة الإسلامية .

لقد قلبت هذه الطائفة أمر الشريعة الإسلامية على كل وجه يمكن أن يعطى دلالة على حقيقتها واصلها ، إلا وجها واحدا لم تشأ أن تجعله موضوع بحث مطلقا ، وذلك هو وجه كونها وحيا من الله تعالى بواسطة جبريل الى نبيه محمد عليه الصلاة والسلام .

وهكذا ، فقد تكونت حول هذه الطائفة من الأوجه والاحتمالات الباقية حلقة مفرغة مقفلة ، وكان لا بد لها أن تنبش عن الحقيقة التى تعود اليها هوية هذا التشريع ضمن هذه الحلقة فقط .

فما هى تلك الاحتمالات الباقية ؟ .. إنها احتمال أن تكون الشريعة الإسلامية طبعة جديدة معدلة عن التشريعات اليهودية ، واحتمال أن تكون مقتبسة من التشريع الرومانى بعامل احتكاك الجزيرة العربية بما

حولها من المستعمرات الرومانيــــة ، واحتمال أن تكون انعكاسا لحضـــارة سبأ او شريعة حمورابى .

واذا كان الاحتمال الأول مردودا بفصول مبسوطة من البحوث العلمية المعروفة ، فليؤخذ بالاحتمال الثانى إذا .. اما إذا كشفت البحـــوث التاريخية الثابتة عن أنه لا مجال للقول بأن الشريعة الاسلامية مقتبسة عـــن شريعة الرومان ، فلا مناص عندئذ من القول بالاحتمال الثالث . ومهما كانت هذه الاحتمالات مدفوعة بسلطان المنطق والعلم ، فإنه أولى فى ميزان العلم والعقل من القول بأن هـــذه الشريعة المتكاملة الوافية التى تعكس آثار حضارة باسقة ، قد ظهرت فى بادية قاحلة ، والفتها ادمغة البادية والصحراء ، مع ما هو ثابت من أن فاقد الشىء لا يعطيه . (٢) .

اجل .. إن هذا ايضا منطق ! .. ولكنه منطق من قد سجن نفسه فـــى غرفة ليس فيها من الطعام الا كسرة خبز يابسة ، الى جانب بقيـــة إدام فاسد بشيع ، الى جانب ماء آسن مستقذر ، ومن وراء باب الغرفة كل ما تهفو اليه النفس مـــن الطيبات ! .. لاجرم أنه — وقد أحكم سد الباب على نفسه — منطقى مع تفكيره عندما يخير نفسه بين الكسرة اليابسةوالإدام البشيع ، ثم يبرهن لها بما يبصرهـــا من ارض الغرفة وجهاتها الخاليـــة الأربع ، على أنه ليس ثمة ما يصلح ان يؤكل إلا هذا وذاك ! ..

اما الاسلام فقد ربى العقول عـــلى التنزه عن هـــذا

ويظل من هـــذا المنطق الـــوهمى تحتضن اكثر القضايا العلمية والفكرية عند الغـــــرب وأشياعهم وعبيدهم من الشرق .

أما الاسلام ، فهـــو بحق ، المربى العظيم الذى ينشىء عقول المسلمين على التنزه عن هذه اللعبة التى لا تليق بقداسة العقل الإنسانى وحريتـــه .

والرغبة ، والمنفعة ، والتقاليد ، والبيئة — كل ذلك يأتى ، فيما يقضى به الإسلام ، من وراء السلطان المطلق للعقل .. العقل الصافى عن لقـــاح المؤثرات أيا كانت ومن أى جهـــة وفدت ..

وحرية العقل — فيما يقضى بـــه الإسلام — أمانة مقدسة استودعها الإنسان . وأى تضييق فى مجالـــه الطبيعى ، أو انتقاص من سبلـــه ونوافذه ، خيانة كبرى يلقى عليهـــا صاحبها العقاب الرهيب من اللـــه يوم القيامة .

وحرية العقل لا تعرف — فيمـــا يقضى به الإسلام — شيئا اسمـــه « وجهات النظر » ! .. اذ أن وجهات النظر هـــذه ليست الا نوافذ فـــى سجون يرى العقل الإنسانى فى كـــل منها — اذ يكون سجينا — جانبا من جوانب الحقيقة الواحدة ، حيث تتحطم الحقيقة جذاذا بين نوافـــذ هـــذه السجون المختلفة .

وصدق الله اذ يعبر ببيانه المعجز عن هذا كله بقوله :

« ولا تقف ما ليس لك به علم . إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا » .

---

(١) انظر « العقل والدين » لوليم جيمس ص : ٤ و ٥ ..

(٢) القى صاحب هذا المقـــال محاضرة فى رابطة الحقوقيين بدمشق عنوانها « ذاتيـــة التشريع الاسلامى فى رسالة محمد عليه الصلاةوالسلام » لعلها أن تهيأ قريبا للنشر .

ذكرى ميلاد

متى وكيف

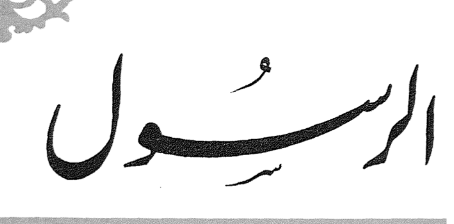
للأستاذ أحمد محمد جمال

فى أوائل هذا الشهر الأنور ربيع الأول ، ما بين اليوم التاسع منه واليوم الثانى عشر ــ على اختلاف الرواية ــ ولد محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه .. (محمد) الذى جاء استجابة لدعوة أبيه ابراهيم (١) وتحقيقا لبشرى أخيه عيسى (٢) وتصديقا لرؤيا أمه آمنة حين رأت وهى حاملة به أن نورا خرج منها اضاءت له قصور الشام .

وقد أعتاد المسلمون ــ هيئات واذاعات وصحافات ــ ان يتحفوا بذكرى هذا الميلاد الشريف ، حيث تلقى الخطب ، وتنشر المقالات ، وتنشر القصائد .. التى تمجد (محمدا) وتروى سيرته ، وتصور بطولته ، وتذكر برسالته الفذة التى بعثه الله بها الى الناس كافة ، لانقاذهم مما ركبهم من جهالة ، وما ركبوه من ضلال ..

وحق للمسلمين : ان يبتهجوا لذكرى مولد النبى الحبيب صلى الله عليه وسلم وبارك ، وان ينشطوا قلوبا وعقولا لإحياء ذكرياته الجلائل ، وحق (لمحمد) نفسه أن يحظى بهذا الاهتمام والتحفى من أمته التى جـاء صلى الله عليه وسلم وبارك ــ حريصا على هداها ، رحيما فى سياستها ، حكيما فى قيادتها ، عادلا فى قضائها ، بانيا لأمجادها ، مرتفعا بها فى مدارج الخير والكمال ، ومعارج الحق والجلال .

ونحن ــ هنا فى مكة المكرمة ، مسقط رأس محمد ، وفى مهبط الوحى الالهى عليه ، ومنزل رسالة الاسلام اليه ــ احق الناس بذكره ، وأولاهم بالتذكير به .. صلى الله وسلم وبارك عليه .



الرسول

تنفع المؤمنين ؟

ان (محمدا) بعث من العرب اليهم والى الناس كافة ، وولد فى ارضهم ، ودرج عليها ، وسعى فى شعابها نذيرا وبشيرا ، ثم اذاع واصحابه واتباعه من بعده : برسالته هدى ورحمة وبشرى للمسلمين .

● هل أردد ما يقوله غيرى : إن الحضارة الإسلامية التى انشاها محمد بن عبد الله هى أسلم الحضارات الانسانية وأكرمها وأقومها وأحكمها: تشريعا وتعليما وتربية واجتماعا وسياسة ؟

● أم أقول إن (الاسلام) الذى جاء به محمد بن عبد الله قد ازداد بتقدم العلوم البشرية واكتشافاتها ، وتأملات علماء العصر وتفكيراتهم ظهورا وبيانا على أنه الدين الحق : عقيدة وشريعة وخلقا ــ وفاء بالموعدة القرآنية: (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ..) (٣) ؟

لا أريد أن أقول هذا ولا ذاك ؟ فهو جملة وتفصيلا كلام معروف : وتاريخ مقرر ، وحقيقة لا تحتاج الى دليل .. لأن أعداء الاسلام أنفسهم شهدوا بها ..

● ● ● ●

وإنما أريد أن أقول شيئا آخر .. فى ذكرى ميلاد محمد عليه الصلاة والسلام . أريد أن أقول : إننا نحن المسلمين نفتا نذكر (محمدا) كثيرا ، كثيرا جدا ، نذكره فى صلواتنا الخمس ونوافلها ، ونذكره بعدها مع التسبيح

بحمد الله وتكبيره ، ويذكره فريق منا باوراد خاصة محددة بايام الأسبوع ، ونذكره أيضا كلما اذن المؤذن ، وكلما أقيمت الصلاة (٤) .

ولكنا مع هذا الذكر الدائم المكرر له صلى الله عليه وسلم وبارك ـ لا نتجاوز النطق به بأفواهنا عندما نشهد برسالته ، أو نصلى ونسلم عليه . وهى (صلاة) مطلوبة ومندوبة ، وراغم أنف امرىء ذكر محمد عنده فلم يصل عليه ـ كما جاء فى حديث نبوى ـ والقرآن قبل ذلك يقول : (إن الله وملائكته يصلون على النبى ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) (٥)..

غير أنا مطالبون وملزمون : أن نذكر (محمدا) ذكرا عمليا ، ذكرا خلقيا ، ذكرا سلوكيا :

- « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر .. »
- « من يطع الرسول فقد أطاع الله » .
- « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم .. »
- « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » .
- « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » .

علينا ـ إذن ـ حين يرد اسمه الكريم فى أذان المؤذن ، وفى اقامة الصلاة وتحياتها وبعد قضائها ، وعندما يذكره واعظ أو محدث أو كاتب ـ علينا ان نصلى عليه صلاة من قلوبنا ، لا بالسنتنا وحدها .. صلاة بعقولنا لا بوجداننا فقط .. صلاة نتذكر بها سيرة معلمنا الأول ، وقائدنا الافضل ، ورائدنا الأمثل .. صلاة نتدبر بها ما نحن فيه خلافا لما يجب ان نكون عليه كاتباع لهذا النبى الكريم : من (قوة) أمرنا بإعدادها(٦) و (عزة) وصفنا بها(٧) .

وعن (خلق) محمد الذى يطالبنا القرآن أن نتخذه أسوة حسنة ـ كما أسلفنا ـ يقول القرآن :

ـ « وإنك لعلى خلق عظيم » .

ـ « لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » .

ـ « فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم ، واستغفر لهم ، وشاورهم فى الأمر » .

ـ « محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » .

هذا غيض من فيض مما يذكره القرآن عن (محمد) صلى الله عليه وسلم ، وعما جاء به من هدى ونور . ولو ذهبت أجمع ما يذكره القرآن عنه فى موضوع الحكم ، وموضوع المعاملة ، والأسرة لأبصرتم عجبا ، ولانتشيتم طربا من القرآن الذى هو خلق محمد ، أو من خلق محمد الذى هو القرآن(٨) ولكن الحديث ـ لو فعلت ـ يطول ، والمقام لا يتسع ، فحسبنا هذا التذكير الوجيز ..

حسبنا أن نذكر أن (محمدا) بعث رحمة للعالمين ، وكان هو فى نفسه وأهله وأمته رحيما رؤوفا ، يعفو ويستغفر ، ولا يستبد دون أمته برأى منفرد الا أن يكون وحيا من ربه العليم الحكيم .

● وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ حريصا على أمته ان تهتدى وترشد عزيزا عليه أن تجهل أو تضل ، أو تتفرق شيعا وأحزابا .

● وكان سراجا منيرا باخلاقه ومعاملاته ومحادثاته ، لا ظلم ولا ظلام فى ما يقول وما يفعل .

● وكانت أمته التى عايشته وصاحبته : متراحمة فيما بينها ،اقتداء بقائدها الراشد ومعلمها الأمين ، كما كانت شديدة على اعداء دينها الذين يدسون له ويكيدون .

وكاثر أو ثمر للذكرى والتذكر : يجب علينا اقتداء بالنبى الكريم وأصحابه : أن نكون رحماء فيما بيننا ، أشداء على عدونا ، معدين للقوة التى أمرنا بها ، طالبين للعزة التى أسبغت علينا .

● ● ● ●

والقران الكريم الذى هو خلق (محمد) صلى الله عليه وسلم يجعل الذكرى واجبا ، ويصفها بانها ((تنفع المؤمنين)) ، ويحثنا نحن اتباع هذا النبى العظيم على التذكر الدائم لأحداث الماضى ، وأخبار الغابرين . ذلك بان لكل حدث فردى أو جماعى ، سار او ضار : ذكرى نافعة أو رادعة .. تحفز وتوقظ وتنهض .. إن كانت شرا فإلى الخير ، وان كانت خيرا فالى المزيد منه ..

وذكريات القرآن الكريم من قصص واخبار وعبر : دليل على تحفى الاسلام (بواجب الذكرى) وحثه المسلمين على الاتعاظ بها ، والانتفاع منها . وحسبنا حجة بالغة واحدة فى هذا المقام هذه الآية القرآنية :

● ((لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب))(٩) .

وحسبنا أيضا استدلالا على وجوب (الذكرى) ان ننظر فى لفظتى ((اذكر واذكروا)) الواردتين فى القرآن كثيرا ، وما جاء بعدهما من قصص واحداث واخبار عن السابقين .. ساقها القرآن لتكون بواعث عبر ، وحوافز هِمَم ، ومصادر عزمات للمسلمين .

وحسبنا كذلك أن نقدر ــ كما قدر المفسرون قبلنا ــ كلمتى ((اذكر واذكروا)) قبل لفظة (إذ) الواردة فى القرآن مرات أكثر وأكثر .. فهى تاريخ مديد مفيد ، لأجيال وأمم ، وحسنات وسيئات ، ونعم ونقم ، وحضارات وجاهليات ..

لقد جاء ــ فى القرآن ــ من ذكريات نبينا صلى الله عليه وسلم وأصحابه ..

● ((وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك ، أو يقتلوك أو يخرجوك . ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين)) .

● ((واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس ، فآواكم وأيدكم بنصره ، ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون)) .

● « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها » .

● « وإذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم ، وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم . ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ، ويقطع دابر الكافرين » ..

وجاء فى القرآن من ذكريات موسى عليه السلام وقومه بنى اسرائيل :

ــ « وإذ واعدنا موسى اربعين ليلة ، ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون » .

ــ « وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ، فاخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون » .

ــ « وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد » .

ــ « يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم » .

وجاء فى القرآن أيضا من ذكريات عيسى عليه السلام وقومه النصارى هذه الآيات :

ــ « وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذ ايدتك بروح القدس ، تكلم الناس فى المهد وكهلا » .

ــ « وإذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون » ..

ــ « إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟ قال اتقوا الله أن كنتم مؤمنين » .

وجاء فيه من ذكريات الأنبياء والأقوام الآخرين هذه الآيات :

ــ « إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ، فسجدوا إلا إبليس » ..

ــ « وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ألا تشرك بى شيئا ، وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود » .

ــ « واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب أولى الأيدى والأبصار » .

● ● ● ●

هذه أمثلة قليلة من ذكريات القرآن الكريم عن قصص الانبياء السابقين وأممهم ، وما تركوا من عبر وعظات تنفع أو تردع . وهى دليل مبين على ان (الذكرى) واجبة لأنها « تنفع المؤمنين » .

ونعود لذكرى « الميلاد النبوى » وصاحبها الحبيب صلى الله عليه وسلم ، فنجد القرآن يصفه عليه الصلاة والسلام بانه (ذكر) فى قوله تبارك وتعالى : « فاتقوا الله يا أولى الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله اليكم ذكرا : رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ، ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور .. » (١٠) .

واذا كان الرسول ذكرا ، والقرآن أيضا هو ذكر (١١) اذن (فالذكرى) واجبة ، واحياء الذكريات الاسلامية لزام على المسلمين ، ولكن بشرط الاعتدال والبعد عن الابتداع ، وعن المهازل والمظاهر الجوفاء ، وعن الزبد الذى يذهب جفاء .

ولنتامل ما وصفت به الآيتان السالفتان (محمدا) صلى الله عليه وسلم من أنه (ذكر) وأنه (رسول) وأنه (يتلو عليكم آيات الله مبينات) لماذا ؟ (ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور) !

فالإخراج من الظلمات الى النور — ايجاز بليغ من إعجازات القرآن الفذة ، يطوى تحته معانى شتى تتوافق فى الأصل ، وتختلف فى الفروع ..

● إنها ظلمات كثيرة ، ونور واحد ..

ظلمات الجاهلية الجهلاء ، والحمية العمياء ، والعقائد الفاسدة ، والعادات الجافية ، والمظالم الفردية والجماعية ، والتفرق والأحزاب والعصبيات .. وتلك هى حياتنا قبل الاسلام .

ثم جاءنا « من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام .. » (١٢) من توحيد الخالق . واتحاد الخلق والعدالة فى الحكم ، والجهاد بالنفس والمال فى سبيل الحق ، واحسان المعاملة ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والتآخى والتراحم بين الأقربين والأبعدين على سواء ..

● وصدق الله العظيم : « ان الدين عند الله الاسلام » .

● « وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين » .

---

(١) سورة البقرة /١٢٩ : « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم . »
(٢) سورة الصف/٦ : « ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد » .
(٣) سورة فصلت /٥٣ ..
(٤) حيث أمرنا أن ندعو له : « اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته » .
(٥) سورة الأحزاب/٥٦ .
(٦) سورة الانفال /٦٠ « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة .. »
(٧) سورة المنافقون /٨ « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين .. »
(٨) فى حديث صحيح عن عائشة انها سئلت عن خلق النبى فقالت : « كان خلقه القرآن .. »
(٩) سورة يوسف /١١١ ..
(١٠) سورة الطلاق /١٠ و ١١
(١١) سورة الزخرف /٤٤ : (وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسالون » .
(١٢) سورة المائدة /١٥ و ١٦ ..



للاستاذ محمد المجـذوب

١ ـ لو حشدت امام انظار المفكرين أوضاع البشر ، وما صارت إليه من الحيرة والضياع والظلم ، أثناء القرن السابع الميلادى ، ثم عهد لكل من هـؤلاء بوصفها لما بلغوا من الدقة والتركيز بعض ما احتواه قول الله تعالى فى هـذا الشأن : (ظهر الفسادُ فى البرِ والبحر بما كَسَبتْ أيدى الناس ، ليذيقَهم بعض الذين عملوا ، لعلهم يرجعون (سورة الروم آية ٤١) .

وحين يرجع العاقل البصَر فى مضامين سورة الروم ، وما أحيطت به هذه الآية هناك من العبر والأحداث والتوجيهات الإلهية ، يزداد وعيا لهذه الحقيقة الكبيرة ، إذ يرى نفسه تلقاء تنظيم كامل يتناول الحياة كلها ، ويشد النظر المؤمن الى سنن الله فى الكون وفى الأمم ، فيشهد عاقبة كل من المستقيمين على هدى الله ، والزائغين عن سبيله ، فيعلم أن الاستقرار والأمن لن يتوفرا إلا بالتزام (الدين القيم) القائم على التراحم والتناصر فى الحق ، وان كل انحراف عن هذا الصراط مؤد بأهله الى الشقاء الجارف ، والضياع المبين ، لأن (من كفر فعليه

كفره ومن عَمِل صالحا فلأنفسهم يمهدون) سورة الروم آية ٤٤ .
وفى استعمال لفظ (الفســاد) لتصوير الأوضاع الانسانية على مستوى الكرة الأرضــية كلها ، ساكنو الجبــال والأودية والجــزر ، تركيز شامل لكل ضروب الانهيار التى تعترى حياة الانسان ، فردا أو جماعة . فالفساد يقــابل الصلاح ، وإذا كان صلاح الحياة يمثل انتظــام روابطها الفطرية على أتم وجه من الانسجام ، فالفساد ليس سوى الإخلال التام بكل ما هو صالح ومصلح لواقع هذا الانسان .. والكون والفساد عنــد قدماء الفلاســفة يراد بهما تآلف العناصر الذى به يستمر وجود الشيء ، ثم انحلال هــذه العناصر وما يتبعه من اختلال يفقدها خواصها الأساسية . وهو مدلول يلتقى مع التركيز القرآنى الى حــد بعيــد .
أما هذا الفساد العام فهو حصيلة التصرف الأخرق الذى عامل به الانسان السنن الكونية .. فكان لا مندوحة له من الاحتراق بنار هو الذى أوقدها على نفسه . ولكن جائحة الفساد هذه ليست نهائية ، فهى على كبر خطرها وشموله ، قابلة للتقلص فالتلاشي ، اذا احسن ذلك الجانى تدارك موقفه من النظام الكونى ، فرجع الى المنطلق الصــحيح ، كمثل الذى ينشب ملقطى المدّخرة فى عكس موضعهما ، فيجعل السالب مكان الموجب ، والموجب مكان السالب . فاذا فاجأه الخلل اسرع الى تلافيه برد كل من الملقطين الى موضعه المصمَّم .. وبذلك تنتظم الدورة الكهربائية ويزول الضرر المنتظر .
اجل .. هكذا تماما كان وضع الانسان يوم ميلاد خاتم النبيين ، اذ (كانت الشعوب قطعانا من الغنم ليس لها راع ، والسياسة كجمل هائج ، والحكام كسيف فى يد سكران ، يضرب به نفسه ومن حوله دون تفكير بالعواقب) وكــل محاولة تقدم بها الفلاسفة لاصلاح هــذا الخلل لم تزده إلا كثافة وعمقا ، لأنها بأسرها إنما انبثقت من نظريات ظنية ، لا تستند الى أساس صحيح من طبيعــة الكون . ولا عجب فالفيلسوف بالغا ما بلغت ملاحظاته من الدقة ، عاجز عن الاحاطة التامة بجزئيات النظام الطبيعى وعلاقة بعضه ببعض ، وموقع هــذا النظام فى بيئاته وأزمنته المختلفة ، فاذا عمد الى علاج ما يواجهه من الفســاد قصر عن إدراك ما لا يواجهه ، فجاءت محاولته عارية من كل أثر للاصلاح الحق ، لانطلاقها من نقطة الخطأ .. وهو فى ذلك أشبه بالطبيب المغفــل الذى يريد معالجة العضو المريض فى معزل عن جسمه فيكون دواؤه المحلى مثيرا لمضاعفات لا يتوقعها فى سائر الأعضاء .. ثم تتكرر التجــربة فتتباين النظريات وتتعــدد المحاولات ، وتكون حصيلة كل ذلك مزيدا من الشقاء لهذا الانسان ، الذى ضلّ طريقه القويم ، فنسى عهده مع الله ، يوم آذنه بأن لا استقرار له ولا أمن إلا باتباع هداه ، الذى يرسل به اليه أنبياءه كلما عمى الطريق ، وحار الرفيق ..
٢ ــ ومن الأسرار المركوزة فى فطرة هذا الانسان أنْ لا يزالَ فى بعض أفراده خاصية التفاعل مع الحقيقة ، والتفطن اليها مهما بعد عنها السواد الأعظم من جنسه . فما أن يتاح لهم أن يوجهوا أذهانهم الى بعض جوانب الواقع المحتل حتى يشعروا بانتفاضة الفطرة تشــدهم الى التأمل ، وتطلق السنتهم بأشتات التساؤل !.. ولو نحن رحنا نتقصى هذه الظاهرة العليا فى طوايا التاريخ لرأيناها بارزة فى كل زاوية وكل مرحلة وكل منعطف ، مستمرة على مدى الأزمان .
وقد ضرب لنا القرآن العظيم الأمثلة العملية لهذه الظاهرة فى الكثير من سوره ، ولعلّ من أبرزها مثلا فى سورة الكهف أولئك الفتية الذين آمنوا بربهم فزادهم هدى .. وكانت خلاصة قصتهم أنهم استشعروا نفور الفطرة من ضلالات

قومهم فتصارحوا بها ، وتعاهدوا على هجرها .. ولقوا فى سبيل ذلك أشد العنت ، حتى جردوا من منازلهم الاجتماعية ، وآثروا عليها الحرمان فى طاعة الله ، إذ لجئوا الى الكهف ، فنشر لهم ربهم من رحمته ، وجعلهم واحدة من آياته .

ولن يقل عن أهل الكهف أهمية حنفاء مكة والمدينة قبيل فجر البعثة النبوية .. فقد كان هؤلاء مثلا حيا على تمرد الضمير العربى الأصيل على سفاهة الوثنية ، التى ابتليت بها جزيرة العرب على يد الضال الأول عمرو بن لحَىّ ، الذى كان أول من أشاع فيها عبادة الأوثان ، بنقله أصنام الرومان الى البيت الحرام ..

ويحدثنا مؤرخو السيرة النبوية عن طائفة من هؤلاء النبهاء ، ويسمون منهم زيد بن عمرو بن نفيل ، وورقة بن نوفل ، وعثمان بن الحارث — أو الحويرث — وعبد الله بن جحش ، واميمة بنت عبد المطلب ، على نحو ما حدّث به الرواة عن الملابسات التى أحاطت بفتية الكهف ، إذ يقولون بأن هؤلاء الحنفاء قد تلاقوا ذات يوم فى مناسبة وثنية ، فوجد كل منهم فرصة للافضاء بما يخالجه من إنكار لهذه الضلالات .. ثم اتفقوا على أن ينطلقوا فى الأرض باحثين عن الأصول التى فقدها قومهم من دين أبيهم ابراهيم . ويروى الذهبى فى (سير أعلام النبلاء) هذا الخبر عن يونس بن بكير عن ابن اسحاق : وبعد أن يشير الى مصاير بعضهم يقول : ولم يكن فيهم أعدل شأنا من زيد .

أما زيد هذا فهو ابن عمرو بن نفيل العدوى ، والد سعيد بن زيد احد المبشرين بالجنة ، وابن عم عمر بن الخطاب . والظاهر من سيرته أنه كان من ذوى الأحلام والرحمة واليسار ، وبهذه الصفات المميزة اهتدى الى القطع بفساد الوثنية ، فأعرض عن سبيلهم ، وحرم على نفسه الأكل من ذبائحهم التى يسمون عليها غير الله .

وبلغ من أريحيته للخير والنقمة من شذوذ الجاهلية انه كان يستنقذ الموؤودات ، فاذا رأى الجاهلى يريد قتل بنت له قال له : مَهْ .. لا تقتلها . أنا أكفيك مئونتها ، ويأخذها فيربيها على الوجه الذى يرضي فاضلا مثله ، حتى اذا وافت سن الزواج عرضها على أبيها ، فاما أن يزوجها أو يدعها له فيختار لها الكفء .

وكان زيد حاد المزاج ، كما يتراءى من سلوكه ، فهو اذا انكر أمرا لم يستطع كتمانه بل أعلن موقفه منه ، وهذا الضرب من الناس لا مندوحة له عن احتمال الأذى فى سبيل أفكاره التى يؤمن بصلاحها .

لقد اعتزل زيد الأوثان ، وأبى أن يشارك فى تكريمها ، ولكنه لم يكتف بذلك فراح ينعى على قومه زيغهم وضلالاتهم ، فاذا رآهم يذبحون للنصب أخذه الغضب وجعل يوبخهم بمثل قوله : الشاة خلقها الله ، وأنزل لها من السماء ، وانبت لها من الأرض ، ثم تذبحونها على غير اسم الله !..

ويهزأ من ادعائهم ملة إبراهيم ، فيخطبهم ، وهو مسند ظهره الى الكعبة ، قائلا : يا معشر قريش .. والله ما فيكم أحد على دين إبراهيم غيرى ..!

وشد ما يثيره مشهد البيوت المنصوبة للدعارة ، وقد زجت فيها إماء السادة مكرهات على تعاطى البغاء ، ليجلبن المال الى هؤلاء الكبراء ، فلا يتمالك أن يهتف بالسفهاء من رواد تلك البيوت : يا معشر قريش .. إياكم والزنا فانه يورث الفقر ..

وطبيعى أن صراحة كهذه ، وان كانت مقبولة عند عامة الناس من قطان

مكة ونزلائها ، ليس من شأنها أن تقع موقع الرضى فى نفوس العلية من صناديد قريش ، الذين يرون مصلحتهم فى استمرار كل ما الفه الناس ومن هنا كان رد الفعل بوجه زيد مساويا لشدته بل اشد ، وقد نهض بكبر ذلك عمه وأخوه من امه (١) الخطاب بن نفيل ، الذى تواطأ مع صفية بنت الحضرمى زوج زيد على زيد ، إذ قال لها : اذا رأيته قد هم بأمر فآذنينى به . فكانت تراقب تحركاته وتتابع اتصالاته مع الذين يحاول استجلابهم الى طريقته ، فيؤسفه ذلك ، ولكنه لا يزيد على ان يعاتبها وينذرها بالفراق فى مثل قوله :

لا تحبسينى فى الهـوا	ن صفى .. مادا بى ودابه !
انى ــ اذا خفت الهـوا	ن ــ مشيَّع ذلّل ركابه
.. وأخى ابن أمى ثم عمى(١)	لا يـواتينى خطـابه
واذا يعـاتبنى بسـو	ء قلت أعيـانى جـوابه
ولو ان أشـاء لقلت مـا	عنـدى مفاتحـه وبابه

وفى ابياته هذه خطوط واضحة لنفسية زيد وخلقه الرفيع ، فهو عضىّ على السوء ، لا يستطيع المقام فى دار هوان .. وهو شديد الألم من تصرفات عمه ، ولكنه يتحمل اذاه صابرا ، لا عجزا عن مجابهته بمثل كلامه ، ولكن ترفعا عـن مقابلة الإساءة من أولى الأرحام بمثلها ..

٣ ــ ويشتد تضييق الخطاب على زيد حتى يضطره للنزوح الى حراء ، ولم يدعه هناك لنفسه بل وكل به شبابا سفهاء ، وكلفهم أن يشددوا الرقابة عليـه ، فلا يدعوا له سبيلا الى مكة ، خشية أن تشيع افكاره المثيرة بين زوارها وقطانها ، فلا يملك الا أن يشكو بثه الى ربه ، فيستعديه عمل من يستحل حرمة بيته بايقاع الأذى على عمار حرمه :

لا همّ إنى محـرم لا حـلهْ
وإن بيتى وسـط المحـلّهْ
عند الصفاليس بذى مضـلهْ

وهكذا حيل بين زيد وبيت الله ، فـلا يتـاح له الإلمـام به إلا سرا ، على حين غفلة من رقبائه ، فاذا علموا بانسلاله لاحقوه وآذنوا به الخطاب ، الذى لا يلبث أن يصب عليه من قسوته التى اشتهر بها .

وكان ذلك حافزا لزيد على الضرب فى الارض ، فمضى على وجهه حتى اتى الشام ، وجاب كل مظنـة للعلم فيها ، فاتصل بأحبار اليهود ورهبان النصارى ، يسألهم عما يفقده من الدين الحق .. فلم يظفر بما يشفى صدره ، حتى جمعـه القدر براهب شامى على سعة من العـلم والحكمة فقـال له : أراك تريد دين إبراهيم يا أخا مكة !.. انك تطلب دينا ما يوجد اليوم ، فالحـق ببلدك فان الله يبعث من قومك من يأتى بدين إبراهيم بالحنيفية ، وهو اكرم الخلق على الله .. وهناك أدرك الا دين إلا ملة ابراهيم ، وأن لا سبيل اليها عند أحد من اهل الأرض ، إلا أن يبعث الله بها نبيا جديدا يرد الناس الى طريقها الصحيح . ويروى البخارى عن طريق سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه رضى الله عنهما أن زيدا قال يومئذ ورفع يديه : اللهم إنى اشهدك أنى على دين إبراهيم .

وانقلب زيد من الشام يريد مكة رجاء أن يدرك فيها النبى الموعود .. ولكن ما كاد يتوسط ديار لخم حتى عدا عليه أسرار منهم فقتـلوه ، ويتفق أكثر الرواة كصاحبى الأغانى والاصـابة والذهبى فى سيره ، على أن مقتله كان فى مكان اسمه (مبقعة) أو (ميفعة) من البلقـاء بأرض الشـام .. وذلك قبيل مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم بخمس سنين .

٤ ــ وقد ترك لنا زيد بن عمرو بن نفيل هذا مقطعات من الشــعر جديرة بالدراسة ، لا لأنه يتفوق بها على شعراء عهده ، ولا انها تؤهله للانتظــام فى عدادهم ، بل لما تنطوى عليه من ومضات وجدانية ، ترسم للدارس خطا واضحا من التطلع الروحى الحار الى ما وراء ذلك الواقع الجاهلى القلق ..

فى السيرة المنسوبة لابن هشام عدة مقطعات معزوة لزيد ، واطولها ممــا لم يشك فى صحته تلك الرائية التى يصف بها موقفه من دين قومه ، وما يعانيه من سفهائهم ، وفيها يقول :

أربــا واحــــدا أم الف رب | أدين اذا تقسمت الامــــور !
.. عزلت اللات والعزى جميعا | كذلك يفعل الجــلد الصــبور

انه يستثير ضمائر الغافلين للتفكير فى واقعهم المقلوب .. فالانسان أحوج ما يكون الى الإيمان حين تضطرب به السُبل ، وتفاجئه الأحداث ، فالى من تراه يلجأ ، وبمن يلوذ اذا كان يقينه موزعا بين مختلف الالهة ؟! . وكفى بهذه التناقضات حجة على المشركين الذين أسلموا أزمة نفوسهم للاشتات من المعبودات .. فلا عجب أن ينتهى من هذا الالزام الفطرى الى هجر هاتيك الترهات ، التى يطلقون عليها أسماء اللات والعزى وهبل ، وما اليها من أوهام ترفضها الأحــلام .. ثم لا يجد راحة لقلبه إلا بعبادة الله الأحد الذى لا شريك له ولا ولد :

ولكن أعبــــد الرحمــن ربى | ليغفــر ذنبى الرب الغفــور

ولعل من أروع ما أثر عنه ، واتفق الرواة على صحة نسبه اليه ، قوله الآخــر :

واسلمت وجهى لمن اســـلمت | له الأرض تحمل صخرا ثقــالا
دحاها ، فلما رآهــا استوت | على المـــاء أرسى عليها الجبالا
واســـلمت وجهى لمن أسلمت | له المزن تحمــل عــذبا زلالا
اذا هى ســيقت الى بلـــدة | أطـــاعت فصبت عليها سجالا

ففى هذه الأبيات تأملات حية حارة ، تنبىء عن تجربة روحية وذهنية بعيدة الغور ، لا تتاح إلا فى الجلوات النادرة ، وللنفوس النقية الشفيفة ، التى تدرك بالنظرة الفطرية من أسرار الكون ما يلهث دونه كبار الفلاسفة إعياء وقنوطا .. ولا عجب فبالعقل يستدل صاحبه على بارىء الخليقة ، ولكنه يأبى إلا أن يتجاوز المدى الذى حُدد له فيلقى بنفسه فى متاهات التخمين حول صفات ربه ، ثم يبيح لنفسه أن تتحكم فى تقرير النتائج الغيبية وفق تصــوراته القاصرة ، ومؤثراته المختلفة . هذا على حين يقف المتأمل فى مواجهة الحقائق الكبرى مستروحا نفحات اليقين ، المؤيد بكل ما يقع عليه حسه ، ويلامس وجدانه من الآيات الناطقة بجلال ربه وكمالاته التى لا نهاية لها .. فلا يلبث أن ينسجم مع القوانين الكونية ، مسلما وجهه الى الحكيم الرحيم ، الذى أحسن كل شىء خلقه ، وعنا لأمره علوى الوجود وسفليه .. ومع أن المتأمل لا ينفك يعانى من الحيرة بسبب جهله الوسيلة التى تقربه الى الله ، فهو حتى فى موقفه هذا أوفر اطمئنانا من الفيلسوف ، الذى كثيرا ما يدفعه جهله لهذه الوسيلة الى إنكارها كليا ! ..

وهكذا رأينا زيد بن عمرو يطوف الجزيرة والشام نشدانا لدين إبراهيم ، الى أن لقى حتفه وهو فى الطريق الى مشرقه المنتظر . وقد تضافرت الروايات

عن أسماء بنت الصديق أنها شهدت زيدا عند الكعبة يسجد على راحته وهو يقول : اللهم .. لو انى أعلم اىّ الوجوه أحب إليك عبدتك به ، ولكنى لا أعلمه (٢) .

ويبلغ ورقة بو نوفل ، رفيق زيد فى رحلته وراء الحقيقة ، مصرع صاحبه ، فتهيج مشاعره الآسية ، ويتذكر مزاياه العالية ، وجهاده العظيم من أجل الحق ، فلا يتمالك أن يرثيه بهذه الأبيات ، التى تفيض مودة وتقديرا ولهفة الى الغاية التى استمر زيد فى طلبها حتى اللحظة الأخيرة :

رشدت وانعمت — ابن‌عمرو — وانما ... تجنبت تنورا من النار حاميا
بدينك ربا (٣) ليس رب كمثله ... وتركك أوثان الطواغى كما هيا
وإدراكك الدين الذى قد طلبته ... ولم تك عن توحيد ربك ساهيا
فأصبحت فى دار كريم مقامها ... تعلل فيها بالكرامة لاهيا
تلاقى خليل الله فيها ، ولم تكن ... من الناس جبارا ، الى النار هاويا
وقد تدرك الانسان رحمة ربه ... ولو كان تحت الأرض سبعين واديا

وفى تصوير ورقة اشواق زيد وتطلعاته ، انما يصور أيضا أشواقه وأصحابه وتطلعاتهم الأثيرة . وأنا شخصيا لا استبعد أن يكون ورقة قد صاغ أبياته هذه فى رثاء صاحبه بعد اتصاله بخديجة وعلمه بمطالع الوحى ، الذى أكرم الله به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فآسفه أن يحرم زيد لقاء المبعوث بالدين الذى يحب ، ولكنه فى بيته الأخير يتوقع أن يؤجره الله بنيته فيكتبه بين المؤمنين برسوله ، وان لم يسعد بلقائه كما سعد هو ..

وصَدَقَتْ إلهاماتُ ورقة ، وبرّ الله جهاد عبده زيد بما آثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأنه .

يقول المحقق العَلَمُ شمس الدين الذهبى فى سِيَرِه عن زيد : (وهو من اهل النجاة ، فقد شهد له النبى صلى الله عليه وسلم — انه — يبعث أمة وحده) .

وأخرج الامام أحمد فى مسنده عن سعيد بن زيد انه سأل رسول الله عما اذا كان له أن يستغفر لزيد أبيه ، فقال له : (نعم .. فانه يبعث أمة وحده) .. وحده) ..

وفى أثر عن عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (دخلت الجنة فرأيت لزيد ابن عمرو بن نفيل دوحتين — جنتين —) ..

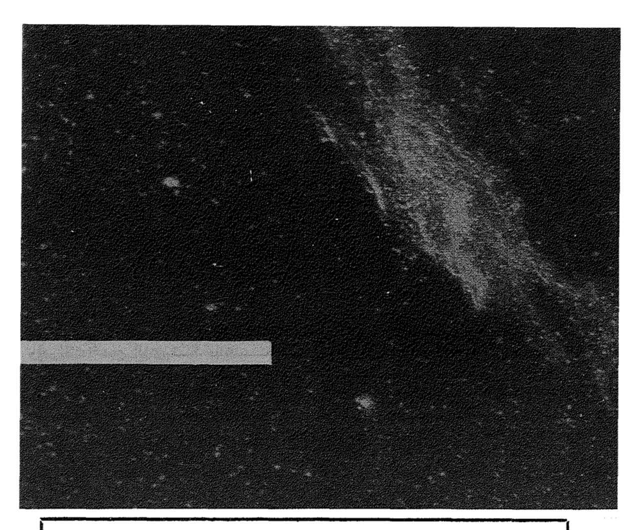
وأخيرا .. كم فى جاهلية اليوم من باحث عن الحق كزيد والحنفاء إخوانه ! . ولكن . مَن لهم بأن يهديهم سبيلهم الى القائد المنقذ ، الذى كان مولده منطلق الفجر المبين ، ورسالته رحمة الله للعالمين ! ..

---

(١) كان الخطاب أخا زيد لأمه وأخا أبيه ، اذ أن أباه عمرا تزوج أم الخطاب زوج أبيه جيداء بنت خالد بزواج الجاهلية الذى حرمه الله فى الاسلام ، فولدت له زيدا ، فكان الخطاب عمه من جهة أبيه وأخاه من جهة أمه .

(٢) ابن هشام جـ ١ ص ٢٢٥ وفى (سير اعلام النبلاء) جـ ١ ص ٨٧ ان قائل هذه العبارة هو ورقة ، وهو يسندها الى ابن اسحاق .. ولكنا نجد ابن هشام يروى عن اسماء أنها لزيد . وهى به أشبه ، لان ورقة تنصر فعلم كيف يصلى وظل زيد حائرا .

(٣) ربا مفعول به للمصدر (دين) والجار متعلق بفعل تجنبت . وقد قدمنا البيت الخامس وكان سادسا لانه بذلك اقرب الى الترتيب . م



اذا لم يواجه المسلمون مشكلات العصر بقوة متخذين من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ـ الحجة ، فلن يستمع اليهم أحد ، وفى هذا المقال اجتهاد يحل كثيرا من مشاكل عصرنا ويجيب على أسئلة الناس ، ويجعل العلم يلتقى بالايمان وليس فى ذلك ما يمس العقيدة أو يهز كيانها ـ هذا ما يقوله الدكتور الفندى فى رسالته واستجابة لهذه البواعث الاسلامية الهادفة ننشر هذا المقال .

تصور الناس ضمن ما تصوروا ان السموات السبع شىء لا يمكن ادراكه ولا معرفته ولا الوصول اليه . وتصورها الأقدمون كما تصوروا مثلا بحار الأرض والمحيط الأطلسى الذى أسموه بحر الظلمات تسكنه الاشباح وتهيم فيه الأرواح .

وقلت إننا نستمد معرفتنا عن طريقين هما : العلم الذى يبصرنا بما حولنا من عالم الحس أو ما يرقى الى مستوى الحس باستخدام الآلات واجهزة الرصد والتتبع ، ثم الدين وهو يبصرنا ببعض ما فى عالم ما وراء الحس أو عالم الغيب او العوالم الأخرى .

وقال صديقى: كيف تكون السموات مأوى الأشباح ومكان الأرواح ومثوى الموتى من عهد آدم والله يأمرنا برصدها ودراستها فى مثل قوله تعالى :

١ ـ « **قل انظروا ماذا فى السموات والأرض**» ـ يونس (١٠١) .

٢ ـ « **ويتفكرون فى خلق السموات والأرض** » .

٣ ـ « **أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض** » ـ الأعراف (١٨٥) ..

قلت بل ان الأرض والسماء كانتا شيئا واحدا متصلا ثم انفصل ذلك الشىء الى اجرام . وهذه حقيقة فلكية مهما اختلف الرأى فى طريقة الانفصال .. والله تعالى يقيم الحجة على

السموات السبع

للدكتور محمد جمال الفندى

الكافرين بمثل هذه الحقيقة التى يعرفونها فيقول :

« أو لم ير الذين كفروا ان السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى » . — الأنبياء (٣٠) ..

والرتق والفتق التحام ثم انفصال تنجم عنه اجرام السماء من السدم .

ويقرن القرآن السموات والأرض فى كل الآيات ، بل ويقرر فى بساطة عدم اختلاف الاجرام من حيث تجانسها وطريقة سبحها وذلك دليل وحدانية الخالق الذى نستقيه من علم الفلك .

« الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور .. » — الملك (٣) .

قال صديقى : فما السموات السبع يا ترى ؟ قلت : الغالب (والله أعلم) انها تحديد للنوع وليس للكم . وما السموات السبع التى ترتفع فوق رؤوسنا سوى :

١ — الغلاف الجوى .
٢ — الشهب .
٣ — النيازك .
٤ — القمر .
٥ — الكواكب السيارة .
٦ — المذنبات .
٧ — الشمس .

(وهى نجم متوسط القدر من نجوم السماء التى نكاد لا نحصر عددها) .

وتكون هذه الأجرام فى مجموعها ما يسمى المجموعة الشمسية . ولكل منها فلك أو أفلاك ، ولكل منها سلوك ووظيفة وخواص ..

قال صديقى : وكيف يكون غلاف الأرض الجوى سماء ؟

قلت ورد ذكره فى القرآن فى عدة آيات ، منها قوله عز وجل :

١ — « الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء » — الروم (٤٨) .

٢ — « وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما أنتم له بخازنين » — الحجر (٢٢) ..

والسماء هنا ولا شك هى غلاف الأرض الجوى .

واهم من ذلك كله اننا على الارض اشبه شىء بركاب سفينة فضاء سقفها هو الغلاف الهوائى ، وقد

امسكته الارض بقبضة جاذبيتها الكبيرة ولم تسمح له بالتسرب الى خضم الفضاء المترامى الاطراف ، بل بقى من حولها يؤدى من الوظائف والمنافع لأهل الارض مالا يعد ولا يحصى . وهذا كله لا يمكن أن يتم لمجرد الصدفة ، بل عن تدبير ومعرفة ويقين يعبر عنه القرآن فى مثل قوله تعالى :

﴿وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون﴾ ــ الأنبياء (٣٢)

والذى يدرس آيات الغلاف الهوائى عليه ان يتخصص فى دراسة الطبيعة الجوية تخصصا دقيقا ليرى أن تلك الآيات تكاد لا تحصر . فهل الذين صمموا لنا اسقف سفن الفضاء استطاعوا أن يجعلوا لها العديد من الفوائد أم قصروا أمرها على عدد مجمل ومحدد من الوظائف ؟

مثل حماية ركاب السفينة من أهوال الفضاء ممثلة فى الأشعة الكونية والشهب . أما النيازك فهى لا تزال أخطر ما يكون على سفن الفضاء اذ تدمرها تدميرا .

وقال صديقى : وهل هذا كله يروق رجال الدين . أو يتمشى مع ما يقوله بعضهم ؟

قلت : نعم فقد آن الأوان لندخل تلك الآفاق الواسعة التى فتحها امامنا عصر العلم فى التعليق على آيات الذكر الحكيم المتصلة بعلوم الكون ولا نقف جامدين عند حد ما أدعاه الاقدمون .

وان أغلب العلماء اليوم يؤمنون بوجود اله قوى مدبر خالق ، ولكنهم لا يؤمنون بان هذا الاله هو نفسه الذى انزل القرآن لعدم فهمهم لآيات الذكر الحكيم بالطريقة التى تشفى غليلهم وتغذى عقولهم ، أعنى بالطريقة العلمية السليمة . ولم يعد الايمان مجرد تصديق وتسليم بل هو يقوم على الاقتناع والحجة فى هذا العصر ، ولهذا ننادى بضرورة التعليق العلمى غير محملين الآيات مالا طاقة لها به .

أما الذين ينادون بعكس ما ننادى به ويتهموننا باطلا انما يؤثرون الجمود على الحركة ويحرمون القرآن من ميزة كونه معجزة خالدة لا يقف اعجازه عند عصر معين ولا يحد بثقافة بالذات . وربما كان لهم عذرهم فى أنهم لا يعرفون العلوم . ومعنى الحقيقة العلمية ، ولا يفرقون بينها وبين النظرية العلمية . وقد شرحنا كل ذلك على صفحات الوعى ألاسلامى .

أما الذين يحملون الآيات ما لا طاقة لها به أو ينادون بالوقوف عند حد ما وعاه الاقدمون فهؤلاء هم الذين يؤثرون الغموض ويحبذون الجمود .

وأنا عندما أقول مثلا أن السموات السبع اسم للنوع انما التزم بما نراه ونرصده فى كتاب الله المنظور وأعنى به الكون . وليست هذه نظرية بل حقيقة علمية . فمن منا يستطيع فى ظل تعريف السماء لغة بأنها كل ما علانا وارتفع فوق رؤوسنا ان لا يقول ان الهواء سماء وان الشهب سماء ؟!

نعم ان ما نراه من الشهب المنقضة هو مجرد ما انحرف منها عن مساره الكونى تحت قوة جذب الارض ودخل جوها العلوى فاحترق من شدة الاحتكاك مع الهواء بحيث لا تكاد تصل الى ارتفاع نحو ١٠٠ كيلو مترا حتى تكون قد تحولت الى رماد .

وتتحرك الشهب بسرعات فلكية بطبيعة الحال متوسطها نحو ٤٠ كيلو مترا فى الثانية وهى تسبح فى أسراب من حول الشمس ، شأنها فى ذلك شأن المذنبات والكواكب .

وفى الحقيقة ان لفظ كوكب يشمل كل الاجرام حتى الشمس يقال لها كوكب . ولم يذكر القرآن الكريم شيئا عن السماء الاولى أو السماء الثانية أو الثالثة ... كما نسمع

احيانا ... وان السماء الأولى فيها آدم عليه السلام والثانية فيها كذا ..

ولكن القرآن تحدث فقط عن السماء الدنيا اى القريبة منا وانها تزينها الكواكب وقد فهمنا مدلولها لأننا لا نرى افراد مجموعات الشموس الأخرى نظرا لبعدها الكبير عنا . فأقرب مجموعة الينا هى مجموعة قنطورس وهى تبعد عنا بما يزيد على اربع سنوات ضوئية .

أما مجموعتنا الشمسية فاننا نستطيع أن نرى كواكبها أو اغلب كواكبها وعلى راسها الزهرة التى عرفها الاقدمون باسم (نجمة الفجر) أو (نجمة الصباح) ، و (نجمة المساء) .

والزهرة المع اجرام السماء بعد القمر والشمس ، ويمكن رؤيتها احيانا وسط النهار . وهى احيانا تكون اول جرم نراه عقب الغروب لامعا فنسميه نجمة المساء ، كما تبقى فى الصباح واضحة فى كبد السماء . ولعلها هى المقصودة فى قوله تعالى :

« والسماء والطارق . وما أدراك ما الطارق . النجم الثاقب » .

القبة الزرقاء :

طالما ظن الناس فى الماضى ان القبة الزرقاء بناء متماسك كالسقف من حول الأرض التى اعتبروها مركز الكون . وأضافت بعض العقائد أنه من فوق السماء يجلس الذين يدبرون أمور الأرض وما عليها ! ولم تتغير تلك النظرة كثيرا حتى عصر النهضة حيث كانت قد استحوذت الفلسفة الاغريقية على عقول الناس ولم يفكر أحد فى مخالفة ارسطو فيما ذهب اليه حتى ثبت بالرصد والتتبع فى أوائل عصر النهضة أن الأرض ليست هى مركز الكون ولا حتى مركز المجموعة الشمسية .

وعز ذلك على اهل الأرض فنادوا بأنهم يمثلون الكائن المفكر الوحيد فى الوجود . ولكن اثبت حساب الاحتمال الرياضى فى هذا العصر أن مجرتنا وحدها (أو الطريق اللبنى أو الطريق التبانه كما يسميه العرب) فيها ما لا يقل عن ٢ مليون كوكب مسكون على غرار الارض ، وأننا كلما اقتربنا من مركز المجرة كلما كانت تلك الكواكب أقدم من الأرض ، ومن ثم فان حضاراتها أعرق وأكثر تقدما . وهكذا مرة اخرى يخيب الظن ويتبين الانسان انه مجرد كائن صغير مفكر على كوكب عادي من بين ملايين الكواكب الاخرى الآهلة بالسكان .

وتتعدد المجرات فى خضم الفضاء الكونى الفسيح ولا نكاد نعرف لها عددا . وهكذا تتعدد مجموعات الكواكب المسكونة فى الكون بحيث يعجز العقل عن وصفها أو تحديدها .

ونحن نجد الاشارة لذلك فى مثل قوله تعالى فى سورة الفرقان آية (٧٧) :

١ — **« قل ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم » .**

٢ — **« يسأله من فى السموات والأرض كل يوم هو فى شأن »**
— الرحمن (٢٩) .

٣ — **« ... تسبّح له السموات السبع والأرض ومن فيهن »**
— الاسراء (٤٤) .

والتسبيح التنزيه بعدم الخروج عن الناموس أو بالطاعة حسب الحال . وكلمة فيهن انما تفيد تماثل بعض أرجاء السماء والأرض بسكني للاحياء حيثما توفرت البيئة الطبيعية الملائمة والقسط الحرارى المناسب ، والماء الوفير ، كما هو الحال على الأرض .

والغالب أن الذين تعرضوا لتفسير قول الله تعالى فى سورة الرعد (٢) :

« الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها » .

لم يدركوا أول الأمر ان هذا ينطبق على :

أ — غلاف الأرض الجوى الممتد أو المرفوع الى علو نحو الف كيلو مترا

فوق سطحها . والسر في رفعه هـذا هو أن للغازات (ومنها الهواء) صفة الانتشار لتملأ الفراغ المعرض لها . وعلى هذا النحو ينتشر الهـواء فوق الأرض محاولا التسرب الى خضـم الفضـاء الفسيح تبعا للصـفة التي اكسبه الله اياها وهي صفة الانتشار إلا أن جاذبية الأرض تحول بينه وبين ذلك وتمسـكه وتشـده الى الأرض وبذلك تبقى عليه من غير أن يتسرب الى الفضاء كما حدث على القمر مثلا حيث لا تكفي الجاذبية هناك لمعـادلة قوى انتشار الغازات . وهكذا أمسكت الأرض سقفها .

((وجعلنا السماء سقفا محفوظـا وهـم عن آياتهـا معرضـون))
ـ الأنبياء (٣٢) .

ولكن القبة الزرقاء كما سنبين هي مجرد ظاهرة ضوئية تحدث في غلاف الأرض الجوي ولا وجود لها كجسـم صلب أو جسد مادي كما قد تبـادر الى الأذهان .

ب ـ سائر الأجرام التي تسبح من حول الشمس وتتعـادل معها قوى الجاذبية المتبادلة بينها وبين الشمس وقوى الطرد المركزية الناجمـة عن حركة الدوران . عندما تقترب الأرض من مسارات بعض تلك الاجرام مثـل النيازك أو الشهب يهوي بعضها الى الأرض متأثرا بجاذبيتها .

ولكن من رحمة الله بنا أن جعـل الغـلاف الهوائي حاميـا لنا يفتت النيازك أو يحرق الشهب في مشارفه العليا فلا تصل الينا الا فيما ندر . وفي هذا المعنى الرائع يقول القرآن في إعجاز أخـاذ في سورة الحـج الآية (٦٥) :

((.. ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا باذنه ان اللـه بالنـاس لرؤوف رحيم))

وظاهر من الآية الكريمة أن السماء تقع على الأرض باذن الله .

والآن ما هي القبة الزرقاء ؟

تعاني أشعة الشمس المكونة من الوان الطيف المعروفة (وهي الأحمر فالبرتقـالي ، فالأصفر ، فالأخضر ، فالأزرق ، فالبني ، فالبنفسـجي) ظاهرة التناثر في جو الأرض ، وذلك بواسطة جزئيات الهواء ونقط المـاء العالقة في الطبقات السطحية وكذلك الأتربة . ولا ترسل الشمس هـذه الالوان بكميات متساوية القدر ولكنها ترسل أكبر مقادير من اللون الأزرق .

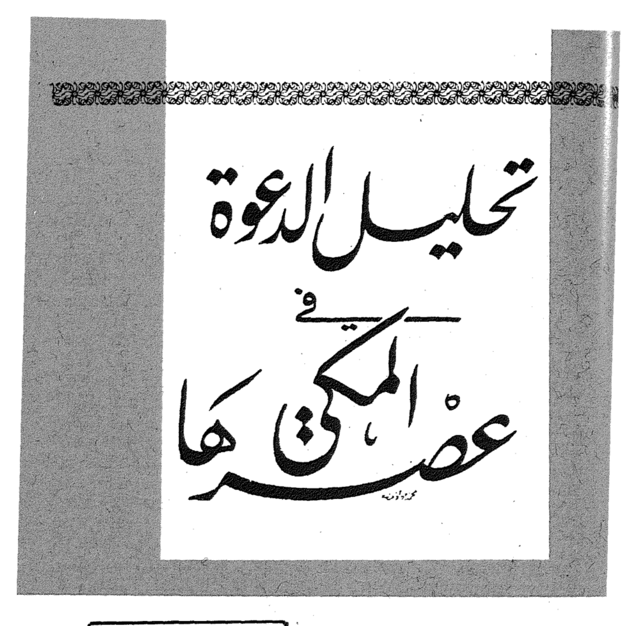
والمعروف في علم الطبيعة أن كمية الضوء المتناثر انما تتناسب عكسـيا مع الأس الرابع لطول الموجة المتناثرة أي تزداد بازدياد قصر طول الموجة .

ولمـا كان اللـون الأزرق من أقصـر الموجات التي ترسلها الشمس وهـو في نفس الوقت أغزرهـا قـدرا في الحزمة الشـمسية ، لهذا كله فان الغلاف الجوي سريعا ما يكتسب اللون الأزرق ويصير على هيئة قبة زرقاء من الضوء المتشتت .

وعندما يمر الضوء خلال الطبقات السطحية من غلاف الأرض الجـوي (عند شروق الشمس وعند غروبها) تلعب الأتربة دورها وكذلك نقط الماء العالقة في السحب وتعمل على تناثر الأشعة ذات الموجات الطويلة مثـل الحمراء أو الصفراء . وعلى هـذا النحـو يظهـر الأفق بتلك الألـوان المعروفة باسم الغسق أو الشفق وهي الألوان التي طالما تغنى بها الشعراء ولا علة لها سوى تلوث طبقات الهواء السطحية بالأتربة الدقيقة العالقـة فيه أو السحب الرقيقة السابحة فيه .

وعندما يرتفع الناس وسط النهـار بالصواريخ فوق هذه القبة ، أي فوق معظم الغلاف الهوائي تظلم الدنيا من جديد وتظهر نجوم السماء ولكن نظرا لأن الأشعة لا تضيء الا اذا تناثرت في وسط شفاف كالهواء فان الفضاء يبدو مظلما باستثناء ما قد تحـدثه تجمعات الكهارب في الماجنيتوسفير .

والله أعلم ..



للدكتور : عماد الدين خليل

ليس بامكان اى مؤرخ أن يحدد الأبعاد الكاملة لطبيعة اللقـــاء الأول ، وما تلاه من لقاءات بين الوحى الكريم وبين محمد صلى الله عليه وسلم .. وكل ما ذكرته الروايات ، اعتمادا على رؤية الرسول وهو يتلقى الوحى ، أو احاديثه القصيرة الموجزة بهذا الصدد ، لا يعدو أن يكون (وصفا) خارجيا للتجربة التى تمخض عنها البناء القرآنى المعجز .. وما دام الأمر فى امتداده وغيابه يند عن المشاهدة المباشرة والفحص التجريبى باعتباره أمرا (غيبيا) ، فليس من السهل أن نخوض فيه ، كما أنه ليس من السهل أن نخوض فى أى من الأمور الغيبية التى لم يتح لأجهزتنا الحسية والعقلية التعامل معها والاحاطة بأبعادها علما . وكل المحاولات الشرقية والغربية التى جهدت من أجل تحليل تجربة (الوحى) تحليلا يخضعها فى نهاية الامر للمعرفة البشرية المحدودة ، وقعت فى الخطأ من حيث أنها اعتمدت الظن والتخمين فى مسألة من أخطر المسائل الغيبية .. وأهم من ذلك هو ما تمخض عنه هذاالاسلوب الالهى فى تعليم البشرية والذى يعد من المصادر اليقينية للمعرفة .. فالقرآن — إذن — والحركة الاسلامية التى رافقته على خط متواز صاعد ، هما اللذان يجب أن ينصب عليهما البحث والتحليل محاولة الاحاطة من أجل ان تكون المحاولة جادة وليست ضربا فى غير هدف !

لقد تنزل الوحى على الرسول صلى الله عليه وسلم فى أعقاب فترة زمنية

طويلة ، جاوزت الأربعين عاما ، كانت الارادة الالهية تهيىء فيها ــ كما رأينا ــ المهدات البيئية والوراثية لتكوين (الشخصية) التى سيلقى على عاتقها حمل مسؤولية الرسالة الصعبة .. وأعقب ذلك تمهيد نفسى وذهنى (مباشر) تمثل بتلك الأسابيع الطوال من العزلة والتأمل والتحنث فى غار حراء ، انشقاقا على الأعراف والممارسات الجاهلية واندماجا فى الكون على مداه وبحثا عن (العلة الكافية) لخلقه على هذه الصورة من الدقة والتنسيق والتماسك والنظام ، وسعيا وراء (الشريعة) التى تعيد الانسان الى الانسجام مع النواميس التى تتحرك بموجبها السموات والارض ..

وما لبث الوحى الأمين أن جاء ، فى اللحظة المناسبة والمكان المناسب اللذين اختارتهما العناية الالهية لارسال محمد الى الناس كافة .. محمد الذى لم يكن يعرف ، حتى هذه اللحظة ، المصير الذى ينتظره ، والدور الذى سيكلف بآدائه إزاء الناس والعالم . ومن ثم جاءت (هزة) الوحى مفاجأة مذهلة لهذا الرجل المنعزل فى الغار بعيدا عن الناس .. رافقها واعقبها رعب وقلق وشك واضطراب وتمزق نفسى وحمى قاسية جعلت الرسول صلى الله عليه وسلم يغادر المكان فى أعقاب كل لقاء وهو يرتجف خوفا واشفاقا ، من أجل أن يلجأ الى سنده العاطفى الأول والأخير متمثلا بزوجته السيدة خديجة التى كانت عند حسن الظن دوما .. وما أن اطمأن الرسول صلى الله عليه وسلم الى صدق رسالته فى أعقاب تأكيدات خديجة وابن عمها ورقة بن نوفل ، وإثر تكرر نزول الوحى عليه ، حتى بدأ ــ بأمر من هذا الوحى ــ بالعمل .. كان عليه أن يدع مرحلة (العزلة) والانقطاع ، وأن يمزق دثار الخوف والقلق والشك .. وأن ينطلق ليبدأ أولى اتصالاته من أجل بناء الحلقات الاولى من الدعاة ، أولئك الذين كتب عليهم أن يتحملوا شرف الانضواء الى أول قاعدة بشرية للدعوة الاسلامية فى تاريخها الطويل ..

واذا كانت الدعوة الجديدة تتحرك تحت شعار (لا إله إلا الله) بكل ابعاده الشاملة وآفاقه الرحبة ، فقد كانت تمثل رفضا حاسما على كل القيم الجاهلية ، وانقلابا جذريا على مواضعات العصر وممارساته ومطامحه القريبة العاجلة .. وكان ارتطامها بمراكز السلطة والنفوذ والتوجيه فى مجتمع كهذا أمرا محتما .. ومن ثم كان على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يجتاز مرحلة من (العمل السرى) ، غير المعلن ، من أجل أن يرسى دعائم حركته ويضم اليها أوثق العناصر وأعمقها إيمانا ، ويسعى خلال ذلك الى مزيد من توثيق هذا الايمان وتعميقه فى نفوس الدعاة .. فعليهم ستقع المسؤولية ، وعلى مدى مقدرتهم على التحمل سيقوم البناء .. ولقد بدأ الرسول اتصالاته بأقرب الناس اليه ، من أجل مزيد من السرية والكتمان : الزوجة والصديق وابن العم والابن (المتبنى) .. ثم انطلق بعد ذلك فى توسيع نطاق الدعوة ، يعضده ساعده الأيمن أبو بكر الصديق رضى الله عنه .. وما لبثت اللبنات أن ازدادت عددا ، والبناء ارتفاعا ، والأسس عمقا ورسوخا ..

استمر العمل السرى ثلاث أو اربع سنوات ، على خلاف فى الروايات ، والدعوة خلاله تسير ببطء شديد رغبة فى التركيز والاختيار البصير بالعناصر الأكثر جدارة وكفاءة ومقدرة على تحمل مسؤولية الإيمان ..

وكان القرآن الكريم ينزل خلال ذلك مؤكدا على قضية واحدة وأمر واحد ، لم يتجاوزه الى (المسائل) الاخرى الا قليلا ، تلك هى قضية (العقيدة) التى

راح القرآن يحبك بأسلوبه المعجز وآياته البينات جوانبها الشاملة وبنـــاءها المتشابك فى نفوس أتباعه وعقولهم وضمائرهم ، ويحيلهم واحدا بعد آخر ، ويوما بعد يوم الى شخوص حية تتحرك بالقرآن ، فتكون حركتها تعبيرا حيويا واقعيا عن التصور الجديد الذى طرحه القرآن ، والذى جاء لينعكس بالضرورة على السلوك اليومى للانسان المسلم .. وكلما تقدم الزمن بالدعوة الاسلامية وتنزلت الآيات البينات لبنـــاء العقيدة كلما نمت قواعد الدعوة الاســـلامية وازدادت (تمثلا) لهذه الآيات ، الامر الذى جعلها تنمو بشكل مواز تماما لنمو البناء العقيدى الذى يطرحه القرآن ذاته لكى يحرك به (واقع) النفس البشرية ويتعامل معها تعاملا حركيا يرفض منطق الجدل واللاهوت والنظريات .

ولقد مرت هذه السنين الطويلة من مرحلة العمل السرى ولم يتجاوز عدد الدعاة خلالها ــ كما رأينا ــ الخمسين رجلا وامرأة ، وهو عدد قليل جدا اذا ما قورن بهذا الامتداد الزمنى الطويل .. إلا أن التركيز والعمق الذى يتميز به كل واحد من هؤلاء ، جعل المنتمين الى الاسلام قادرين ، بعد قليل ، على تحمل الضغوط الوثنية القاسية التى ستصب عليهم من أجل فتنهم عن دينهم : تعذيبا واضطهادا وقتلا ونفيا وسخرية وقطيعة واحتقارا .. وعلى تجاوز (المحنة) السوداء وهم أصلب عودا وأعمق ثقة وأشد إيمـــانا .. وفى جوارهم آيات القرآن تشد أزرهم وتعمق يقينهم الجديد .. والرسول صلى الله عليه وسلم يقودهم من ساحة الى ساحة صوب مشارف الفوز والانتصار . ولا ريب أن اعتماد المقاييس المادية ــ كما فعل عدد من المستشرقين أمثال كريمر وجرمه وغيرهما ــ لفحص الدوافع التى قادت المسلمين للانتماء الى الدين الجديد أو الى أية عقيدة أو دين ، أمر يرفضه واقع (التجربة) فى أبعادها الشـــاملة الرهيبة ، فلم يكن البحث عن (الحق) ، والتشبث فى الانتماء اليه ، أمر معدة تبحث عن طعامها وجسد يرنو الى الاشباع ، بقدر ما هى مسألة نفسية متكاملة يلعب فيها الظمأ الروحى واليقين الفكرى والقناعة الذاتية دورها الأول والأخير ، بحيث أن سائر الامور الاخرى الحسية والجسدية تجىء ثانوية بالنسبة لهذه العوامل الأساسية ..

هذا على المستوى النفسى ، أما على المستوى التاريخى ، فان هذا المقياس (المادى) الذى أخذ يشيع فى العقود الأخيرة ، كإسقاط معاصر على الوقائع التاريخية الماضية ، سرعان ما يتهافت بمجرد القـــاء نظرة متأنية على قوائم المسلمين الأول الذين كان أكثرهم ــ كما يقول صالح العلى ــ من التجار ورجال الطبقة الوسطى ، وممن كانت لهم عشائر تحميهم وتدافع عنهم . بل حتى وجود الحلفاء والمستضعفين فى الاسلام ، لا ينهض دليلا على صحة هذا الرأى ، إذ أن هؤلاء نالوا كثيرا من الاضطهاد بسبب عقائدهم ، ومنوا بكثير من الآمال اذا تركوه ، فرفضوا وأصروا على التمسك بالدين الجديد ، مما يدل على أن دافع العقيدة هو الذى كان يدفعهم الى اعتناق الاسلام . والواقع أن الروايات أشارت صراحة الى دوافع بعضهم ، فعثمان بن مظعون كان من قبل ظهور الاسلام من الباحثين عن الدين ، وسعيد بن زيد بن عمرو هو ابن الرجل الذى كان حنيفيا يبحث عن دين ابراهيم ، وخالد بن سعيد بن العاص اعتنق الاسلام لأنه رأى نفسه فى المنام على حافة هاوية من النار يدفعه اليها أبوه ، ويدفعه عنهـــا رجل آخر لينقذه منها . ويمكن تفسير ذلك بانشغال عقله الباطن فى الأمور الدينية واعتناقه الاسلام لاعتقاده بأن فيه المنجى والمخلص . أما عمر بن الخطاب

الذى اسلم بعد هذه الفترة فقد اسلم لتأثره من سماع آيات القرآن ومن رؤية اخته تتأذى(١) .

ترى ؟ كم من المسلمين قادتهم الى الاسلام ، تلك الهزة الوجدانية ، التى احدثتها آيات القرآن الكريم الساحرة المعجزة وهى تتلى عليهم ، فتغسل ضمائرهم وتزيل رين قلوبهم وتعيد تألق الذكاء الى عقولهم ، ونور اليقين الى بصائرهم وافئدتهم ؟ وهل بعد هذه (الهزة) الشاملة التى تنقل الانسان من حال الى حال تفكير (منفعى) محدود فى أمعاء تمتلىء طعاما ، وجيوب تفيض فضة وذهبا ؟!! ما الذى دفع عثمان بن عفان ، وهو فى قمة قريش غنى ومكانة وايمانا ومحبة وجاها ، الى أن يتمرد على جاهليته ويقف ، فى لحظات الدعوة الاولى ، الصعبة الغامضة ، الخطيرة ، بمواجهة قومه وعشيرته ، رافضا الغنى والمكانة والجاه والمحبة ، مختارا بدلا منها الفقر والاحتقار والزراية والخوف والكراهية ؟ حتى انه ليستهين بسياط عمه وهى تنزل على ظهره من اجل أن يعود ثانية الى حظيرة الآباء والأجداد ؟ وما الذى دفع أبا بكر — وعشرات غيره — الى أن ينفقوا من أموالهم الخاصة التى سهروا وكدحوا على جمعها وتنميتها ، ينفقونها حتى آخر درهم ، حتى أن الرسول ليسأل رفيقه الصدّيق : وما الذى ابقيت لعيالك يا أبا بكر ؟ فيكون جوابه : ابقيت لهم الله ورسوله !! وما الذى دفع سعد بن أبى وقاص ، الغنى المدلل ، أن يرفض توسلات أمه ، وقد أوثقته رباطا ، من اجل أن يرتد عن دينه ، حتى ليسلمها الهم من عناء ذلك الى المرض فما يكون جوابه إلا أن يقول للأم التى هى اعز الأحبة على قلوب الأبناء : والله يا أم لو رأيتك تموتين مائة مرة ثم تعودين ثانية الى الحياة ما ردّنى ذلك عن دينى !! وغير عثمان وأبى بكر وسعد كثيرون !!

لقد انتمى الى الاسلام — كما يقول مونتغمرى وات — شباب من افضل العائلات ، خالد بن سعيد أفضل ممثل لهذه الفئة ، ولكن هنالك آخرون غيره ، وكانوا ينحدرون من أقوى العائلات وأشهر القبائل ، تربطهم روابط متينة بالرجال الذين يملكون السلطة فى مكة ، وكانوا فى مقدمة أعداء محمد . ومن المهم أن نشير الى انه وجد فى معركة بدر أمثلة على الاخوة والآباء والأبناء والعم وابن الأخ الذين كانوا يقاتلون فى صفوف كلا الحزبين .. ويمضى (وات) الى القول بأن أهم فكرة نستخرجها من هذا (العرض عن المسلمين الأول) هو أن الاسلام الفتى كان فى الأساس حركة شباب . إذ أن معظم الذين تعرف أعمارهم لم يتجاوزوا الأربعين عند الهجرة — وبعضهم كانوا أصغر كثيرا — وكثير منهم كانوا قد اعتنقوا الاسلام منذ ثمانى سنوات . ولم يكن الاسلام ، من جهة ثانية ، حركة رجال من طبقة مستضعفة من حثالة الناس أو من طفيلية صعاليك حطوا رحالهم فى مكة . ولم يستمد الاسلام قوته من رجال الدرجة السفلى فى السلّم الاجتماعى بل من أولئك الذين كانوا فى الوسط(٢) ثم ما يلبث (وات) أن يقع فى نفس الخطأ الذى وقع فيه معظم الغربيين الذين يجدون انفسهم ملزمين بتطبيق مقاييسهم الخاصة على تاريخنا ..

والى اى دين كان ينتمى هؤلاء الشباب المترفون الاغنياء ومتوسطو الحال ، الذين ينتمون الى اشهر القبائل المكية وأعلاها سلطة ومكانة ؟ الى الدين الذى كانت حملات كتابه الكريم تتنزل منذ بداياتها الأولى « العلق ، القلم وغيرهما »(٣) صواعق على رؤوس الاغنياء والزعماء تلك الآيات التى « .. نددت بالأغنياء الذين يقبضون أيديهم عن مساعدة الطبقات المعوزة وحثت على الانفاق كثيرا ، كما

انها حاربت الزعامة الطاغية الباغية المعتزة بالقوة والمتكبرة عن الحق »(٤)
وهكذا تبدو طبيعة الدعوة الاسلامية منذ بدئها عظيمة رائعة فى حدبها على هذه الطبقة التى تتألف منها عادة اكثرية الجماهير ، وتحريرها ورفع مستواها(٥) .

ولن تتكامل الصورة إلا بأن نتجاوز ، فى تحليلنا هذا ، مرحلة الدعوة السرية الى المرحلة المكية عامة لنرى فى الجهة المقابلة الدوافع الحقيقية التى قادت المشركين وزعماءهم الى مقاومة الدعوة ، وهى دوافع لا تنصب على الجانب المادى فحسب ، بل تمتد الى كل مساحات التصور والشعور والحياة الجاهلية ، وان كان للجانب (المادى) اهمية كبيرة بين هذه الدوافع إلا انه لا يمكن أن يغطى المساحة كلها ويحجب الدوافع الاخرى ، الدينية والنفسية والسياسية والثقافية عن اعين الباحثين . ذلك « أن مقاومة المشركين للاسلام ، رغم الجمود الظاهر لدياناتهم يمكن تعليله بأن دينهم ، وان لم يكن يلعب دورا كبيرا ظاهرا فى حياتهم اليومية ، إلا أنه كان متغلغلا فى نفوسهم ومتعمقا فى اللاشعور فيهم ، فهم يعيشون فيه دون أن يفهموه أو يدركوه . كما انه لطول أمد استقراره لم تكن هناك حاجة للتحدث به أو الدفاع عنه . ولكن الاسلام بنقده لدينهم كان تحديه موجها لا الى عقائدهم فحسب بل الى ذاتيتهم والى كيانهم الروحي ، فاندفعوا يدافعون عنه بقوة . ومما زاد فى قوة هذه المقاومة ، روح المحافظة التى تتجلى عند البدو بصورة خاصة . وفى القرآن الكريم آيات كثيرة تبين اثر روح المحافظة فى المقاومة غير المفكرة التى واجهوا الاسلام بها [وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا : ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم](٦) . ومما زاد فى عنف مقاومتهم أن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم للوحدانية كانت جديدة عليهم ، فلم يكن قد أتاهم من قبله رسول »(٧) .

ولا ريب أن هذا الدافع اللاشعورى ، هو الذى يفسر لنا إصرار زعماء (الشرك) خلال تعذيبهم للمسلمين ، وضغوطهم ضد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يدعوا سب آلهتهم وشتم آبائهم واجدادهم وهو الأمر الذى كان يتكرر كثيرا فى ميدان العلاقات الوثنية الاسلامية ، كما يفسر لنا تشبث رجل عاقل كأبى طالب بدينه الوثنى ، رغم حمايته المعروفة لابن اخيه ، بحجة أن هذا التغيير لا يليق برجل كبير موقر مثله .. فتغيير دين الآباء والأجداد (عار) لا يلائم كبار رجالات مكة وشيوخها ، أولئك الذين كان يقود خطاهم إحساس (رجعى) متأصل فى نفوسهم ، تعبر عنه الآية الكريمة : « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون » .. وغيرها كثير ..

ولعل من أسباب المقاومة كذلك – يقول دروزة – ما كان للزعامة الوثنية من دور خطير فى المجتمع العربى حيث كان الزعماء – وخاصة الزعماء الأغنياء – يتمتعون بنفوذ السيادة .. ومنها ما كان من رسوخ عصبية التقاليد فى المجتمع العربى ، وما استهدفته الدعوة من هدم كثير من تقاليد العرب الاصلية والفرعية ، أو تعديلها : كالشرك على انواعه ، والاستشفاع بالملائكة ، وما شاب الشرك من وثنية مادية ، وكالعصبية الاجتماعية الضيقة وما كانت تتشدد فيه من حزبيات عائلية وقبلية(٨) وشؤون القيامة والمرأة والرقيق والتحريم والتحليل فى كثير من الامور .. وخوف الزعامة القرشية واغنياء مكة معا على ما كان لهم ولمكة من مركز ومنافع أدبية ومادية عظيمة ، بسبب وجود بيت الله فى مكة وسدانتهم له ..

ثم هناك ما اثاره فيهم الانذار بالبعث والقيامة ، والوصف المسهب للحياة

الأخروية ، الوارد فى القرآن من عجب واستغراب ، لاسيما أن هذا لم يكن مما هو معروف بهذه الصراحة والاسهاب عند الأمم الكتابية التى كان لها أثر فى أفكار العرب ومعارفهم .. ولعل فى تجريد الاغنياء والأقوياء من أسباب قوتهم ومكانتهم ، وتحقيرهم الدائم إثارة للسواد على الزعماء وتحريضا على عصيانهم فيما يأمرونهم به من عدم الاستجابة الى الدعوة .. وقد كانت طبيعة النبى البشر ، من أسباب المقاومة كذلك .. إذ كان العرب يتخيلون أن النبى لا بد ان يكون ذا قوى خارقة يفترق بها عن طبائع البشر ويستطيع أن يفعل ما لا يفعله سائر الناس من خوارق المشاهد .. فلما رأوه مثلهم يأكل الطعام ويمشي في الاسواق ، وسمعوه يعلن بلسان القرآن أنه بشر مثلهم .. جحدوا نبوته وكذّبوا صلته بالله ، ونعتوه بالمجنون والشاعر أو الساحر أو الكاهن(٩) .

ونمضي فى اسباب تفحص المقاومة الوثنية للدعوة ، فنجد (وات) يحدثنا عن مجموعة أخرى من الاسباب ، مؤكدا فى الوقت نفسه دور الاسباب التى سبق ذكرها : « ان السبب الأساسى فى المعارضة كان بدون شك ، أن زعماء قريش وجدوا أن إيمان محمد بانه نبى ستكون له نتائج سياسية . وكانت الصفة العربية القديمة تقول : إن الرئاسة فى القبيلة يجب ان تكون من نصيب أكثر الرجال حظا من الحكمة والحذر والعقل ، فلو أن اهالى مكة اخذوا يؤمنون بانذار محمد ووعيده ، وجعلوا يستفسرون عن الطريقة التى يجب ان تدار بها شؤونهم ، فمن ذا الذى يحق له نصحهم غير محمد نفسه » ؟

ويمضى (وات) الى القول بأن زعماء مكة كانوا من بُعد النظر بحيث اقروا بالتناقض بين تعاليم القرآن الأخلاقية ورأس المال التجارى الذى كان عماد حياتهم .. كما كان العرب بطبيعتهم ، أو حسب تربيتهم محافظين .. ويقول الزهرى بأن سبب المعارضة ، بالاضافة الى مهاجمة الاصنام ، القول بأن مصير أجدادهم النار . ويرتبط احترام الأجداد هذا ارتباطا وثيقا بتقديس العادات والتقاليد القديمة . وبينما كان بعض المعارضين ذوى نزعة فردية قوية، فقد كان أكثرهم محافظة يعترف ببعض الولاء للجماعة ، فكانوا يرون اذن فى نزعة الاسلام لإحداث انقسامات حادة فى العائلة دليلا آخر على أن التخلى عن الطريق الذى سلكه الأجداد يؤدى الى نتائج وخيمة ، وربما بدا لهم ذلك جديرا بتهديم المجتمع بأكمله ، وكان هذا ما يحدث فعلا .. وما يلبث (وات) أن يخلص الى القول بأن أسباب معارضة الاسلام – إذا وضعنا جانبا كل مصلحة شخصية – كانت الخوف من نتائجه السياسية والاقتصادية والنزعة المحافظة الصرفة ، وكانت المشكلة التى جابهها محمد لها جوانب اجتماعية واقتصادية وسياسية وفكرية ، غير أن رسالته كانت فى الأساس دينية بحيث أنها حاولت علاج الاسباب الدينية الكامنة لهذه المشكلة ولكنها انتهت لمعالجة الجوانب الاخرى ولهذا اتخذت المعارضة أشكالا مختلفة(١٠) .

إن شعار (لا إله الا الله) الذى أمر محمد صلى الله عليه وسلم برفعه في وجه الجاهلية ،جاء انقلابا شاملا على كل المستويات الدينية والاجتماعية والفكرية والنفسية والأخلاقية والسياسية والسلوكية ، إذ هو شعار واضح بضرورة رد الأمر كله الى الله (الحاكم) و (المشرّع) وتجريد الانسان فردا وجماعة ، من الخضوع لمقاييسه الجزئية القاصرة ، واتباع (الهوى) و (الظن) فى كل صغيرة وكبيرة .

ولقد رأينا خلال عرضنا للطور العلنى للدعوة أن جلّ كلمات القرشيين ومرتكزات حوارهم مع أبى طالب أو مع محمد صلى الله عليه وسلم نفسه ، من

أجل اقناعه بالعدول عن دعوته ، ما كانت لتنصب على الدفاع عن مصــالحهم المادية ، بقدر تشبثها بمعتقداتهم وقيمهم ، كما نلمح من خلالها ادراكهم الكامل لأبعاد عبارة (لا إله إلا الله) وخطورتها الشاملة إزاء وجودهم الجاهلى كله .

ويمكن أن نذكر هنا ــ على سبيل المثال ــ رواية ابن سعد التى تقول إن وفدا من زعماء قريش قدموا الى ابى طالب ليلتمسوا اليه ان يكف ابن أخيــه فاستدعاه وقال له : « يا ابن اخى ، هؤلاء عمومتك واشراف قومك وقد أرادوا ان ينصفوك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قولوا أسمع !! قالوا : تدعنا وآلهتنا وندعك والهك ، قال ابو طالب : قد انصفك القوم فاقبل منهم . فقال رسول الله : ارايتم إن أعطيتكم هذا ، هل انتم معطى كلمة إن أنتم تكلمتم بها ملكتم بها العرب ، ودانت لكم العجم ؟ فقال ابو جهل : إن هذه كلمة مريحة ، نعم وابيك ، لنقولنها وعشر امثالها !! فقال الرسول : قولوا (لا إله إلا الله) !! فاشمأزّوا ونفروا منها وغضبوا وقاموا وهم يقولون (اصبروا على آلهتكم إن هذا لشىء يراد) !! »(١١) .

فليست الحركة الاسلامية إذن حركة طبقة ضد طبقة ، فقد انتمى اليهــا اناس من شتى الطبقات . وسواء كانت هذه السمة (الطبقية) ناتجة عن تحرك الفقراء ضد الاغنياء ، كما يرى بعض الباحثين ، او من الأغنياء لكبت ما يتحسسون منه رائحة ثورة شاملة سيقوم بها الفقراء ضد مصالحهم ومراكزهم ، كما ارتأى باحثون آخرون(١٢) .. فان هذه الافتراضات التى ينقض بعضها بعضا ، تعود لكى تنقض نهائيا بمجرد عرضها على (الواقعة التاريخية) نفســـها .. إذا ما أردنا البحث الموضوعى الجاد .... وإلا فان التخمين والاستنتاج والاسقاط المعاصر على التاريخ ، دون رؤية وارتكاز على أبعاد الواقعة نفســـها يقودنا ولا ريب الى (اسرائيليات) من نوع جديد ، تتدثر بدثار العلم والموضـــوعية وما هى منهما بشىء !!

بعد أن تم بناء القاعدة (الصلبة) للدعوة ، متمثله بأولئك الرواد الأوائل من المسلمين الذين انتموا للاسلام عبر سنيه الصعبة وغربته ، والذين علمتهم التجارب المقدرة على الصمود بوجه الضغوط مهما غلا الثمن ، والذين أنضجتهم حشود الآيات القرآنية التى كانت تتنزل (على مكث) حينا بعد حين .. أصدر الله أمره الى رسوله الكريم أن يتجاوز المرحلة السرية للدعوة صــوب الهجرة والاعلان .. وهذا أمر لا بد منه لدعوة عالمية شاملة جاءت لكى تثبت وجودها المنظور فى الارض العربية أولا ، وفى العالم المحيط ثانيا .. كل ذلك فى فترة لا تعدو ما تبقى للرسول صلى الله عليه وسلم من سنى عمره المحدود ! كان اجتماع الرسول صلى الله عليه وسلم بعشيرته الأقربين فى أطراف مكة هو بداية العهد الجديد . وقد انتهى ذلك الاجتماع الحاشد بصد محزن عن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم وإنذاره المبين .. ومنذ تلك اللحظة انفجر الصراع الواضح المكشوف بين المعسكرين .. المشركون الذين استخدموا كل أسلوب ، والتمسوا كل وسيلة لوقف حركة الاسلام الى الأمام .. والمســـلمون الذين لم يؤمروا بالعنف ــ طيلة العصر المكى ــ لئلا يتعرضوا لعملية إبادة تحقق للوثنية ما كانت تأمله وترجوه .

وقد بدأ رجال الملأ نشاطهم المضاد فى سلسلة من الاتصالات المبطنة بالوعد والوعيد مع أبى طالب ومحمد صلى الله عليه وسلم ، فلما أعقبت ــ جميعها ــ فشلا ، وأعلن النبى عن موقفه الذى لا مهادنة فيه ولا مســـاومة ، فى كلمته

الحاسمة (والله يا عم ....) وجدت الوثنية نفسها مسوقة الى استخدام اساليب العنف والاضطهاد والحرب النفسية ، لوقف الخطر الجديد ، وانقضّت كل عشيرة على ابنائها وعبيدها المسلمين تعمل فيهم تعذيبا وتحطيما للمعنويات واضطهادا ، ولم ينج الرسول نفسه من هذا البلاء النازل ، وهو وأصحابه صامدون صابرون للمحنة ، تسندهم تجارب سنين طويلة من العمل والنمو العقيدى ، وتمنحهم المعنوية والثقة آيات القرآن البينات التى كانت تتنزل فى قلب المحنة لكى ترفع المؤمنين الى آفاق الأمل واليقين بالنصر القريب .

والى جانب هذا وذاك كان الرسول ينفخ فى أصحابه روح الثبات والمقاومة ويرسم لهم بذكائه الثاقب ، وبالهدى الالهى ، الطرائق والأساليب التى تقترب بهم يوما بعد يوم من الهدف الذى كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد وعد أصحابه ببلوغه مهما طال الطريق وعظمت المصائب .. ولم يكن التخطيط للهجرة الموقوتة الى الحبشة ، والاتصال المستمر بالقبائل والوفود القادمة الى مكة ، والذهاب الى الطائف ، ولقاءات العقبة الثلاث إلا خطوات على الطريق .

وكلما ازدادت المحنة وعظم البلاء ساق الله الى الدعوة رجالا كبارا ، لهم وزنهم فى مجرى الأحداث وقدرتهم على المقاومة والتحدى والتغيير . ولم يكن إسلام حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما إلا امثلة بينة على الإرادة المعجزة التى تسوق ، وفق منطقها وقضائها الذى لا رادّ له ، رجالا من قلب الجاهلية ، ومن صميم زعامتها ، الى ساحة الحركة الجديدة ، ليسوا اتباعا عاديين ، وانما قادة وزعماء يلعبون دورهم فى إيجاد نوع من التوازن فى القوى بين الدين الاسلامى الجديد والجاهلية يمكّن الاسلام من أن يشق طريقه وسط ركام من العوائق والمصاعب والآلام ..

وإذ شعرت قريش أنها أخفقت فى كل الأساليب التى اعتمدتها لوقف انتشار النار ، فقد ارتأت فى أعقاب اجتماع عقده زعماؤها أن ترفع سلاح (المقاطعة الشاملة) كعقاب (جماعى) للمسلمين وحماتهم من بنى هاشم وبنى عبد المطلب ، علّها تضعف قدرة أتباع محمد على المقاومة ، وتدفع حماتهم ، الذين تشدهم اليهم نخوة العصبية ، الى أن ينفضوا من حولهم ويتركوهم وحيدين معزولين ، مجردين من الحماية ، وسط عاصفة الغضب الهوجاء التى اجتاحت صدور المشركين وساحات مكة .

إلا أن السلاح الجديد يثلم هو الآخر إزاء مقاومة المسلمين وقدرتهم العجيبة على التحمل ، وإزاء التركيب الاجتماعى فى مكة ، ذلك الذى دفع عددا من أبنائها الذين تربطهم العصبية بواحد أو أكثر من المحاصرين فى شعب أبى طالب الى أن يتحركوا لوقف هذه المظلمة ، وتمزيق الصحيفة التى سطرت فيها كلمات القطيعة ..

ويخرج المسلمون من الأسر الصعب بعد ثلاث سنين من العزلة والجوع والحرب النفسية .. وهم أصلب عودا ، وأغنى تجربة ، وأكثر قدرة على التحرك صوب الهدف الذى آلوا أن يسيروا اليه وراء رسولهم ، حتى ولو كلفهم ذلك أنهارا من الدماء ..

وكانت الأحداث تتلاحق والاضطهاد الوثنى يزداد عنفا وشراسة ، ويزيده فتكا وايلاما ، وفاة سنَدَىْ الرسول العاطفى والاجتماعى : الزوجة والعم ، وفشل رحلته الى الطائف ، وكأن إرادة الله كانت تعدّ ، من وراء الظلام الذى إزداد عتمة وكثافة ، بالفجر القــادم الذى لا ريب فيـــه .. ولن يكون ذلك إلا بالأسباب .. وهل بعد الأسباب التى منحها الرسول فكره واعصابه وطاقاته وهمومه جميعاً ، بقادرة على أن تحقق (وعد الله) ؟! « ولقد كذّبت رسل من قبلك ، فصبروا على ما كــذّبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدّل لكلمــات الله !! »(١٣) .

---

(١) محاضرات فى تاريخ العرب ٣٣٨/١ (الطبعة الثالثة) .

(٢) محمد فى مكة ص ١٥٩ — ١٦٠ .

(٣) انظر ســـــورة الزخرف ٢٢ — ٢٣ . هود ١١٦ . المزمل ١١ — ١٢ . الاسراء ١٦ . الواقعة ٤١ — ٤٨ . الحاقة ٢٥ — ٢٩ . الهمزة ١ — ٤ . سبا ٣١ — ٣٧ . غافر ٤٧ — ٤٨ . ابراهيم ٢١ . الاحزاب ٦٦ — ٦٧ . الأعراف ٣٦ — ٤٠ . الفرقان ٢١ — الانعام ١٢٣ . الغاشية ٣١ . الجن ٢٤ . النازعات ٢٨ — ٢٩ . النبا ٢١ — ٢٢ . وانظر صالح احمد العلى : محاضرات ٣٥٧/١ — ٣٥٩ .

(٤) محمد عزة دروزة : سيرة الرسول ١٦٥/١ (الطبعة الثانية) .

(٥) المصدر السابق ١٨١/١ — ١٨٢ .

(٦) سبأ ٤٣ . وانظر : الزخرف ٢٢ — ٢٤ . لقمان ٢١ . البقرة ١٧ . المـــائدة ١٠٤ . الصافات ٦٩ — ٧١ .

(٧) العلى : محاضرات ٣٤١/١ — ٣٤٢ .

(٨) انظر تفسير ابن كثير لآيات سورة الانعام ٣٣ — ٣٦ .

(٩) انظر بالتفصيل : دروزة : سيرة الرسول ١٧٣/١ — ١٩٣ .

(١٠) محمد فى مكة ص ٢١٤ ، ٢١٥ — ٢١٦ .

(١١) الطبقات ٣٥/١/١ وانظر المصدر نفسه ١٣٧/١/١ والبلاذرى : انســـاب ١٢٦/١ ، ١٢٨ ، ١٣٣ ، ١٤١ وابن الأثير : الكامل ٦٥/٢ .

(١٢) انظر عبد العزيز الدورى ورفاقه : تفسير التاريخ ص ١٥ — ١٦ .

* لصاحب المقال بحث شامل بعنوان « دراسة فى السيرة » لم ينشر بعد .

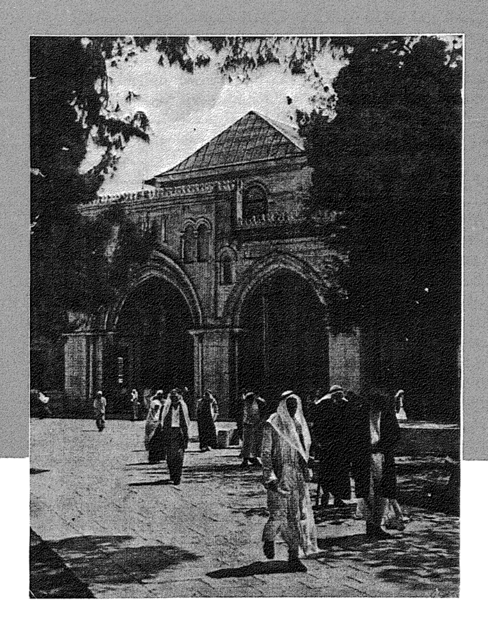
(١٣) الانعام : ٣٤ .



وثيقة تسليم بيت المقدس للخليفة عمر بن الخطاب

وأثرها في دعم عروبة القدس الشريف

للدكتور ابراهيم أحمد العدوى



جاء خروج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من عاصمته في المدينة المنورة بالحجاز ليستلم بنفسه بيت المقدس فى فلسطين شاهدا عمليا قدمه هذا الخليفة العظيم للأجيال العربية عن أصالة حقهم فى هذه المدينة الخالدة ، التى أسسها أجدادهم العرب القدامى من أهل فلسطين ، ومثلا تطبيقيا لما يجب أن ينهض به القومة على الأمة العربية — خالفا عن سالف — فى سبيل حماية مقدسات هذه المدينة من دسائس المتآمرين من اليهود الذين اشتهروا فى التاريخ باسم دعاة الصهيونية ، وحتى تظل هذة المدينة العربية الأصيلة — كعهدها ، دائما وأبدا — مدينة السلام ، ذلك أن هذا الخليفة اختص بيت المقدس وحدها بهذا التكريم من دون المدن الأخرى التى فتحها المسلمون على عهده ، وبادر الى تلبية النداء الذى أعلن فيه أهل القدس ، وعلى رأسهم البطريق صفرنيوس ، عن رغبتهم فى أن يتسلم مدينتهم المقدسة الخليفة شخصيا ، دون غيره من قادة جيوش التحرير الاسلامية المجاهدة فى الشام وفلسطين .

وكشفت سرعة استجابة الخلافة الإسلامية لمطالب اهل القدس عن تطور جديد فى حياة هذه المدينة ، قوامه امران هامان :

أولهما : أن كبار أهل الحل والعقد من الصحابة ، وهم الهيئة التنفيذية العليا التى ضمها في الدولة الإسلامية إذ ذاك (مجلس الشورى) قد اكدت بتأييدهـــا خروج الخليفة لاستلام القدس ارتباط الأصول الدينية لهذه المدينة بالدين الإسلامى الجديد ، وأن واجب الدفاع عن تلك المقدسات وأصولها هـــو دفاع عن الـــدين الإسلامى نفسه .

وثانيهما : أن الخليفة أراد أن يؤكد من جانبه أن تحرير القدس لن يتـــم إلا بتحرير فلسطين ، وأن الموقف بات يتطلب توليه القيادة العليـــا بنفســـه لجيوش التحرير فى الشام وفلسطين ، على أساس أن الجهاد فى سبيل تلك الأرجاء هـــو جهاد مقدس يجب أن يسهم فيه على قدم المساواة جميـــع ابناء الدولة العربيـــة الإسلامية ، كبيرهم وصغيرهم ، طلبا للعزة فى الدنيا ، والفوز بجنات النعيم .

وكانت التقارير التى وصلت من قادة الجيوش الإسلامية فى الشام وفلسطين الى عاصمة الدولة الاسلامية فى المدينة المنورة تحث على سرعة خروج الخليفة بنفسه لتحرير القدس وفلسطين . ذلك أن أعداء المســـــلمين هناك ، وهم البيزنطيون ، الذين عرفهم العرب باسم الروم ، قد صمموا أمام زحف الجيوش الاسلامية المظفر على الانسحاب من كبرى مـــدن الشام وفلسطين واتخـــاذ مدينة بيت المقدس قاعدة يعيدون فيها تعبئة قواتهم لإفساد التقدم الاسلامى ، باستغلال مناعة هذه المدينة المقدسة . وكان صاحب هذه الخطة البيزنطية هو (أرتيون) قائد الروم الذى اشتهر عند العرب باسم (الأرطبون) وبادر الخليفة عمر بن الخطاب بتوجيه عمرو بن العاص لمحاربة هذا القائد قائلا : « قد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب » . غير أن قائد الروم انســـحب أمام جيش عمرو بن العاص عند اجنادين ولجأبقواته الى بيت المقدس ، حيث أفصح عن خطته فى التصدى للمسلمين .

وأعلن أرطبون الروم من قاعدته فى بيت المقدس عن خطته الخبيثة فى كتاب بعث به الى عمرو بن العاص فى أجنادين جاء فيه : « الى عمرو : إنـــك صديقى ونظيرى ، أنت فى قومكمثلىفى قومى ، والله لا تفتح مـــن فلسطين شيئا بعـــد أجنادين فارجع ولا تغر فتلقى ما لقى الذين قبلك من الهزيمة » . وكتب عمرو بن العاص الى الخليفةيوضح له الموقف الجديد فى القدس وفلسطين قائلا له : « إنى **اعالج حربا كؤودا صدوما ، وبلادا ادخرت لك فرأيك »** ـــ ولما كان الخليفة عمـــر يثق كل الثقة فى تقارير عمرو بن العاص فإنه بدأ يستعد للخروج بنفسه لتحرير هذه البلاد التى ادخرها الله له كما ذكر قائده المحنك فى أرض فلسطين .

وعزز هذه الاستعدادات فى عاصمة الخلافة التقارير التى وردت بدورها من أبى عبيدة بن الجراح القائد العام للجيوش الإسلامية فى الشام . اذ أراد هـــذا القائد أن يبعث جيوشه من دمشق الى فلسطين لشد أزر عمرو بن العاص ، وعقد مجلسا حربيا للتشاور فى الأمر ، ولتقرير الجبهة التى تتجه اليها تلك الجيوش . إذ كان أمام هذا القائد العام خطتان : احداهما ترى أن تتوجه الجيوش أولا لفتح قيسارية التى كان بقاء جند الروم فيها يحول دون انطلاق عمرو بن العاص مـــن أجنادين ، والثانية : تنادى بأن تزحف الجيوش رأسا الى بيت المقدس للحيلولة دون استقرار الأرطبون وقواته بها .

واستقر رأى المجلس الحربى على ضرورة استشارة الخليفـــة عمر بـــن

الخطاب فى هذا الشأن حيث قال معاذ بن جبل لأبى عبيدة : ايها الأمير اكتب الى أمير المؤمنين عمر فحيث أمرك امتثله . فقال أبو عبيدة : اصبت الراى يا معاذ . ثم كتب الى الخليفة شـــارحا له الموقف . وجمع عمر بن الخطاب (مجلس الشورى) من كبار الصحابة ، وقرأ عليهم كتاب ابى عبيدة ، فقال على بن ابى طالب بعد مداولات واسعة تبلور فيها الموقف : **« يا أمير المؤمنين مر صاحبك ينزل بجيوش المســلمين الى بيت المقدس فإذا فتح الله بيت المقدس ، صرف وجهه الى قيسارية ، فإنها تفتح بعد إن شاء الله تعالى »** . وعندئذ كتب الخليفة بهذا الراى الذى استقر عليه مجلس الشورى لأبى عبيدة جاء نصه كما يلى :

« بسم الله الرحمن الرحيم
« من عبد الله عمر الى عامله بالشام ابى عبيدة
« أما بعد — فإني أحمد الله الذى لا إلــه الا هو واصلى على نبيه ، وقــد وصلنى كتابك تستشيرنى الى أى ناحية تتوجه ، وقد أشار ابن عم رســول الله بالمسير الى بيت المقدس ، فإن الله يفتحها على يديك ، والسلام » .

وهلل جند المسلمين فرحا فى الشام لزحفهم على بيت المقدس ، وتقدمــوا وعلى راسهم القائد العام أبو عبيدة بن الجراح ، وحين اقتربت الجيوش الإسلامية من هذه المدينة اعلن سكانها العصيان على الأرطبون ، وعرضوا على ابى عبيدة رغبتهم فى تسليم مدينتهم الى الخليفة عمر بن الخطاب نفسه وبعث القائد العام بهذا الطلب الى الخليفة الذى عقد مجلس الشورى مرة اخرى قائلا لهم : « ما ترون رحمكم الله فيما كتب إلينا أمين هذه الأمة ؟ » واستقر الراى على تلبية طلب أهل القدس ، واتم الخليفة الاستعداد للخروج الى فلسطين حيث بات لديه علم دقيق بأحوالها من مصــدرين هامين : أحدهما من عمرو بن العاص ، والآخر : من أبى عبيدة بن الجراح ، وكل منهما يؤكد ضرورة حضوره بنفسه الى تلك البلاد التى ادخر الله فتحها على يديه ، وحين ترامت انباء مســير عمر بن الخطاب بنفسه الى فلسطين انسحب الأرطبون سريعا من بيت المقدس حيث عجز عن المقام بها لعدم تعاون سكان البلدة معه ، واتجه الى مصر حيث كانت إذ ذاك تحت سيطرة الروم .

وكان الطريق الذى سلكه الخليفة عمر بن الخطاب للذهاب الى بيت المقدس يسير وفق خطة رسمها بنفسه ، استهدف منها أن تبقى أمام الصحابة والتابعين وتابعى التابعين منهم بإحسان الى يوم الدين ، نموذجا يهديهم سواء السبيل ، من اجل الحفاظ على هذه المدينة المشرفة ، ورعاية مقدساتها الجليلة ، إذ جمعت تلك الخطة بين الاستعداد الحربى الكامل وبين الالتزام بالبساطة التامة البعيدة عن الزهو والخيلاء ، فغادر الخليفة المدينة المنورة متجها الى (ايلة) وهى العقبــة الحالية باعتبارها مفتاح المدخل الجنوبى لفلسطين .

ثم سار الى الجابية فى مرتفعات الجولان الحالية ، حيث جعل من هــذا المكان الاستراتيجى بين سورية وفلسطين مقرا لعقد مؤتمر حربى استدعى اليه قادة الجند بالشام للتشاور معهم فى طلب أهل القدس ، ووضع أمثل السبل لإتمام فتح فلسطين .

وتوجه أبو عبيدة بن الجراح القائد العام للجيوش الإسلامية بالشام الــى الجابية حيث تلقى الخليفة عمر بن الخطاب هناك وتعانقا . ثم توافد على الخليفة سائر القادة ، وجماعات من المسلمين حضرت لتحية الخليفة ، وصلى الخليفــة

بالحاضرين صلاة الفجر وخطبهم ، ثم تدارس مع القائد العام الوضع فى بلاد الشام حتى حضرت صلاة الظهر ، حيث جرت فى خشوع جليل ، رواه أحد شهود العيان قائلا : « فأذن بلال فى ذلك اليوم ، فلما قال : الله أكبر ، خشعت جوارحهم ، واقشعرت ابدانهم ، فلما قال : اشهد ان لا إله الا الله واشهد أن محمدا رسول الله ، بكى الناس بكاء شديدا عند ذكر الله ورسوله ، وكاد بلال أن يقطع الأذان ، فلما فرغ من الأذان صلى عمر بالحاضرين » .

وجرت وسط هذه المظاهر الجليلة جلسات المؤتمر الحربى بالجابية تحت رئاسة الخليفة للنظر فى شأن القدس ، وحضر فى ذلك الوقت وفد شعبى يمثل أهالى القدس لمقابلة الخليفة عمر وتسليم بلدتهم له . وجاء تشكيل هذا الوفد على تلك الصورة دلالة واضحة على أن انسحاب الروم من بيت المقدس كان أمرا حتميا فرضته الرغبة الشعبية فى هذه المدينة على أولئك المستعمرين البغاة ، وشاهدا قويا على أن أهالى القدس وجدوا فى الدولة العربية الإسلامية الفتية ينبوعا دافقا يغذى أصولهم العربية ، ويهيىء لهم استعادة سالف أمجاد مدينتهم وأمنها ، وكان أهم مطلب ركز الوفد الشعبى عليه هو الا يساكنهم مدينتهم أحد من اليهود ، الذين اشتهروا بمحاولاتهم العديدة لاغتصاب هذه المدينة ، واثارة القلاقل فيها ضد السلطات الحاكمة تحت ستار الاحتماء بقدسية تلك المدينة ، وكان أخطر محاولات اليهود التى شهدها أهالى القدس قبل الفتح الإسلامى ما حدث على عهد الامبراطور الرومانى هارديان سنة ١٣٥ م ، إذ قاموا بأعمال شغب واسعة فى القدس ، دفعت هذا الامبراطور إلى الإسراع بنفسه الى بيت المقدس ، وطرد اليهود منها كلية ، وبلغ الحنق بهذا الامبراطور حدا دفعه الى أن يطلق على بيت المقدس اسمه الاول ، وصارت تدعى نسبة اليه باسم « إيلياء » وذلك رغبة فى سد السبل نهائيا أمام اليهود لاستغلال اسم هذه المدينة المقدسة .

وظلت مدينة بيت المقدس تحمل اسم « إيلياء » حين خرج الوفد الشعبى من أهلها لمقابلة الخليفة عمر بن الخطاب ، وطلبوا منه أن يسجل هذا الاسم فى وثيقة تسليم مدينتهم له ، دلالة على خلوها تماما من اليهود ، واصرارا منهم على الا يساكنهم فيها أحد من اليهود ، وكان هذا المطلب الشعبى لأهل القدس هو نفس المطلب الذى أصر عليه البطريق صفرنيوس حين عرض تسليم المدينة المقدسة للخليفة عمر بن الخطاب شخصيا ، ووافق الخليفة على مطالب أهل القدس وسجلها فى وثيقة محددة البنود ، أضاف اليها شروطا تنص على احترام مقدسات هذه المدينة وما يكفل لها السلامة أيضا من بقايا الروم فيها وعملائهم . وجاء نص هذه الوثيقة التاريخية المؤكدة لخلو القدس من اليهود وارتباطها بأصولها العربية ، وكذلك بالدين الإسلامى الجديد على النحو التالى :

« بسم الله الرحمن الرحيم

ـــ هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان .

ـــ أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم ، وسقيمها وبريئها ، وسائر ملتها .

ـــ أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ولا من حيزها ، ولا من صليبهم ، ولا من شىء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم .

ـــ **ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود .**

ـــ وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن .

ـــ وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوت (أى اللصوص) .

ـــ فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن أقام منهم فهو آمن ، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية .
ـــ ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم ، حتى يبلغوا مأمنهم .
ـــ ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان ، فمن شاء منهم قعدوا عليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية .
ـــ ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع الى أهله ، فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم .
ـــ وعلى ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذى عليهم من الجزية .
ـــ شهد على ذلك خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن أبى سفيان .
ـــ وكتب وحضر سنة خمس عشرة .

وكشفت هذه الوثيقة التاريخية بنصوصها الصريحة عن حقيقتين راسختين .

أولهما : أن اليهود لم يكن لهم وجود على الإطلاق فى بيت المقدس حين زحفت الجيوش الاسلامية على بلاد الشام ، وأن أهالى القدس أنفسهم كانوا يقفون قبل الاسلام بالمرصاد لدسائس منحرفى اليهود ، وهدم ما زعموه بهتانا من حقوق لهم فى هذه المدينة المقدسة ، وأن الاسلام حين امتد الى أرض فلسطين جاء ليدعم هذه الحقيقة التاريخية ويؤكدها بخصوص خلو بيت المقدس تماما من اليهود .

ثانيهما : أن المسلمين يكنون للمقدسات المسيحية فى بيت المقدس نفس الإجلال الذى يكنه المسيحيون أنفسهم لتلك المقدسات ، وأن المسلمين يجدون فعلا فى النصارى أقرب مودة إليهم ، وأهلا للتعاون فى رعاية المقدسات الدينية فى هذه المدينة الخالدة .

وعاد الوفد الشعبى لبيت المقدس من الجابية يحمل هذه الوثيقة التاريخية ، ويستعد لاستقبال الخليفة فى المدينة المشرفة ، وكان الخليفة يستعد لهذه الزيارة استعدادا يجعل منه نموذجا عمليا أمام المعاصرين وغيرهم من الأجيال العربية وغير العربية على مر العصور عن إيمان المسلمين بمكانة بيت المقدس فى الدين الاسلامى الجديد ، والتطبيق العملى لاحترام المسلمين لمقدسات هذه المدينة ، فعمد الخليفة أولا الى تأمين بيت المقدس وسائر ديار فلسطين من أى هجوم غادر قد يشنه الروم إذ أقام حامية فى ايلياء بقيادة علقمة بن مجزر ، وأخرى فى الرملة بقيادة علقمة بن حكيم ، على حين ضم إليه فى الجابية عمرو بن العاص وشرحبيل ابن حسنة وغيرهم من القادة العاملين فى تحرير أرض فلسطين .

وغادر عمر بن الخطاب مقره فى الجابية بمرتفعات الجولان الى بيت المقدس فى موكب جمع بين المهابة والجلال والبعد التام عن مظاهر الزهو والخيلاء ، ووصف أحد المعاصرين هذا الموكب قائلا : إن الخليفة حين جاء ميعاد زيارة بيت المقدس أمر الناس بالركوب ، ومعظمهم من كبار قادة الجند والصحابة الأجلاء . ولما هم الخليفة بالركوب على بعيره وعليه مرقعة الصوف قال المسلمون : يا أمير المؤمنين ، لو ركبت غير بعيرك جوادا ، ولبست ثيابا لكان ذلك أعظم لهيبتك فى قلوب القوم . وأقبلوا يسألونه ويطوفون به الى أن أجابهم الى ذلك . ونزع مرقعته ، ولبس ثيابا بيضاء . قال الزبير : أحسبها كانت من ثياب مصر تساوى خمسة عشر درهما ، وطرح على كتفه منديلا من الكتان ، دفعه اليه أبو عبيدة . وقدم له برذونا أشهب . فلما صار عمر فوقه جعل البرذون يهملج

(أى يسير عجبا) . وعندئذ نزل الخليفة مسرعا وضرب وجه البرذون وقال : لا علم الله من علمك ! ، هذا من الخيلاء . ولم يركب برذونا قبله ولا بعده . ثم صاح بالناس قائلا : اقيلونى عثرتى أقالكم الله عثراتكم يوم القيامة ، لقد كاد أميركم يهلك مما داخله من الكبر . ثم إنه نزع البياض ، وعاد الى لبس مرقعته وركوب بعيره ، فعلت ضجة المسلمين بالتهليل والتكبير .

ودخل موكب الخليفة عمر بن الخطاب مدينة بيت المقدس يوم الخميس الموافق ٣ مايو سنة ٦٣٦ م ، حيث استقبله زعماء المدينة وعلى رأسهم البطريق صفرنيوس ، وسط مظاهر الحفاوة من السكان جميعا . واستهل الخليفة زيارته بمشاهدة الأماكن المقدسة ، والكنائس الكبيرة فى القدس ، حيث تولى البطريق صفرنيوس شرح تاريخ تلك المشاهد الدينية . وحرص الخليفة طوال هذه الزيارة على دعم حقوق المسيحيين فى مقدساتهم وتجنب كل ما قد يثير الريب حولها . إذ تصادف أن حل ميعاد الصلاة ، وهو يزور كنيسة القيامة ، وسأل البطريق عن مكان يصلى فيه فلما أجابه البطريق : صل مكانك ــ أى الخليفة ــ خرج من الكنيسة ، وصلى فى مكان بالقرب منها ، ولما أتم الصلاة قال للبطريق : أيها الشيخ ، لو صليت فى كنيسة القيامة لاتخذها المسلمون معبدا لهم .

وكان الخليفة حريصا أيضا فى تلك الزيارة على مشاهدة معالم المسجد الأقصى الذى حمل له صورة واضحة عن الرسول الكريم ليلة الإسراء والمعراج وكذلك مشاهدة الصخرة المقدسة . وتكرر وقوف الركب فى عدة أماكن التبس على البطريق نفسه أنها المسجد الأقصى ، ولكن الخليفة أعلن فى كل مرة أن أوصاف تلك الأماكن لا تنطبق على ما تعيه ذاكرته من الأوصاف التى نقلها عن الرسول الكريم . وكان موقع المسجد الأقصى والصخرة المقدسة قد تعرضت للإهمال فى الايام الأخيرة من حياة القدس فى ظل استعمار الروم ، وغدت بقعة تغطيها القمامة . وحين اقترب الركب من هذا المكان ، بدأ الخليفة فحص معالمه بنفسه ، وتأكد أنه المكان المبارك . وعندئذ أخذ الخليفة ــ كما وصف أحد المرافقين له ــ يحثو القمامة فى كمه ويذهب ليلقيها فى وادى النار (قدرون) الواقع شرق المكان ، فاقتدينا به وحثونا كما حثا مرات كثيرة حتى ظهر المكان وتطهر واتضحت معالمه ، كما ظهرت الصخرة المباركة وتطهرت .

وأمر الخليفة ببناءمسجد فى هذا المكان ، بحيث كانت الصخرة فى الخلف ، ولتكون القبلة فى صدر المسجد ، دفعا لأية شبهات قد تثار حول هذا المسجد الإسلامى . وشرح الخليفة ما قام به مؤكدا أنه جعل رائده « كما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلة مساجدنا صدورنا » ثم أضاف الخليفة قوله « فإنا لم نؤمر بالصخرة ، ولكنا أمرنا بالكعبة » .

وصلى الخليفة بالحاضرين ، بعد أن أمر المؤذن بإقامة الصلاة ، وقرأ سورة (ص) وسجد فيها ، ثم قام وقرأ فى الثانية سورة (الإسراء) . وجاءت تلاوة هذه الآيات البينات إعلانا رسميا عن ربط الأصول الدينية للقدس الشريف بالدين الإسلامى الجديد وبالقومة عليه من أبناء الأمة العربية ، وأمضى الخليفة عشرة أيام فى القدس ، قام فيها بأعمال جليلة غدت تكون العهد الجديد للقدس فى ظل حماية العروبة والإسلام ، كما ترك فى يد أبناء هذا البلد الشريف وثيقة تاريخية تدعم حقهم فى صيانة بلدهم ، وجعلها على مر العصور مدينة عربية خالصة ، رائدها ــ كما كانت منذ نشأتها على يد سكانها من العرب القدامى ــ أن تكون « مدينة السلام » .



مكتبة المجلة

اعداد الأستاذ عبد الستار محمد فيض

معجم الفقــه الحنبلى
مستخلص من كتاب المغنى لابن قدامه

اصدرت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية فى الكويت الجزء الاول من هــذا المعجم ويقع فى (٥١٦) صفحة من القطع الكبير ، وينتهى باخر حرف الشين ، ويعين هذا المعجم القارىء على مراجعــة احــكام المذهب الحنبلى حيث رتب خلاصــات كتاب (المغنى بترتيب الف بائى بحسب عنــاوين الابواب وينتظر صدور الجزء الثانى قريبا ان شاء الله .

الفهرســة الهجائيــة
والترتيب المعجــمى

رسالة استعرض مؤلفها فيها ناحيــة مهمة من نواحى التنظيم التاليفى والطبــاعى ، وقد عنى فيها بابراز المشكلات التى تعترض المفهرسين والمعجميين عنـد ترتيب المفردات والمركبــات ، وخاصة فى اللغة العربية ، هذه المشكلات التى فرقت طرق الترتيب اشتاتا ، حتى كاد كل فهرس او معجم ان يكــون له طريقته الخاصــة فى الترتيب ، فاستخلص القــوانين التى تحــل تلك المشكلات ، وتبصر العاملين فى هــذا الميدان باسباب الخطا والاختلاف .

وقد حاول المؤلف أن يصل حاضر هذا الفن ــ فن الفهرسة والتعجيم ــ فى آدابنا بماضيه ، فبين مجهودات العلماء المسلمين ، وسبقهم العظيم فى هــذا الميــدان ، وكيف كانت لديهم معاجم متقنــة الترتيب والتنظيم فى اللغــة وسائر العلوم فى الحيــوان ، والنبات ، والاغذية ، والبلدان ، والتراجم وغير ذلك .

وقد دعــا المؤلف الى الالتزام بالفهرسة الهجائية المتقنــة لكل ما يصدر من المؤلفات والمجلات العلمية خدمة للباحثين ، وتيسيرا على المراجعين .

الكتاب من تاليف الاستاذ محمــد سليمان الاشقر امين مكتبــة وزارة الاوقــاف والشئون الاسلامية بالكويت ، ونشرته دار البحوث العلمية بالكويت ، والدار العلمية ببيروت .

١٠٠ يوم فى الكــويت

هذا الكتاب الممتع عن دولة الكويت يقدم لنا صورة نابضة حية تتسم بالانصاف عن شــعب صغير فى عدد سكانه كبير فى آماله ، عميق فى تاثيره الحضارى ، مكافح مثابر ، يحول الذهب الى حضــارة ، والى مبادىء انسانية رائعة ، والمؤلف الاستاذ كامل حماده يسجل بقلمه الاحداث ، والاماكن ، والاشخاص ، والاشياء التى شاهدها فى مدى ١٠٠ يوم . وهو لا يكتفى بالتســجيل الخارجى لما يرى ويسمع ، بل هو يعانق الاشياء بقلبه ، وعقله ، ومشاعره ، ثم يفرز ذلك كله فى وجهة نظر واضحة .

والكتاب يقع فى ١٦٠ صفحة ، ومن نشر دار النشر للجميع ٤ شارع التل الكبير ــ الاسكندرية .



لابى القيم الكبيسى

(الانانية) قد استحكم امرها ! جاعلة كلا فى بيدائه
والمضاد لهـذا الداء لديك ، وهو مجرب ومضمون أن
« تحب لأخيك ما تحب لنفسـك »
فنحن أحـوج ما نكون إليـك ....

(٢)

الدعاوى العريضة تكاد تصم اسماعنا .. لقد جف (اللعاب) مدلها بعسل
القول :
إن قسورة (الأمعاء) باتت تؤرقنـا !!

فهل من (يد) خفية تطرق الباب ؟ مشبعة بتعاليمك دون أن تعلم (اليسار)
ما تفعلـــه (اليمين) !؟
نحن أحوج ما نكون اليـــك ..

(٣)

(مراهم) القوم نكتت الجرح وزادت البلاء .. وكم .. كم وقف (العلم) !!
دون أسرار حائرا ؟! إن عين (قتادة) ألقرن لا زالت دونما برء
ذلك لأن الكف أعني (كفك) لم تمسحها !
صحيح أنهم يبسملون ، ويحوقلون !
لكنمـــا شـــتان بين مبسمل ومبسمل !
فنحن أحوج ما نكون اليـــك ...

(٤)

نطبخ (الحصى) كتلك العجـــوز .
ونخسر الوقود ! نعلل الصغـــــار
ولكن دونما جدوى !! فيقلبون (القدر) عن (حصى) شديد !
ويبدأ (الهياج) حينما يخرج الأسد من (الطفل) الوادع .. يمزق (القدر)
ويصنع الرغيف .. ولكن دونما جدوى !!
ويفحص (التراب) بأرجل .. تمردت
من كذب الوعود ! وكثرة العقود ... ويبدأ السؤال :
متى يا (أمنا) نشبع ؟ .. متى نشـــبع ؟؟
متى ما (عمر) يرجــــع
متى يرجع ـ إذا انتصر الذى قرر وطبق حينما قرر
« ليس منا من بات شبعان وجاره جائـــع »
فنحن أحوج ما نكـــون إليـــك ...

(٥)

لم نعد نرى (الخيط) الأبيض من (الخيط) الأســـود !!
وإن كانت (زرقاء اليمامة) من جزيرتنا ! لم نعد نرى (المسجد)
الذى أسس على (التقوى) ليتميز (ضرار) فنحرقه كما فعلت
إن (الدوارس) قد أنبتت (أضرحة) فخمة ضخمة ! تعلوها
(السرج) والقناديل !! وكل من تحتها صار (القطب) المتصوف !!
وإذا قلنا إنه : خروج سافر .. قالوا : إنه من خصوصيات قبور الصالحين !
ثم قالوا : ربما إنه مخصص أو مقيد أو منسوخ ...

وهكذا قد أدخلوا (ربما) على كل ما لم يحتملها .. واعتنقها الناس !!
حتى صار (الحق) الذى قلت فيه (جاء الحق) كالشامة البيضاء فى الثور
الأســـود !!
لقد انتعش (الباطل) بمصل (ربما) وقامت (الوثنية) بدواء (المخصص)
و (المقيد) و (المنسوخ) .. فأينك لتقول ثانية (جاء الحق وزهق الباطل
إن الباطل كان زهوقا)
وأخشى أن يشيعوا بإغرائهم من أنك (مسيلمة) !! فيصدق الناس ! وليس
ثمة مانع من أن يقولوها
وعرق حياتهم مرهون فى (القبر) الكبير ، وبيع (القطع) الخضراء !!

(٦)

نحن أحوج ما نكون إليك .. ليراك المسلمون لا غيرهم .. هؤلاء الذيـــن
اثاقلـــــوا الـــى الأرض من (السمنة)و (الكسل) .
ليروك وقد انتفضت بعد (صلاة) العصر ! كأنما أفعى بين ثوبك وجلدك !
لا لشىء من الجشع والطمع !!
وإنما لأموال أتت .. فخفت أن تحبس أطول فيحبسك الله !
فأين أين أهل الغنى والثروات ؟!
إنهم هم المسؤولون عن كل خارج على هذا الدين متهما إياه (بالرأسمالية)
القاهـــرة !!
اينك لتقول لهم فلم يعودوا يصدقوننا :
إن ديننا دين الإنسان المعزز المكرم
وأن امرأة دخلت النار بهرة حبستها !
وأن رجلا دخل الجنة بكلب ســـقاه !

(٧)

الجدار القوى المكين قد تصدع ! وكثرت فيه (الحشرات) !
العناكب ، والصراصير ، وأبو بريص ، والخفاش من أصدقائنا الذين لا بد
منهـــم !!
فنحن أحوج ما نكون إليك .. تعيد البناء (بمداميك) : (المؤمن للمؤمـــن
كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا) نحن أحوج ما نكون إليك ...

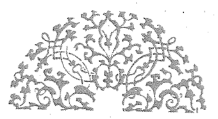
(٨)

نحن أحوج ما نكون اليك ...
لتقول (لألف) (عمير) (١) : ليس كذلك .. إنما جئت لكذا !!

إن (المظاهر) تكاد تسحقنا .. لقد تصلبت فصارت (قواقع) سميكة !!
قتلت (النسغ) وحبسته عن (الخروج) .
فعندنا : كل من كور (عمامته) فهو شيخ الإسلام وإن كان أجهل جاهل !
وكل من حرك (شفتيه) فهو التقي النقي .. الورع !!
وكل من (همهم) بالقرآن فهو أصلح من يصلح للشهادة !! ولو خالف ألف عمر !!
كثيرة تلك (المظاهر) كثيرة .
وليس بيننا (حذيفة) ولا (عثمـــان) .

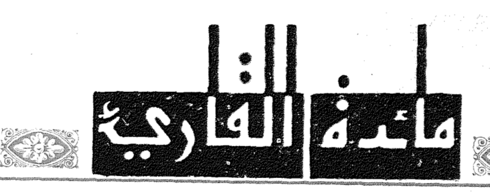
(٩)

لقد امتن الكثير على الناس بما هو ليس بشيء
الانفتاح.. الجماهيرية.. وضع حجر الأساس.. قطف النتاج مع العمال !!
والقوا الأضواء الكاشفة والدعاية العريضة والتى تفوق تكاليفها ضعف ما اشتغلوا به !!
ما جمع احدهم الحطب ! ولا نام احدهم على الحصير ، ولا حمل احدهـــم (اللبن)
وما تجول احدهم لوحده فى الشوارع !
وما وقف احدهم للصغير والكبير .. وما وما كثيرة كثيرة !!
ومع ذلك كله لم تمتن على أحد ! وهل يمتن بشيء يزيد الإنسان رفعة .. إنه (التواضع) خلق كل كريم ، لم تمتن بل قلت بفخر .
(أنا عبد الله ورسوله ..)
فسبحان من سماك (عبـــدا)
وسماك (الرؤوف الرحيم)
وسلام عليك سيدى .. يوم ولدت ويوم تموت ويوم تبعث حيا .



---

(١) عمير بن وهب الذى ذهب للمدينة ناويا قتله صلى الله عليه وسلـم متظاهرا بفداء ابنــه الأسير .





ما الحيـــــاة

قال العلماء : ان جميع النبات والحيوان مركب من خلايا ، وكل خلية مركبة كيمياوية من (كربون) و (هيدروجين) و (اكسجين) و (نتروجين) فاذا تكونت هذه العناصر بنسب معينة كانت الخلية .

ولكن كون هذه الخلية بهذه النسب كما تشاء ، فلن تستطيع ولن يستطيع العلماء مجتمعين أن يمنحوا الخلية (الحيـــاة) .

« إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له . وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه . ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره . ان الله لقوى عزيز » .

روح السماحـــة

اراد المهدى ان يغزو اهل الشام لخطا ارتكبوه ، فقال له « ابن خريم » يا امير المؤمنين ، عليك بالتجاوز والعفو عن المسىء ، فلأن تطيعك العرب طاعة محبة خير لك من ان تطيعك طاعة خوف .

اللــــــه

قا لابو سعيد بن ابى الخير الصوفي : اخذنى شيخى من يدى واجلسنى في إيوان ، ومد يده فأخرج كتابه وأخذ يقرأ ، فتطلعت الى معرفة الكتاب ، فلمح الشيخ هذه الحركة ، فقال لى : يا أبا سعيد : « ان مائة وأربعة وعشرين ألف نبى بعثوا ليعلموا الناس كلمة واحدة هى (الله) فمن سمعها باذنه فقط لم تلبث أن تخرج من الاذن الأخرى ، امـــا من سمعها بروحه ، وطبعها فى نفســـه ، وتذوقها حتى نفذت الى اعماق قلبـــه وباطن نفسه ، وفهم معناها الروحى فقد انكشف له كل شىء » .

الشجاعـــة الأدبيـــــة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الا لا يمنعن احدكم رهبة الناس أن يقول بحق اذا رآه او شهده فانه لا يقرب من اجل ، ولا يباعد من رزق أن يقول بحق ، أو يذكر بعظيم » .



بين عثمان وأبى عبيـــدة

اختصم يوما عثمان بن عفان وابو عبيـــدة بن الجراح رضى الله عنهمـــا ، فقال أبو عبيـــدة :

أنا أفضل منك بثلاث ، فساله عثمان وما هن ؟ قال :

الأولى انى كنت يوم البيعة حاضرا وأنت غائب .

والثانية : شهدت بدرا ولم تشـــهده .

والثالثة : كنت ممن ثبت يوم أحد ولم تثبت أنت .

قال عثمان : أما يوم البيعة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنى فى حاجة ومد يده عنى . وقال : هذه يد عثمان بن عفان ، وكانت يده خيرا من يدى

وأما يوم بدر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلفنى على المدينة ، ولم يمكنى مخالفته وكانت ابنته رقية مريضة فاشتغلت بخدمتها حتى ماتت ودفنتها.

وأما انهزامى يوم أحد فإن الله عفا عنى ، وأضاف فعلى إلى الشيطان ، فقال تعالى : ((أن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم أن الله غفور حليم)) .

تأبين أبى بكـــر

قال على كرم الله وجهه فى تأبين أبى بكر الصديق رضى الله عنه :

« . . كنت كالجبل الذى لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف : كنت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا فى بدنك قويا فى أمر الله ، متواضعا فى نفسك عظيما عند الله ، جليلا في الأرض كبيرا عند المؤمنين ، ولم يكن لأحـــد عندك مطمع ، ولا لأحد عندك هوادة ، فالقوى عندك ضعيف حتى تأخذ الحـــق منه ، والضعيف عندك قوى حتى تأخذ الحق له ، فلا حرمنا الله اجرك ، ولا اضلنا بعدك » .

من تعاليم الامام على كرم الله وجهه ووصـــــــايـاه للجنـــــود

« إذا نزلتم بعدو أو نزل بكم فليكن معسكركم من قبل الاشراف وســـفاح الجبال أو اثناء الانهار ، كيما يكون لكم رداء أو دونكم ردءا ، ولتكن مقاتلتكم من وجه واحد او اثنين واجعلوا لكم رقباء فى صياصى الجبال ومناكب الهضاب ، لئلا يأتيكم العدو من مكان مخافة أو أمن ، واعلموا أن مقدمة القوم عيـــونهم ، وعيون المقدمة طلائعهـــم ، واياكم والتفرق ، فاذا نزلتم فانزلوا جميعـــا ، واذا ارتحلتم فارتحلوا جميعا واذا غشيكم الليل فاجعلوا الرماح كفة — محيطة بكم — ولا تذوقوا النوم إلا غرارا أو مضمضة » .



أرض السهلة

للأستاذ أحمد العناني

المشـــــهد الأول

في منزل الخليفة عمر بن عبد العزيز بدمشق

فاطمة بنت عبد الملك بن مروان (زوجة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز)
(وهي تشق بسكين بطيخة كبيرة في وعاء من النحاس وقد تحلّق حولها الصغار من ابنائها وبناتها بينما بدا الكبار منهم ومنهن على استحياء وتباعد ..
ارايتم يا أولادى ! (صوت السكين)
ارايتنّ يا بنـــات !؟
الم اقل ما وجدت حياتى كلها فى البطيخ ما هو احلى حلاوة ، ولا أحسن نضجا إذا نضج من بطيخ هذه الأرض التى لنا فى السهلة .. تعالوا .. تعالوا .. هيا .. المكان يسعكم جميعا فتحلـّقوا وكلوا معا . .ذلك ادعى للبركة والسرور ..
(حركة) تقدموا .. تقدم يا عبد الملك يا بنى .. تقدم ..

عبد الملك (يتمتم) : ــ دعيهم ولا تخافى علىّ بأســـا .. فأنا أرضى نفســى كما تعرفين .

فاطمة (تبتسم) : ــ لا بأس .. كلوا انتم جميعا ودعونى وعبد الملك لبطيخـــة اخـــرى !

احد الأولاد (وفمه يمتلىء بالبطيخ) : ــ وهل من بطيخـــة اخرى يا اماه ؟

فاطمـــــــة : ــ كل الآن انت ، وتوكل على الله ..

الولـــــــد : لا بأس .. لا بأس .. انت دائما وعبد الملك تنفردان فى الطعام .. « صوت المائدة » .

تمثيليّة تصوّر عظمة التقوى ورفعتها ..

احدى البنات :	ـ الحمد لله ..
بنت اخرى :	ـ وأنا .. شبعت .. الحمد لله .
أحد الأولاد :	ـ بعد سنٍ واحدة احمد الله .
ولد آخر :	ـ هيهات تدرك أصلا غير سِن واحدة ..
الولد الأول :	ـ ما شاء الله ! ذرية بن عبد العزيز كما تمنى لهم اخوال ابيهم من آل الخطاب اصبحوا بلا عدد .. « ضحك » ..
فاطمة :	ـ هيا يا ابنائى الآن .. احمدوا الله وانصرفوا لشأنكم « حركة الأولاد خارجين » . « تتنهد » لم تأكل شيئا ولم يتركوا لك
عبد الملك :	ـ وهل تركوا لك يا أماه ! لا بأس يا أماه لا بأس ..
فاطمة :	ـ وابوك لم يدعوا له شيئا ..
عبد الملك :	ـ أبى اليوم مشغول وأغلب ظنى انه متأخر الى ما قبل العصر بقليل .
فاطمة :	ـ وكيف عرفت ؟
عبد الملك :	ـ من كثرة الوافدين على الديوان اليوم .
فاطمة :	ـ اعانه الله .. انهض الآن لبعض شأنى ..
عبد الملك :	ـ الا تتريثين يا أماه !
فاطمة :	ـ العمل كثير يا بنى .
عبد الملك :	ـ أخواتى كبرن ويجب ان يعتدن معاونتك فى الأمور . إنى لا ارى شيئا اليق بالرجال من كسبهم من عمل ايديهم ، ولا أرى اجمل بالمراة من عنايتها ببيتها .

فاطمـــــــة : (تضحك قليلا) ولذلك يجب أن انهض .
عبـــد المـلك : ـ لقد طالما نهضت يا أماه .. وآن أوان العمل لأخواتي فهنّ يتهيأن الآن للحياة وخيرٌ لهنّ أن يمارسن بأيديهن الآن ما هنّ مقبلات عليه ..
فاطمة (تتنهد) : ـ معك حق ..
عبـــد المـلك : ـ كيف ؟
فاطمـــــــة : ـ امس عندما زارتنا عمتي فاطمة بنت عبد الملك وغاضبها ابوك برفضه وساطتها من اجل الأرض التى كان اغتصبها ابناء اخي الوليد فى حمص اشتد بها الغضب حتى شملتني به
عبـــد المـلك : ـ وماذا قالت لك ؟
فاطمـــــــة : ـ وماذا يمكن أن تكون قالت .. دع عنك ذلك يا بنى .
عبـــد المـلك : ـ ولكني أناشدك الله أن تروى ذلك لى .
فاطمـــــــة : ـ قالت ! « تتنهد » قالت لى تذكرى يا فاطمة يا ابنة اخى عبد الملك أن احدا مِن أمراء بنى أمية لن يصهر إليك ولا الى زوجك وبناتك كثيرات فأين تذهبين بهن ..
عبـــد المـلك : ـ استغفر الله العظيم ..
نحن آل عمر بن عبد العزيز الى ربنا ذاهبون .. قبلنا حكمه ، ورضينا بأمره ونهيه والعاقبة للمتقين .. فلا تجزعى يا أماه ما يزال فى الدنيـــا بقية من الناس والطيبات للطيبين ..
نحن وابناء أبينا وعمـــومتنا هؤلاء شالت بنا نعـــامتنا .. يحسبون انهم بصـــهرهم يشرفوننا ونحسب انهم لو نالـــوا صهرنا لا قدر الله نالهم شرف لا يستحقونه ..
دعى ذلك عنك يا اماه .. وتوكلى على الله .. عجيب .. هذا أبى جاء .. بنفسى افديك يا ابتاه ! كم يبدو عليك من جهد شديد ! ها هو وصل « صوت خطواته »
عمــــــــر : (بصوت ضعيف) السلام عليكم .
فاطمة وعبدالملك : ـ وعليك السلام ورحمة الله ..
فاطمـــــــة : ـ ما بك يا أمير المؤمنين ؟
عبـــد المـلك : ـ حسبتك سوف تتأخر يا ابتاه .
عمــــــــر : ـ كنت أظن مثل ظنك حتى أصابنى مغص شديد والحّ علىّ رجاء ومزاحم بأن أؤجل القضايا وأستريح .. أوصلانى حتى الباب ثم عادا ..
فاطمـــــــة : ـ سلمت يا أبا حفص .. ولكن .. !
عمــــــــر : ـ أحسَّ بحرارة فى لهاتى وثقل فى امعائى ..
فاطمة (بعفوية) : ـ اه .. لو كان بقى شيء ..
عمــــــــر : ـ ما لك سكتِّ ؟ شيء من ماذا ؟
فاطمـــــــة : ـ لا .. لا .. بطيخة جاءنا بها المزارع من أرضنا بالســـهلة كانت ناضجة حلوة .. لكن الأولاد لم يتركوا شيئا ..
عمــــــــر : (باســـما) وانتِ ..؟ هـــل أصبتِ منها شـــيئا ؟ وانت يا عبد الملك ؟
عبـــد المـلك : ـ أصابنا السرور أمي وأنا برؤية الأولاد مسرورين بها ..
عمــــــــر : ـ وكانت بطيخـــة رائعة ؟

عبد الملك : ــ شيء لا يصدق .. هذه الثمار التي يؤتى بها من السهلة..
قد اخطأت انا حقا فقد أشرت على المزارع أن يترك لنا بطيخة
واحدة ضخمة ثم يبيع الباقي .. فان الدار هنا لفي حاجة
الى امور اهم من البطيخ وسائر الفواكه ..
عمر : (يتمتم لنفسه) بطيخة ضخمة من السهلة .. لا بأس ..
لا بأس .. اتركاني أذهب وأستريح .. (حركة)
عبد الملك : ــ معافى يا أبي .. انك لم تنم الا غرارا ليلة أمس فنم
ويحسن حالك ان شاء الله ..
عمر : ــ شكر الله لك يا بني .. السلام عليكم
فاطمة وعبدالملك : ــ وعليك السلام ورحمة الله .. (حركة)
عبد الملك : ــ اراك تفكرين يا أماه ! لا تخشى شيئا .. عارض اصاب
أبي ويزول .. وليست هذه أول مرة لا سيما بعد ان يطيل
سهر الليل ..
فاطمة : ــ صحيح .. صحيح .. لكن ..
عبد الملك : ــ لكن ماذا ؟
فاطمة : ــ وقر في نفسي خاطر
عبد الملك : ــ وما ذاك يا أماه ؟
فاطمة : ــ أخشى أن يعيد ابوك ارض السهلة الى بيت المال فان فعلها
فلن يبقى لنا شيء ابدا .. انها آخر ارض بقيت لنا ..
عبد الملك : ــ تبقى لنا رحمة الله يا اماه فهي خير مما يجمع الناس ..
فاطمة : ــ يسترها الله يا بني ..

المشهد الثاني

عمر بن عبدالعزيز : ــ مالك تتشاغل عن هذا الحديث يا مزاحم ؟
مزاحم : (مولى عمر ومساعده) : اى حديث يا أمير المؤمنين ؟
عمر : ــ سبحان الله .. أما كنت أكلمك في امر السهلة
مزاحم : ــ السهلة يا مولاي ارضكم وليس لكم سواها .
عمر : ــ لست أسائل عن وجود سواها او غير ذلك ، وإنما
سؤالي الذي يهمني .. أهي أرضنا أم لا ؟
مزاحم : ــ يا أمير المؤمنين .. المستشارُ مؤتمن
عمر : ــ ومن قال بغير ذلك يا مزاحم ؟
مزاحم : ــ إذاً فأنت تكرّر الحديث والهواجس عن ارض السهلة
كأنك تريد شيئا وتتردد فيه .. السهلة ارضكم وحقكم ،
وليس لعيال أمير المؤمنين ، وأولاده كثيرون وبناته سوى
هذه القطعة من الأرض يعتاشون منها ، ويأكلون الفاكهة
كسائر الناس .
عمر : ــ دع عنك ما يأكلون وما لا يأكلون .. الأرض ليست لنا
مزاحم : ــ لمن هي إذاً ؟
عمر : ــ سبحان الله .. انها ارض المسلمين ومالهم .

مزاحـــــــم : ــ لكنك اعدت كل أرض ابيك عبد العزيز الى بيت المال .. فهل لو لم يكن والد أمير المؤمنين واحدا من بنى أمية ، ألا يُعقل ألا يستطيع تخليف قطعة أرض واحدة لأبنائه .. أبى خلّف قطعتين وكان رجلا بسيطا .

عمـــــــــر : ــ صدقت .. لكنك نسيت أن أبى عبد العزيز بن مروان قد انفق فى ولائمه المعروفة ما يكفى لجعله فقيرا لو تعلّق الأمر بجهوده وحدهـــا ..

مزاحـــــــم : ــ وما دليلك على ذلك ؟

عمـــــــــر : ــ ما دليلك انت على عكس ذلك .. يا مزاحم الم أوصـــك بأنك اذا شئت صحبتى فكن مع الحق على دائما .. يا مزاحم ما هذه الدنيا بدار بقاء .. أمض الآن فاستخرج لى الصك الذى ملّك أبى رقبة تلك الأرض .. هيا ..

مزاحـــــــم : ــ نشدتك الله يا أمير المؤمنين .. فى هـــذه المرة لستُ معك ، أولادك وبناتك محتاجون وكثيرون فماذا تترك لهم ؟.

عمـــر (باكيا) : ــ الى الله .. الى الله أكلهم .. أكلهم الى الله ..

مزاحـــــــم : ــ دع لى ما طلبت منى الى غد يا أمير المؤمنين .

عمـــــــــر : ــ وتضمن لى العيش الى غد ؟

مزاحـــــــم : (يتنهد) لا بأس .. الى غد .. ولكن لا تحـــاول أمرا غير ما طلبته منك .

المشــــــهد الثــالث ..

نقــــر على باب

عبـــــد المـــلك : ــ مَن بالباب ؟

مزاحـــــــم : ــ أنا ذا مزاحـــم .

عبـــــد المـــلك : ــ أدخل يا مزاحم .

مزاحـــــــم : ــ الســـلام عليك

عبـــــد المـــلك : ــ وعليك السلام ورحمة الله .. ماذا جاء بك يا مزاحم فى هـــذا الوقت ؟

مزاحـــــــم : ــ أمرٌ اقلقنى من أبيك أمير المؤمنين

عبـــــد المـــلك : ــ خيرا ؟!

مزاحـــــــم : ــ يريد أن يردّ آخر ارض لكم فى السّهلة الى بيت المال ؟

عبـــــد المـــلك : ــ فما قلت له انت فى ذلك ؟

مزاحـــــــم : ــ ذكرت له كثرة أولاده وحاجتهم فدمعت عيناه ولكنه مصرّ .

عبـــــد المـــلك : (غاضبا) بئس وزير الدين أنت .. دعنى الآن أمض إليه ..

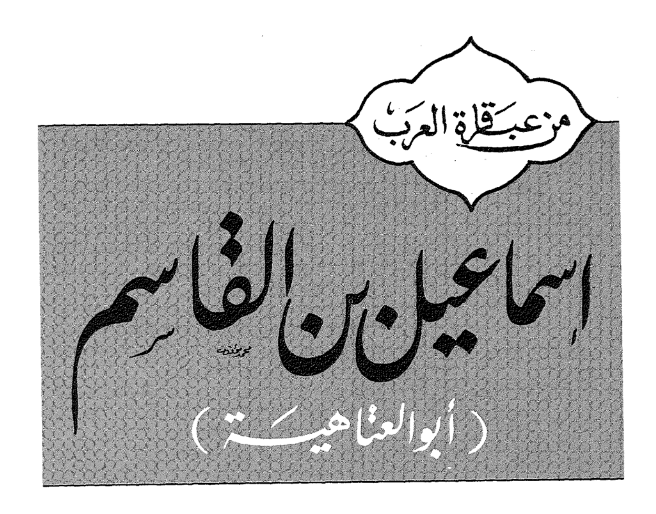
المشــــــهد الرابع ..

فاطمة بنت عبد الملك (زوجة عمر) : ــ يا بنى .. أبوك وضع رأسه الســـاعة لينام قليلا فى هذه القائلة .. ألا ترحم أباك يا عبد الملك ؟

عبـــــد المـــلك : ــ يا أماه ، الأمر لا يحتمل التأجيل .

فاطمــــــــة : ــ لا قوة الا بالله .. ليس لأبيك من ليله ونهاره الا هــذه الساعة يريح بدنه فيها .
عبـــد الملـك : ــ ارجوك يا أماه ! اناشدك الله دعيني اذهب اليه ..
عمر (يستيقظ ثم ينادى) : ــ عبد الملك ! ماذا وراءك يا بني ؟
عبـــد الملـك : ــ ها هو استيقظ
فاطمــــــــة : ــ قد ايقظناه بحديثنا
عبـــد الملـك : ــ سامحيني يا أماه .. لا بد مما ليس منه بد ..
ــ هيا الآن إليه فقد استيقظ ..
« خطوات عبد الملك » .
عبـــد الملـك : ــ السلام عليك يا ابتاه .
عمـــــــــر : ــ أهلا بولدى وعليك السلام ورحمة الله .. هاه ! ما لك في هذا الوقت من عادة للقدوم عليّ ..
عبـــد الملـك : ــ أمر من الحق يا أبتاه ، خشيت عليك فيه لو اعجلك القدر لا سمح الله فلا تنفذه وانت حي ، ولقد أعلم أن عمــر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه ، حرص ودماؤه نازفة والقدر يهم به في كل لحظة ، على أن ينفذ كل أمر يخشى فيه من الله جلّ جلاله الحساب ..
عمـــــــــر : ــ احسنت يا بني .. انك لتملأ قلبي بحديثك هذا غبطــة وسرورا فانت جدير بالثناء عليه دون الملامة ..
عبـــد الملـك : ــ هذه الأرض في السّهلة ، على ماذا عزمت بشأنها ؟
عمـــــــــر : ــ او قد حدثك مزاحم ؟
عبـــد الملـك : ــ اجل يا ابتــاه .
عمـــــــــر : ــ إني رادّها إن شاء الله الى بيت المال ..
عبـــد الملـك : ــ لا تؤخر ذلك يا ابتاه .. قم الآن ..
عمـــــــــر : ــ الآن الآن ان شاء الله ..
« بخشـــوع » : الحمد لله .. الحمد لله الذى جعل لى من ذريتي من يعنيني على أمر ديني .. نعم يا بني .. أصلي الظهر ثم أصعد المنبر فأردها للمسلمين علانية على رءوس الأشهاد ..
عبـــد الملـك : ــ ومن لك أن تعيش الى الظهر .. ثم من لك أن تســلم نيّتك الى الظهر إن عشت .
عمـــــــــر : ــ انما أردت أن أرى مدى تصميمك .
أعزك الله وأرضاك وحفظك وصانك
هيا بنا الآن هيــا ..
الآن أردها لأهلها وذويها
والى الله اتركنم يا بنيّ الأحبــة
انه مولانا وهو يتولى الصــالحين .

ختـــــام ..



● تجتاز بلادنا العربيــة اليوم فترة حرجــة من تاريخهــا ، وتلاقى من صنوف العنت ومحاولات تفريق الكلمة واثارة هذا الفريق على ذلك الآخر ، تارة من جانب دول الغرب مجتمعة ومتفرقة ، وتارة أخرى من جــانب الدويلة اللقيطــة التى حشرت قسرا بين الدول العربية .

فى هــذه الفترة التى يجتازهــا العرب والمسلمون ، نرى من الواجب الملزم أن يتنبه قادة الفكر وأعــلام الرأى فى أرضنا العربية الى الرجوع الى تراثنا الخــالد والتعــريف به ، ونشره بكل الوسـائل المتاحــة ، بل وتدريسه بإسهاب ووعى صادق فى جميع المراحل التعليمية والثقافية .

إننــا لا نرى ضيرا من التعــريف بشكســبير وبايــرون وشــيللى وبرناردشو وهيجو من أعلام الغرب لطالبى المعــرفة والثقــافة ، الا أننا نطــالب فى ذات الوقت بتعــريف أجيالنا الحاضرة والقادمة بأعلامنــا العرب الســابقين وما حمــلوه بين جنوبهم من الطاقات الخلاقة ، حتى خلدت آثارهم وما تفتقت عنها قرائحهم طوال أزمان وقرون طويلة .

يلزم مثلا حين يتناول متفرنج أمضى بضعة أعوام فى لندن ليحصل عــلى درجــة « الدكتوراه » فى شــعر شكسبير أو بايرون أو غيرهما ، يلزم أن يتنــاول بالبحث والدرس شاعرا عربيا فحلا مثل « امرؤ القيس » أو « عمر بن أبى ربيعة » فنحن العرب أكثر حاجة إلى من يجلو عبقــريات أعلامنا ، أكثر من حاجتنا إلى معرفة أعلام الغرب .

فى هــذا المقام ، وعلى مــائدة الدعوة الكريمة « للوعى الاسلامى » للاحتفــاء بتراثنــا الاســلامى ، وبحضارتنا الاسلامية الباقية على الزمان ، سنمضى وقتا ، ما أظنه الا شائقا ، مع ضيف عربى وشــاعر

- بدأ حياته صانع جرار في الكوفة ثم أصبح من أبرع شعراء عصره وجليسا للخلفاء ..
- المتأدبون والأحداث كانوا يفدون اليه لكتابة شعره وأحكامه على ما يتكسر من خزفه ..
- قال عنه حساده ومعاصروه : الخبيث الذي يتناول شعره من كُمّه.
- حبسه الرشيد لما رفض أن يقول شعرا في الغزل ..
- رفض أن يزوج ابنته لابن الخليفة المهدى وقال : إنما طلبها لأن أباها « أبو العتاهية » ..
- ألف أرجوزة مزدوجة ضمنها أربعة آلاف مثل ..

للأستاذ حسين الطوخى

اصيل مطبوع فى زمن الدولة العباسية ملأ سمع الدنيا بأشعاره العذبة ، وصوره الرائقة ، ومعانيه العميقة ، وستظل قيثارة انغامه تعزف ما دام فى الدنيا حس يعى وقلب يحسن الإنصات .

انه شاعرنا العبقرى المطبوع : اسماعيل بن القاسم بو سويد بن كيسان الذى غلب عليه لقب « **أبو العتاهية** » .

(ولد فى خلافة هشام)

استقبلته الدنيا ذات يوم من العام العشرين بعد المائة للهجرة فى خلافة هشام بن عبد الملك الأموى لعائلة كادحة تشتغل بصناعة الجرار والخزف بمدينة الكوفة ، وأطلق عليه أبوه اسم « اسماعيل » وتيمن به خيرا وبركة .

ولما شب عن الطوق ، اخذ يتلقى عن ابيه « القاسم بن سويد » صناعة الجرار ويلتقط مع أسرار هذه الصناعة ، أساليب الحديث والمساومة والتجارة والربح الحلال .

ويحس « اسماعيل » ذات يوم انه يطرب لما يقوله الشعراء وما يتناقل على السنة المحدثين والرواة ، ويحس الى جانب ذلك بأوزان الشعر تصطخب فى أعماقه ، ويتهيأ له أنه يستطيع أن ينظم شعرا مثلما يقوله هؤلاء الشعراء .

وينفلت « اسماعيل » من متجر ابيه ليحضر مجالس الشعراء فى أسواق الكوفة ، وفى حلقات الدروس التى يعقدها علماء الاسلام فى الدور وفى المساجد وفى القصور .

وأسعفته حافظته الواعية ، فاستوعب أغلب ما قيل من الشعر فى الجاهلية وفى صدر الاسلام وفى

خلافة بنى أمية ، ثم اكتشف حقيقة نفسه ذات يوم ، فاذا به ينشد الشعر بسليقته وفطرته ، ثم تنقل الشفاه أشعاره الى محافل الادب فى الكوفة ، وتصيخ الآذان إلى ذلك اللون الفريد من الشعر والاوزان التى تميزت ببساطة العرض وعمق المحتوى .

(صانع الجرار)

ويموت « القاسم بن سويد » اب الشاعر اليافع ، فلا يجد مهربا من الوقوف فى مصنع الجرار ، فهى حرفة الأسرة التى عليها رزقها وكسبها الضنين . ويقبل « اسماعيل ابن القاسم » على مهنة أبيه ليصنع الجرار وأوانى الخزف ، بينما ذهنه وقلبه يدوران حول المعنى والأوزان والقوافى وما يشهده من أحوال الناس ، فيتناثر شعره مع حبات الطين التى يصنع منها الجرار . كانت يداه تعملان ، بينما ذهنه المشحوذ يعمل هو الآخر فيتدفق الشعر على لسانه كخرير الماء فى الجدول الرائق .

وعرفه المتأدبون والأحداث فى الكوفة وسعوا اليه يقرأون عليه اشعارهم ، فيستمع اليهم ويجادلهم ويصدر أحكاما صائبة فيما يقولون ويصوب لهم اشعارهم بينما طين الجرار يتناثر من بين يديه على وجوه المتأدبين وثيابهم وهم فى سعادة غامرة . واذا ما أراد أحدهم أن يكتب شعرا مما يقول أو يثبت له حكما أدبيا ، لم يكن يجد غير ما يتكسر من خزفه ليدون عليه ما يدور فى الحلقة الشائقة . ولقد أراد واحد ممن يأتونه أن يدون قصيدة طويلة فاشترى منه جرة كبيرة تتسع لتسجيل القصيدة الطويلة !

ويحس اسماعيل بالضجر من طول مكثه فى متجره ، فكان يحمل قفصا فوق ظهره فيه فخاره وخزفه ويدور به فى أسواق الكوفة ليبيعه ويحادث الناس ويحادثونه .. وبينما هو فى طوافه يوما ، مر بفتيان جلوس يتذاكرون الشعر ويتناشدونه ، فسلم ووضع القفص عن ظهره وقال : يا فتيان ، أراكم تذاكرون الشعر ، فأقول شيئا منه لتجيزوه ، فان فعلتم فلكم عشرة دراهم ، وان لم تفعلوا فعليكم عشرة دراهم . فهزئوا منه وسخروا به وقالوا نعم ، فجعل رهنه تحت يد أحدهم وقال : اجيزوا :

ساكنى الأجداث انتم .. .. ..

وجعل بينه وبينهم وقتا فى ذلك الموضع اذا بلغته الشمس ولم يجيزوا البيت فله منهم عشرة دراهم . ثم انه فارقهم ليطوف بجراره هنا وهناك ، وعاد اليهم فى الموعد المضروب فلم يجد احدا منهم اجاز البيت فهزأ منهم وقال يتمم البيت بينما يضع الدراهم العشرة فى ثيابه :

ساكنى الأجداث انتمْ
مثلنا بالأمس كنتمْ
ليت شعرى ما صنعتمْ
أربحتم أم خسرتمْ

(فى العصر العباسى)

وتمضى الأعوام على « اسماعيل ابن القاسم » وهو بالكوفة يصنع الجرار وأوانى الخزف بينما الشعر يتدفق على لسانه مثلما يتدفق الماء العذب فى مجرى النهر ، ولم تنقض

من عبقرية العرب

أيام الدولة الأموية حتى كانت أشعار اسماعيل وأوزانه تحمل على أجنحة الرياح الى كل بقعة ينطق فيها لسان عربى مبين .

لم يترك معنى من معانى الحياة والموت الا وخاض فيها بصوره الرائقة البسيطة حتى وصفه معاصروه بأنه كان غزير البحر ، لطيف المعانى ، سهل الألفاظ ، كثير الافتنان ، قليل التكلف ، وان كان أكثر شعره فى الزهد والأمثال . كما كانت له أوزان طريفة لم يتقدمه فيها الأوائل .

ومع مطلع العصر العباسى الأول ، كانت موهبة اسماعيل الشعرية قد نضجت واستوت فوق عودها تنشر الطيب من حولها فينشق الناس من عرفها الشذى . حتى المغنون والقيان فى مكة والمدينة وبلاد الشام وأرض الجزيرة استهواهم شعره ، وسحرتهم أوزانه البسيطة فصدر عنهم غناء كأنما هو شقشقة الأطيار فوق الأفنان .

وفى خلافة المهدى ، كان يطيب لولده « هارون » أن يضم مجلسه صفوة الشعراء والمحدثين ، ولم يكن أحب الى نفسه من جلوس شاعرنا « اسماعيل بن القاسم » الى جواره ليسمع شعره فى الزهد وفى الأمثال وفى صروف الدهر وتغير الحال .

وبلغ المهدى أن شاعرنا يؤثر هارون على أخيه موسى الهادى فاستدعاه لينشده بعض شعره ثم قال له : انت إنسان متحذلق مُعَتَّه .
ولا يخفى على لبيب ان راى المهدى فى الشاعر لم يصدر عنه الا لحنقه عليه .
من ذلك اللقاء أطلق الناس على شاعرنا « اسماعيل بن القاسم » لقب « أبو العتاهية » فشهر به الى يومنا هذا .

ثم تولى الخلافة « هارون الرشيد » فسطع نجم « أبى العتاهية » وصار الجليس الأثير اليه فى أوقات سمره وفى حله وترحاله .

على أن « أبا العتاهية » مع اقبال الدنيا عليه بالأموال والهدايا ، كان عف القلب واللسان ، لا يقرب شرابا ولا يتبذل أو يتهتك ، انما كان سلوكه مع مجتمعه سلوكا فاضلا نظيفا ، ولم يكن يحمل حقدا لانسان ، ولا يغتاب أحدا فى مجلس ، ولا يجرى لسانه بغير الحديث الطيب .

وعرف عنه الإباء والاعتزاز بكرامته فى غير صلف ولا خيلاء ، ولقد اشتغل أبوه زمنا بالحجامة فأراد واحد من معاصريه أن يغمز أبا العتاهية فأشار الى مهنة ابيه ، ولم يغضب أبو العتاهية أو يثور فى المجلس بل قال من فوره :

الا انما التقوى هو العز والكرم
وحبك للدنيا هو الفقر والعدم
وليس على عبد تقى نقيصة
اذا صحح التقوى وان حاك أوحجم

واندفع الرجل يعتذر لأبى العتاهية على ملأ من المجلس وسأله واحد : كيف تقول الشعر ؟ قال أبو العتاهية : ما أردته قط الا مثل لى ، فأقول ما أريد واترك ما لا أريد ، ولو شئت ان أجعل كلامى كله شعرا لفعلت .
وسأله آخر : ترى هل تعرف العروض يا أبا اسحق ؟ قال أبو العتاهية فى بساطة عجيبة : أنا أكبر من العروض يا بنى . .

من عبقرة العرب

(شعره يعرفه العاقل)
(ويتقر به الجاهل)

طاب المقام لأبى العتاهية فى بغداد حاضرة العباسيين وعروس الشرق ، وانتقلت اليها شهرته ، وذاع على السنة العامة والخاصة شعره المتدفق ، وأصبح حديث المحافل الأدبية أينما انعقدت وتحلق من حولها الأدباء والشعراء والرواة والمحدثون .

فى مجلس مصعب بن عبد الله ، وكان من أئمة نقاد الشعر فى بغداد ، كان الحديث يدور كل يوم حول أبى العتاهية وشعره وأوزانه ، وأحب القوم ذات يوم أن يسمعوا راى مصعب فى شعر أبى العتاهية فسأله أحمد بن زهير اقرب جلسائه : من تراه أشعر الناس فى زماننا يا مصعب ؟ قال مصعب فى رأى قاطع : أبو العتاهية أشعر الناس فى هذا الزمان . فسأله ابن زهير ثانية : بأى شىء استحق ذلك عندك ؟ قال مصعب : استحق ذلك بقوله :

تعلقت بآمال
طوال اى آمال
واقبلت على الدنيا
ملحا اى إقبال
أيا هذا تجهز لـ
فراق الأهل والمال
فلا بد من الموت
على حال من الحال

ثم أردف مصعب : هذا كلام سهل حق لا حشو فيه ولا نقصان ، يعرفه العاقل ويتقر به الجاهل .

(فى مجلس الرشيد)

وفى قصر الرشيد ينعقد المجلس الشائق ، مجلس سمر الخليفة فى أمسيات بغداد الرائقة ، ويلتقى الشعراء والمحدثون والمغنون يتطارحون الشعر والروايات ثم يدور الرشيد بعينيه فى الحضور ويلمح أبا العتاهية يحاور أبا نواس فيدعوه الى الاقتراب منه ويقول : ايه يا أبا اسحق ، لم تقل شيئا منذ قدمت مجلسنا . قال أبو العتاهية : أعز الله أمير المؤمنين . ما أرانى اقول شعرا الا أن يأذن مولاى ، فيبتسم الرشيد ويهش فى وجهه ثم يقول : عظنى أبا اسحق . قال أبو العتاهية : أخافك يا أمير المؤمنين . قال الرشيد: انت آمن . فأنشده :

لا تأمن الموت فى طرف ولا نفس
اذا تسترت بالأبواب والحرس
واعلم بأن سهام الموت قاصدة
لكل مدرع منا ومترس
ترجو النجاة ولم تسلك طريقتها
ان السفينة لا تجرى على اليبس

فبكى الرشيد حتى بل كمه .

وهناك فى ركن قصى من المجلس انتحى بعض الرواة يتحدثون ثم جاء ذكر أبى العتاهية فقال أحدهم : سأسمعكم رأيا طريفا فى شعره . التقى مسعود بن بشر المازنى بابن مناذر فى مكة فسأل مسعود ابن مناذر : من اشعر أهل الاسلام ؟ قال ابن مناذر : أشعر أهل الاسلام من السابقين « جرير » ومن المحدثين هذا الخبيث الذى يتناول شعره من كمه فسأله مسعود : ومن هو هذا الخبيث ؟ قال ابن مناذر : انه أبو العتاهية . فضحك القوم حتى سمعهم الرشيد وطلبهم ليسمع منهم ما اضحكهم .

ثم مال الرشيد على أبى العتاهية وسأله أن ينشده شعرا فى الغزل ،

فقال أبو العتاهيـــة : اعفنى يا أمير المؤمنين فما عادت نفسى تهفو اليه ، فأعاد عليه الرشيد فأنشد ابو العتاهية فى حضور ابراهيم الموصلى النديم :

أخلاىّ بى شجو وليس بكم شجو
وكل امرىء عن شجو صاحبه خِلو
ومـا من محب نال ممـن يحبـه
هوى صادقا الا سيدخله زهـو
بُليتُ وكـان المـزح بـدء بليتى
فأحببت حقـا والبـلاء له بدو
وعلقتُ من يزهـو على تجبرا
وإنى فى كل الخصـال له كفـو
رأيت الهوى جمر الغضى غير انه
على كل حال عند صاحبـه حلو

طرب الرشيد أيما طرب ونظر الى ابراهيم الموصلى نظرة فهم منها انه يبغى سماع الشعر الرقيق ملحنا ، فقام ابراهيم وغـاب واخـل القصر ليصنع اللحن .

وأحب الرشيد أن يسمع قصـة رفض أبى العتاهية أن يزوج ابنتـه من أخيه منصور بن المهدى فقـال يسأله : اجبنا أبا اسحق صـادقا مصدقا ، كيف جـاز لك أن ترفض زواج ابنتك من أخى منصور وتدعى انها خطبت لابن أخيك ؟ اى عذر لك الا تكون ابنتك زوج أمير عباسى ؟

وهنا تبسم أبو العتاهية ثم قال : أصلح الله أمير المؤمنين وكفـاه شر الأيام وصروف الدهـر . أما وقـد أحببت أن تسمع حقيقة الامر ، فاعلم أعزك الله ، أن الله رزقنى بابنتين سميت احـداهما « لله » وسميت الأخرى « بالله » ثم بعث الى منصور ابن المهـدى يخطب « للـه » فقلت للأمير ، وانا أكذب عليه ، انها خطبت لابن أخى ولا سبيل الى الرجوع فى كلمتى . والحقيقـة يا أمير المؤمنين أننى رفضت زواجها من ابن المهدى وقلت لنفسى : انما طلبها لأنها بنت أبى العتاهية ، وكأنى بها قد ملَّها ، فلم يكن لى الى الانتصاف منه سبيل ، وما كنت لأزوجها الا بائع خزف وجرار ولكنى اختاره لها موسراً .

واعجب الرد الرشيد وقال : مـا سمعت هذا التعليل والله من أحـد الا أنت . وجاء ابراهيم الموصـلى واتخـذ مجلسه أمام الرشـيد وقد أمسك بعوده ثم انطلق يغنى الأبيات فسكت كل من فى المجلس وجـاءت الجوارى والغلمان من داخل القصر يسمعون اللحن الجديد وهم يهتزون طربا ، وشهدت بغداد ليلة فريدة فى تاريخها امتد الغناء خلالها حتى بانت خيوط الفجر .

(حبس ابى العتاهية)

أحس أبو العتاهية فى تلك الليلة الرائقة أن الرشيد لن يقنع منه بهذه الأبيات الخمسة فى الغزل ، فانقطع عن حضـور سمره ومجلسـه أياما متوهما انه سينسى ذلك الشعر ففى شعر غيره فى الغزل غناء له عنه . لكن الرشيد تفقده بعد ذلك ثم بعث اليه بمن يحضره . وجاء أبو العتاهية وسلم على الرشيد ثم أحب أن يجلس بعيدا لكن الرشيد أمر بأن يقرب منه مجلسه . ومال الرشيد على الشاعر يسأله : أنشدنا أبا اسـحق آخر ما قلت فى الغزل . قال أبو العتاهية : اصـلح الله أمير المؤمنين ، ما قلت والله شيئا منه منذ تلك الليلة . قال الرشيد : وهل يقف لسانك عن أن ينشدنا الساعة ؟ هات ما عنـدك . قال أبو العتاهية : بأبى أنت وأمى يا أمير المؤمنين . عزمت الا اقول شيئا فى الغزل ما بقيت لى حياة .

وهنا اشتد الغضب بالرشيد ، فأشار الى خادمه مسرور ، ولما أقبل عليه ، طلب اليه أن يحمل أبا العتاهية الى الحبس على الا يطلقه ، أو يقول شعرا في الغزل .

وظل أبو العتاهية في الحبس زمنا وكان الرشيد قد رصد على بابه أحد غلمانه ليدون كل ما يقوله من الشعر .

وبعد أيام من حبسه كتب الى الرشيد يستعطفه :

اما والله ان الظلم لوم
وما زال المسيء هو الظلوم
الى ديان يوم الدين نمضى
وعند الله تجتمع الخصوم
تموت غدا وأنت قرير عين
من الغفلات في لجج تعوم
تناوم ولم تنم عنك المنايا
تنبه للمنية يا نؤوم
سل الأيام عن أمم تقضت
ستخبرك المعالم والرسوم
تروم الخلد في دار المنايا
وكم رام غيرك ما تروم
الا أيها الملك المرجى
عليه نواهض الدنيا تحوم
اقلنى زلة لم اجر منها
الى لوم وما مثلى ملوم
وخلصنى تخلص يوم بعث
اذا للناس برزت الجحيم

فلما قرأ الرشيد الشعر رق له وأمر باطلاقه . ومن طريف ما يروى في هذا المقام أن أبا العتاهية أحب أن يرضى الرشيد فأنشده في الغزل :

من لقلب متيم مشتاق
شفه شوقه وطول الفراق
طال شوقى الى قعيدة بيتى
ليت شعرى فهل لنا من تلاقى
هى حظى قد اقتصرت عليها
من ذوات العقود والاطواق
جمع الله عاجلا بك شملى
عن قريب وفكنى من وثاقى

فاهتز الرشيد طربا وطلب الى الموصلى أن يغنى الشعر في تلك الليلة ، ثم سأل مسرورا الخادم : كم ضربنا أبا العتاهية ؟ قال مسرور : ستين عصا يا أمير المؤمنين . قال الرشيد : هات له ستين الف درهم .

ثم يعكف أبو العتاهية على اتمام ارجوزته الرائعة « ذات الأمثال » التى جاوزت خمسة آلاف بيت تضمنت أربعة آلاف مثل منها :

لكل ما يؤذى وان قل ألم
ما أطول الليل على من لم ينم
ان الشباب والفراغ والجدة
مفسدة للمرء أى مفسده

ولعل من أشهر أبياته التى جرت مجرى الأمثال :

تعالى الله يا سلم بن عمر
اذل الحرص أعناق الرجال

ويموت الرشيد ، ويبكيه أبو العتاهية بالدمع الهاطل ، ويرثيه بأروع ما يرثى به عبد من عباد الله ، وتطعن سنه وينحنى ظهره ، ويعيش سنوات قليلة في خلافتى الأمين والمأمون ولدى الرشيد ، وتحضره الوفاة في خلافة المأمون وسنه تسعون عاما في عام ٢١٣ للهجرة في بغداد .

وتموت بموت أبى العتاهية شقشقات طائر غريد عاش يغنى على أفنان دوحة اسلامية عالية عملاقة ..

وبعد . فلست أدعى اننى وفيت أبا العتاهية حقه ، انما هو جهد المقل ازاء عبقرية عربية حرى بنا أن نلتفت اليها ونحتفى بها وان نتذاكرها في زهو وفخر .



فى الصيد

نشرنا فى العدد ٩٨ من المجلة تحت هذا العنوان سؤالا عن الصائد الذى رمى طائرا ولم يعثر عليه الا ميتا بعد يوم من صيده ، وقد أجبنا على هذا السؤال وتفضل السيد الدكتور أحمد الحجى الكردى مدرس الدراسات الاسلامية واللغة العربية فى كلية الآداب بجامعة ليبيا فى بنغازى بالتعليق الآتى ونحن ننشره ، وان كان فى غير موضوع السؤال لانه يتصل بحكم الصيد عموما ، وفيما يلى هذا التعليق ..

قرأت فى العدد /٩٨/ من مجلة الوعى الاسلامى الصادر فى غرة شهر صفر لعام ١٣٩٣ هـ فى حقل الفتاوى فتوى تقدم بطلبها السيد محمد الموسى من الشارقة حول شروط حل الصيد ، حيث كان الجواب أن الصيد يكون حلالا بشروط ثلاثة ، ثم ذكر الاستاذ المفتى هذه الشروط بتفصيل مع ادلتها من السنة الشريفة .

وأنا أوافق الاستاذ المفتى على هذه الشروط ، الا أننى أشير الى أن لهذا الحل شروطا أخرى هامة لا بد من توافرها فى الصيد ، والا اعتبر ميتة حراما .

وأهم هذه الشروط :

١ — ألا يدركه الصائد حيا ، فان أدركه حيا فلا بد من ذبحه اختياريا على الطريقة الشرعية ، والا أعتبر ميتة . فان ادركه حيا ثم مات قبل أن يتمكن من ذبحه دون تقصير منه أكل واعتبر كأنه لم يدركه حيا ، فاذا تراخى فى تتبعه حتى مات لم يؤكل للتقصير . وهذا الشرط هام جدا فى نظرى لما نراه اليوم من تساهل الصيادين فى ذبح صيدهم على الرغم من ادراكهم اياه وهو حى ظنا منهم بان الصيد قام مقام الذبح مطلقا .

ودليل ذلك أن الحيوان لا يؤكل فى الاصل الا بالذكاة الشرعية الاختيارية لقوله تعالى « الا ما ذكيتم » ، ولكن استثنى منه الصيد بعد ذلك ضرورة ، والقاعدة الشرعية تقول (الضرورات تقدر بقدرها) ولا ضرورة لا كله بدون ذبح مع التمكن منه بعد الصيد ..

وهذا الشرط متفق عليه لدى جماهير الفقهاء .

٢ — ان يكون الصيد باداة حادة — اى محددة تقتل بحدها لا بثقلها — كالسيف والرمح والسهم وما جرى مجراها ، أو بحيوان جارح معلم ، أما البندق والعصا وغيرهما مما يقتل بثقله لا بحده فلا يحل به الصيد ما لم يدركه الصائد حيا ويذكيه الذكاة الشرعية الاختيارية . وكذلك الحيوان غير الجارح وغير المعلم فانه لا يحل ما صاده ، لقول الله تعالى « وما علمتم من الجوارح مكلبين » ..

والى هذا ذهب جمهور العلماء ، لم يخالف فى ذلك ـــ فيما أعلم ـــ الا بعض المالكية حيث قاسوا البندق الذى يخرق بقوة حذفه على ما يقتل بحده ، وعلى ذلك اباحوا الصيد بالبنادق التى تستعمل فى الصيد فى هذه الايام ، وذلك خلافا لجماهير الفقهاء . .

والدليل فى نظرى مع الجمهور حيث استدلوا بأدلة وافية من السنة الشريفة بعضها كامن فيما قدمه الاستاذ المفتى من السنة النبوية فى أجابته المنوه عنها حيث ذكر النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ فى جميعها (السهم) وهو آلة محددة كما هو معروف .

ومنها قول النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وقد سئل عن الصيد بالمعراض (ما اصبت بعرضه فلا تأكل فهو وقيذ ، وما أصبت بحده فكل) والمعراض هـــو السهم الذى لا ريش له .

وقد أفتى العلامة الحنفى قاضيخان بذلك فقال (لا يحل صيد البندقة والحجر والمعراض والعصا ، وما أشبه ذلك وان جرح لانه لا يخرق ـــ أى بنفسه ـــ الا أن يكون شىء من ذلك قد حدده وطوله كالسهم وأمكن أن يرمى به ، فان كان كذلك وخرقه بحده حل أكله) .

وكذلك سيدى خليل العلامة المالكى فانه أفتى بذلك أيضا ونص عليه فى متنه فقال (بسلاح محدد ، وحيوان علم) .

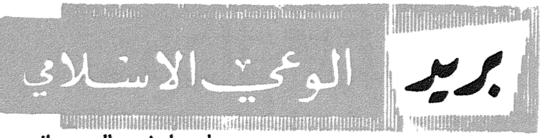
٣ ـــ أن يرى الصائد على الحيوان جرحا ظاهرا ، فان لم يكن بالحيوان جرح ظاهرا لم يؤكل . نص على ذلك العلامة قاضيخان فقال (فأما الجرح الذى يدق فى الباطن ولا يخرق فى الظاهر لا يحل لأنه لا يحصل به إنهار الدم) .

هذا ومن العلماء من يشترط خروج الدم من الجرح فعلا ، ومنهم من يكتفى بالجرح فقط دون تعديل على ما سواه وهم الاكثرون .

٤ ـــ التسمية عند اطلاق السهم ، أو الحيوان المعلم ، لقوله تعالى « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » فانه يعم الصيد وغيره . فاذا ترك التسمية ساهيا حل الصيد عند الحنفية والجمهور ، لحديث النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ (رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) فاذا تركها عامدا حرمت عند الحنفية للآية المتقدمة وحلت عند الشافعية لقول النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ (المسلم يذبح على اسم الله سم أو لم يسم ولأدلة أخرى مبسوطة فى كتبهم . . والله تعالى أعــلم . .

المــراجع :

١) الزيلعى على الكنــز ٥٣/٦ ـــ ٥٩ . .
٢) متن خليل والشرح الكبير وحاشية الدسوقى عليه ١٠٢/٢ ـــ ١٠٦ . .
٣) مغنى المحتاج ٢٧١/٤ ـــ ٢٧٤ . .
٤) حاشية ابن عابدين على الدر المختار ٦٦٧/٥ .
٥) المغــرب مادة (عرض) . .
٦) مختار الصحاح مادة (عرض) .



اعــداد : عبد الحميد رياض

المفسرون من الصحابة

نقرأ أن بعض الصحابة كانوا مشتغلين بالتفسير كابن عباس فهل كان هناك غير هؤلاء مع القاء الضوء على المفسرين المكثرين منهم ؟ .

عز الدين الحضرمي ــ الصومال

إن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم هم أكثر الناس التصــاقا برسول الله ، وقد شاهدوا وعاينوا من أسباب النزول ما يكشف لهم النقاب عن معانى الكتاب ، ولهم بجانب ذلك صفاء نفوسهم ، وسلامة فطرتهم وعلو كعبهم فى الفصاحة والبيان ، قال الحاكم فى المستدرك : « ان تفسير الصحابى الذى شهد الوحى والتنزيل له حكم المرفوع ».

وكان من أعلامهم فى التفسير . ابن عباس فهو ترجمان القرآن قال ابن عباس قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم ترجمان القرآن أنت » ففى عصره اشتدت حاجة الناس الى الأخذ عنه بعد تاخر الزمان به ، ثم لانقطاعه وتفرغه للنشر والدعوة والتعليم ، فلم تشغله خلافة ولم تاخذ عليه وقته رعــاية شئون الرعيــة .

وعبد الله بن مســعود فقد كانت صلته برســول الله خير مثقف ومؤدب ومعلم ، وهو من أعلم الصحابة بكتاب الله ومعرفة محكمه ومتشابهه وحــلاله وحرامه ، أخرج ابن جرير عنه أنه قال « والله الذى لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله منى تناله المطايا لأتيته » .

وعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه وكان من أعــلام الصحابة فقد كان من المكثرين لأنه عاش فى زمن كثرت فيه حاجة الناس الى من يفسر القرآن إذ قد اتسعت رقعة الاسلام ودخل الناس فى دين الله أفواجا من كل جنس حتى كادت تذوب بسبب هــذا الخليط من الناس خصائص العربيــة وهى لغة القرآن ، وصاحب ذلك نشاة جيل من أبناء الصحابة ، وقد كانوا أشد ما يكونون حاجة الى علم الصحابة ، ومما دل على عظيم علمه بالتفسير رواية معمر بن وهب بن عبد الله بن أبى الطفيل قا ل: « شهدت عليا رضى الله عنه يخطب ويقول : سلونى فوالله لا تسالونى عن شىء إلا اخبرتكم وسلونى عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أفى سهل أم فى جبل » .

وأبى بن كعب الأنصارى وقد كان أقرا الصحابة للقــرآن ومن المكثرين فى التفسير المبرزين فيه .

وقد اشتهر غير هؤلاء الأربعة كثير من الصحابة رضوان الله عليهم منهم الخلفاء الراشدون الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان وزيد بن ثابت وأبــو مــوسى الأشعرى وعبد الله بن الزيد وأنس بن مالك وأبو هريرة وأبن عمر وجابر وعمرو ابن العاص وعائشة أم المؤمنين لكنهم كانوا دون الأربعة السابقين .

جـــزر الكويت

ما هى الجزر التى تتبع دولة الكويت ؟ وما أسماؤها ؟

سعيد الكامل ـ مالى

يتبع الكويت عدة جزر ، وأكبر جزيرة ((بوبيان)) وطولها نحو ٢٤ ميـلا وعرضها نحو ١٢ ميلا وهى غير مسكونة ، وتقع فى أقصى الشمال الغربى من الخليج العـربى .

والى الشمال من ((بوبيان)) توجد جزيرة ((وربة)) فى مدخل جون الكويت وطولها ٧ أميال وعرضها ٤ أميال .

وجزيرة فيلكا وهى جزيرة قديمة آهلة بالسكان ، وتبعد من الكوت نحو ١٥ ميلا وطولها نحو ثمانية أميال شرقا وغربا ، وعرضها نحو ثلاثة أميال ، وتوجد بها آثار قديمة ترجع الى سنة ٢٥٠٠ ق م كما عثر فيها على آثار يونانية ترجع الى عهد الاسكندر الأكبر .

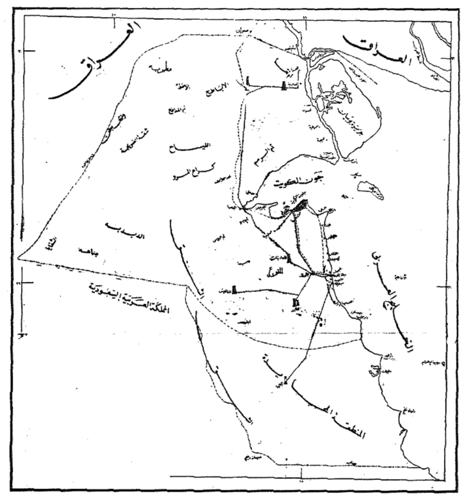
وبجوارهـــا جزيرة ((مســكان)) وطــولها ميل إلا ربعا ، وعرضها نحو نصف ميل .

وجزيرة ((عوهة)) وطولها غربا وشرقا نصف ميل ، وعرضها نحو ثلث ميل .

ويقابل الساحل الجنوبى جزر صغيرة غير ماهولة وهى (كبر) و (قاروة) و (أم المرادم) .

وفى داخل الجون أكثر من جزيرة صغيرة ، فبقرب ساحل الشويخ جــزيرة

وهذه خريطة تبين مواقع هذه الجزر .



بأقلام القراء

من الإسرائيليات
مدينة الذهب والفضة

ذكر المفسرون ـ القرطبى ، والخازن ، والنسفى ، والفخر الرازى ، وأبو السعود ، والخطيب الشربينى ، وغيرهم ـ عند قوله تعالى فى سورة الفجر : « إرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد » : ـ ان شداد بن عاد لما سمع بذكر الجنة قال : ابنى مثلها ، فبنى إرم فى بعض صحارى عدن فى ثلاثمائة سنة ، وكان عمره تسعمائة سنة ، وفى بعض هذه الكتب أنه اتخذ مائة قهرمان مع كل واحد ألف عون ، وجعل حولها سورا ، وحول السور ألف قصر ، وعند كل قصر الف علم ، وفى كل قصر وزير ...

وكانت مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة ، وأساطينها من الزبرجد والياقوت ، وأشجارها من الذهب والفضة ، وثمارها اليواقيت والجواهر ، ولما تم بناؤها سار اليها بأهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا كلهم .

ومن نقل صفة هذه المدينة من غير المفسرين الابشيهى صاحب كتاب المستطرف من كل فن مستظرف ٢/١٤٠ ط ١٣٤٥ هـ ١٩٣٥ م . وأنا انقل بعض آراء العلماء النقاد فى مدينة الذهب والفضة مما صادفته فى مطالعاتى ... ياقوت صاحب معجمى البلدان والادباء المتوفى سنة ٦٢٦ هـ.

« قلت هذه القصة مما قدمنا البراءة من صحتها ، وظننا انها من أخبار القصاص المنمقة وأوضاعها المزوقة » . بلدان ياقوت ١/٢٠٠ مادة إرم .

ابن كثير المفسر والمؤرخ المشهور المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

قال فى التفسير مبديا رأيه فى هذه المدينة بعد أن ذكر صفتها المتقدمة ، وانها تنتقل فتارة تكون بأرض الشام ، وتارة باليمن ، وتارة بالعراق ، أو بغير ذلك من البلاد ، فان هذا كله من خرافات الإسرائيليين ، من وضع بعض زنادقتهم ليختبروا بذلك القول الجهلة من الناس أن تصدقهم فى جميع ذلك ...

وعقب أيضا على ما ورد من أن عبد الله بن قلابة خرج فى إبل له فى زمان معاوية فاطلع على مدينة قريبة الشبه بهذه المدينة الذهبية فرجع وأخبر الناس فذهبوا الى المكان فلم يروا شيئا ...

فهذه الحكاية ليس يصح إسنادها ، ولو صح الى ذلك الأعرابى فقد يكون اختلق ذلك ، أو انه أصابه نوع من الهوس والخبال فاعتقد ان ذلك حقيقة فى الخارج ، وليس كذلك ، وهذا مما يقطع بعدم صحته ... تفسير ابن كثير فى أى طبعة عند ذكر هذه الآية : ـ

وقال فى الجزء الأول من التاريخ الذى طبع مستقلا تحت عنوان قصص الأنبياء : « ومن زعم أن إرم مدينة من ذهب وفضة وهى تنتقل فى البلاد فقد غلط وأخطأ وقال ما لا دليل عليه . قصص الانبياء ١/١٣١ ط ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م .

ابن خلدون صاحب التاريخ والمقدمة المتوفى سنة ٨٠٨ هـ : زعموا أن هذه المدينة موجودة فى صحارى عدن فى اليمن قد توغل فيها الادلاء من كل جانب فلم ينقل عن واحد منهم أنه عثر عليها ، ويدعون أن العثور عليها من نصيب السحرة ، وينزه كتاب الله عن القصص الموضوعة التى هى أقرب الى الكذب المضحك ، والمعنى انهم أهل بناء وأساطين على العموم بما اشتهر من قوتهم .. مقدمة ابن خلدون ص ١٨ ..

الالوسي صاحب التفسير المتوفى ١٢٧٠ هـ .

قال : « وخبر شداد اخوه فى الضعف (إشارة الى خبر عبد الله بن قلابة) بل لم تصح روايته كما ذكره الحافظ بن حجر فهو موضوع كخبر ابن قلابة »

تفسير الالوسى الجزء الاخير سورة الفجر ـ الم تر كيف فعل ربك بعاد ـ محمد عبده المصلح المشهور المتوفى ١٩٠٥ م .

وقد يروى المفسرون هنا حكايات فى تصوير إرم ذات العماد ، كان يجب أن ينزه عنها كتاب الله فاذا وقع إليك شيء من كتبهم ونظرت في هذا الموضع فنخط ببصرك ما تجده فى وصف إرم ، وإياك أن تنظر فيه .

تفسير جزء عم ، محمد عبده ، سورة الفجر ، الآية المذكورة ..

أما بعد ... فهذه آراء العلماء المنكرة لمدينة الذهب والفضة والمصرحة بأنها اختلاق ومن الإسرائيليات جمعتها فى صعيد واحد ، والغريب أن بشرا يستطيع أن ينافس صنعة الله فيبنى مدينة على مثال الجنة ، كيف يصدق هذا الكلام ، وأنا أضم رأيى لهؤلاء الذين نزهوا كتاب الله عن أساطير القصاصين ومفتريات الوضاعين ، وإفك الخراصين ، وينبغى أن يكون هناك فيصل يعرفه الخاصة والعامة ، فلا يشاب الحق ببعض الباطل ، ولا يختلط الصدق ببعض الاساطير ..

عبد الرحمن أحمد شادى

من هـدى النبـوة)

عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه » متفق عليه .

هذا حديث شريف صحيح فيه الخبر من النبى صلى الله عليه وسلم عن المؤمنين انهم على هذا الوصف . ويتضمن الحث على مراعاة هذا الأصل وأن يكونوا اخوانا متراحمين متحابين متعاطفين يحب كل منهم للآخر ما يحب لنفسه وأن عليهم مراعاة المصالح الكلية الجامعة لمصالحهم كلهم وأن يكونوا على هذا الوصف .

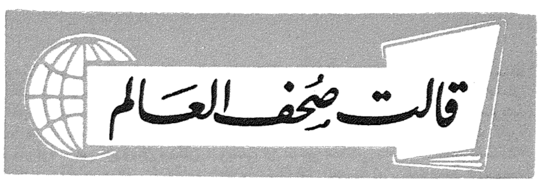
فان البنيان المجموع من أساسات وحيطان محيطة كلية وحيطان تحيط بالمنازل المختصة وما تتضمنه من سقوف وأبواب ومصالح ومنافع كل نوع من ذلك لا يقوم بمفرده حتى ينضم بعضها الى بعض .

كذلك المسلمون يجب ان يكونوا كذلك فيراعوا قيام دينهم وشرائعه وما يقوم ذلك ويقويه ويزيل موانعه وعوارضه فالفروض العينية : يقوم بها كل مكلف لا يسع مكلفا قادرا تركها أو الاخلال بها وفروض الكفايات : يجعل فى كل فرض منها من يقوم به من المسلمين بحيث تحصل بهم الكفاية ويتم بهم المقصود المطلوب .

فالمسلمون قصدهم ومطلوبهم واحد وهو قيام مصالح دينهم ودنياهم التى لا يتم الدين إلا بها وكل طائفة تسعى فى تحقيق مهمتها بحسب ما يناسبها ويناسب الوقت والحال ولا يتم لهم ذلك الا بعقد المشاورات والبحث عن المصالح وباى وسيلة تدرك وكيفية الطرق الى سلوكها واعانة كل طائفة للاخرى فى رأيها وقولها وفعلها فمنهم طائفة تتعلم وطائفة تعلم ومنهم طائفة تخرج الى الجهاد وبعد تعلمها لفنون الحرب ومنهم طائفة تحافظ على الحدود ومسالك الأعداء ومنهم طائفة تشتغل بالصناعات المناسبة لزمانهم ومنهم طائفة تشتغل بالزراعة والتجارة والمكاسب المتنوعة والسعى فى الأسباب الاقتصادية ومنهم طائفة تشتغل بدرس السياسة وأمور الحرب والسلم وما ينبغى عمله مع الأعداء مما يعود الى مصلحة الاسلام والمسلمين .

وبالجملة يسعون كلهم لتحقيق مصالح دينهم ودنياهم متساعدين متساندين يرون الغاية واحدة وان تباينت الطرق والمقصود واحد وان تعددت الوسائل اليه .

عبد الله بن عبد الرحمن السند



الرســـالة والرسول

عندما تاتى ذكرى مولد النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، يستعيد العالم بها ذكرى جهاد لا مثيل له ، انتقل بالعرب من أمة متباغضة متحاسدة ، من قبائل متناثرة فى الصحراء الى امة موحدة متعاطفة متعاونة ، تحمل الى العالم رسالة غيرته من حال الى حال ، وبعثت فى أوصاله الحركة والحياة وأشعت عليه نور العدالة وأقرت بين شعوبه مبدأ المساواة بين الناس .. وسرت الدعوة الجديدة من الجزيرة العربية الى خارجها ، فهزت العروش والامبراطوريات ، وبلغت شاطىء المحيط .

وقد تساءل الكثير من الكتاب والمفكرين الغربيين عن هذا السر او السحر الذى جعل من نفر قليل غزاة أقوياء تدين لهم الارض وتنفتح لهم القـــلوب ، واجمعوا على أنه الايمان بالرسالة الجديدة . ولا ايمان من غير صدق ولا صدق من غير معرفة ، وقد أطلق الاسلام العقول من أسار الخرافات والأساطير ، وكرم الانسان وقدس حريته فى الفكر والرأى وحضه على جهاد النفس وتخليصها من الشهوات والنزوات ورسم له الحياة فى أبهى صورها من المحبة والتعاطف ، وقدم الاسلام فى تاريخه الطويل نماذج من الرجال عدلا وحكمة وشـــجاعة وايثارا ، وقدم دولا أشاعت الطمانينة وآمنت بالحرية وكفت عن المظالم ، وأقامت حضارة نشرت العلوم والمعارف وأضاءت ، حيثما وجدت ، خير ما فى النفس الانسانية من عزم وصبر وكفاح .

كان محمد يتيما فقيرا واصطفاه ربه لحمل الرسالة فتحمل فى ســبيلها العنت والارهاق واستطاع بقوة الايمان أن يبلغ بها ما اراده لها ربها من الذيوع والانتشار . ولما حضرته الوفاة ترك الدنيا وهو لا يملك منها قليلا أو كثيرا ، فلم يكن طامعا فى ملك ولا سلطان ، بل ظل حتى آخر حياته يقول لأنصاره وأتباعه والمؤمنين ما أنا الا بشر يوحى اليه . ولم يدع لنفسه قدرة خارقة ولا امتيازا ولم ينسب اليه انه اتى بمعجزة .. كانت رسالته دعوة الى العقل والتدبر والنظر الى الآفاق .

وفى تاريخ الاسلام بعد محمد ، ظل تقديس العقل هو الأساس ، وظلت الحرية هى ملاك التقدم والامتياز . وظلت المصــــالحة بين الدين والدنيا هى العقيدة الثابتة .. ياخذ المسلم من الدنيا ما يشاء فى حدود الحلال المباح ، ويعطى ربه حقه من العبادة والخشوع والايمان ، وهذا التوازن الواضح فى العقيدة الاسلامية هو الذى طوع لها أن تسود فترة من الزمان ، وفقدان هذا التوازن هو الذى اصابها فى فترة أخرى بالانكماش والاضمحلال فخير ما يفعله المسلمون تحية لمولد نبيهم الكريم ان يعيدوا هذا التوازن ويحتفظوا به .

(عن صحيفة اخبار اليوم القاهرية)

الاسلام .. والواقع العربى المعاصر

الاســـلام كون شاسع الأطراف بكل ما تعنى هذه الكلمة من مدلول فى العمق والسماكة والطول ، فهو نظام حياة يتناول ســـلوك الفرد والجماعة

وعلاقاتهم بالحياة والاشياء . وقد استطاع هذا الدين أن يفجر في أوساط الجماعة الاسلامية التي التزمت ودانت به طاقات هائلة أثرت البشرية بشتي القيم الحضارية كما رفدها باسباب القوة والمنعة من التاثيرات الخارجية ما دامت ملتزمة بتعاليمه متجاوبة مع قيمه ومعانيه . والأدلة على ذلك كثيرة ومتوفرة ، في كل زمان ومكان ، ويكفي أن نشير هنا الى تغلب الاسلام بامكاناته المادية والبشرية التي لا تقاس اطلاقا بامكانات الحضارتين الفارسية والرومية وانتصاره على دولتي الفرس والروم مجتمعتين ، واستطاع ان يمتد بجهاته على جهات الدنيا الاربع ويحقق نجاحا متفوقا في كل الميادين التي خاض غمارها .

وظلت ظاهرة الانتصار والغلبة تواكب تاريخ هذه العقيدة على اختلاف الاوساط والميادين وظل سبب النصر مربوطا بمدى الالتزام به .

ورغم الانحسار السياسي الذي منيت به الشعوب الاسلامية نتيجة انسلاخها عن اخلاق الاسلام وتعاليمه فان الاسلام كفكر وحضارة ودين ظل شامخا متعاليا فوق كل ما أفرزته البشرية من أفكار .. ؟!

وظل الفكر الانساني كله كالوليد الذي يتعثر امام الرجل الراشد المستكمل لقواه العقلية والجسدية ، ازاء الاسلام .

ومن هنا نستطيع أن نفسر التناقضات المختلفة التي تعاني منها البشرية ، والمقالب والثغرات التي احدثت رتوقا كبيرة في مسيرة البشرية المجافية لامر الله .

لقد حصلت كل الهزائم في تاريخنا السياسي في الوقت الذي كان الاسلام معزولا عن الحياة ، فقد تعرض الوطن العربي لهجمات المغول بعد أن مهد لهذا الغزو فلسفات الزنادقة وحركات الشعوبية ، فولج التتار طريقا معبدا ، ولكن الضربة الموجعة التي اسفرت عن احتلال بغداد فجرت في المسلمين كنوز عقيدتهم فعادوا اليها عودة الضائع الى أهله وحماه ، وحصلت بعودتهم الى دينهم المعجزة وتحقق النصر وعم الاسلام الوطن العربي من جديد بعد أن كاد المغول ان يغيروا ملامحه ، وقد جاءت الحروب الصليبية على فترة من الفساد والانحلال العقيدي والاجتماعي في المجتمع الاسلامي نتيجة لعودة الافكار المادية وشيوع المبادىء الفكرية ممثلة بحركات اخوان الصفا على الصعيد الفكري وحركات القرامطة والحشاشين على الصعيد السياسي . وكذلك اعاد التاريخ نفسه وتعرض الوطن العربي الى غاز جديد ممثلا بموجات الحروب الصليبية التي استطاعت أن تقيم الدول والامارات في ارجاء الوطن العربي ، وأخذت تعمل بجد على تغيير معالم المجتمع المسلم .

ولكن المعجزة عادت من جديد فشعر الناس بضرورة العودة الى دينهم وادركوا الخسارة التي منوا بها بسبب انعزال الاسلام عن حياتهم وبدأت المحاولة من جديد ، وقد استطاع المجتمع الاسلامي نتيجة لادراكه أسباب هزيمته ان يصحو على واقعه ويعود الى أسباب قوته وعوامل نهضته ، وقد أفرزت هذه العودة الكريمة القيادة القوية الحكيمة التي استطاعت أن توحد معظم أقطار الوطن العربي رغم كثرة الدول والامارات واختلاف المذاهب والاتجاهات ، وكان صلاح الدين الأيوبي هو فارس تلك الرحلة والنموذج الانساني الرفيع الذي صاغته تعاليم الاسلام ومبادئه وقيمه ، فاعاد للأمة وحدتها ورد لها كرامتها وحرر أجزاءها المغتصبة وبعث الشخصية الاسلامية المتميزة باخلاقها ، وكان الفارس الذي ما زالت أوروبا تحترمه وتقدر عبقريته ومزاياه رغم أنه عدوها وقاهرها والذي اجلاها عن الديار المقدسة .

وهكذا ظلت أوضاع الوطن العربي بين تقدم وانحلال بالمقدار الذي تلتزم به بالاسلام أو تجافيه وما زالت هذه المعادلة هي البديهية التي يؤكدها واقع العرب والمسلمين ..

(عن مجلة الشهاب اللبنانية)

أخبار العالم الإسلامي

أعــداد : فهمى الإمـــام



الـكويت : نظم مكتب منظمة التحرير الفلسطينية وحركة التحرير الوطنى الفلسطينى فتح ، والمنظمات الفدائية والاتحادات الشعبية الفلسطينية والكويتية فى دولة الكويت جنازة رمزية تحية لشهداء العاشر من نيسان (ابريل) ضحية الغدر الصهيونى ، وقد مثل دولة الكويت فى الجنــازة وزيــر الأوقاف والشئون الاسلامية .

واشترك فيها المستشار الخاص لصاحب السمو الأمير المعظم ، وعدد من السادة أعضاء مجـلس الأمة ، ورؤساء البعثات الدبلوماسية العربية ،وكبار ضباط وزارة الداخلية وأعضاء اللجنــة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية الموجودين فىالكويت ، وآلاف من المواطنين والفلسطينين وأبنــاء الدول العربية المقيمين فى الكويت ، وطـــلابوطالبات المدارس المتوسطة والثانوية .



● القى وزير الأوقاف والشئون الاسلامية كلمة فى جموع المصلين بمسجد فهــد السالم بعد أن أدوا صلاة الغائب على أرواح شهداء المقاومة الفلسطينية .

● اقامت وزارة الأوقاف والشئون الاسلاميــة احتفالها السنوى المعتاد بذكرى المولــد النبوى الشريف فى مسجد السوق الكبير ، وقد افتتح الحفل كما اختتم بتلاوة من آيات الذكــر الحكيم وتتابع الخطباء بكلمات مناسبة ، وشهد الحفـل جمهور كبير من المسلمين .



● زار البلاد وفد مغربى برئاسة الأمير عبد الله شقيق الملك الحسن .

● بدأت وزارة التربية بالتعاون مع وزارة الدفاع تنفيذ برامج الفتوة العسكرية فى المدارس الثانوية والجامعة .

القــاهرة : تقرر افتتاح ثلاث كليات أزهريــة جديدة فى بداية العام الدراسى القادم واحــدة للشريعة واخرى للقانون فى طنطا والزقازيــق

والثالثة لاصول الدين بطنطا .. وانشاء ١٢ معهداأزهريا بالمحافظتين .



● عين فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود شيخا للازهر ، وقد حصل فضيلته على العالمية سنة ١٩٣٢ م ثم درس الفلسفة فى جامعة باريس ، وحصل منها على الماجستير والدكتوراه ، وتدرج فى مناصب الأزهر حتى أصبح وكيلا له سنة ١٩٧٠ ثم عين وزيرا للأوقاف وشئون الازهر ، كما شغل من قبل منصب الأمين العام لمجمع البحــــوث الاسلامية .

● عين فضيلة الشيخ عبد العزيز عيسى وزيراللازهر ، وقد تقلد فضيلته عدة مناصب أزهرية وكان وكيلا للازهر .

● صرح فضيلة الشيخ عبد العزيز عيسى الوزيرالجديد لشئون الأزهر بأن أول مشروع ينفذه سيكون حفظ القــرآن الكريم كله ونشره بين الجماهيــروجعله شرطا للترقية الى وظائف عمداء المعاهــد والمفتشين فى الأزهر والاوقاف ومأذونى الشرع ،واعتبار مكاتب تحفيظ القرآن الكريم فى المدن والقرى فى حكم المدارس الابتدائية لايخضــع تلاميذها لقانون الالزام ، وتخفيف الازدواج فــى مناهج التعليم الابتدائى الازهرى لافساح المجــال لحفظ القــرآن .

● تنظم ادارة الوعظ بالازهر قوافل للتوعيــةالدينية بمحافظتي اسيوط والمنيا ، وستعقد الندوات للحديث عن الجهاد والصمود والوحــدة الوطنيةومؤامرات اليهود عبر التاريخ ودور الشباب فــى المعركة وصور من البطولات الاسلامية .

● صدر الجزء الرابع من معجم الفاظ القرآنالكريم الذى أعده مجمع اللغة العربية .

يصدر قريبا عن المجلس الأعلى لشئون الاسلاميةالجزء الثانى من كتـــاب ((الغريبين)) لابى عبيد الهروى .

السعــودية : سافر وفد سعودى الى كل منتونس والجزائر يحمل المؤن والادوية والخيــام والمساعدات المالية للمتضررين بالفيضانات الخطيرةالتى حدثت هناك .

● قدمت المملكة العربية السعودية مبلغ ١٠ ملايين جنيه استرلينى لدعم الجيش السورى .

فلسطين المحتلة : بلغ عدد المهاجرين السوفييت٣٢ ألف مهاجر ، وهم يسهمون فى التقدم العلمى والفنى للعدو الاسرائيلى .

● فى أعقاب الحملة الاسرائيلية الأخيرة علىلبنان ، واستيلاء اسرائيل على بعض الوثائق الفدائية تشن السلطات الاسرائيلية حملة اعتقالاتواسعة النطاق داخل الأراضى العربية المحتلة .

سوريا : وصلت طلائع القوات المغربية التىأمر الملك الحسن الثانى بارسالها الى سوريــا للمرابطة على جبهة الجولان ــ الى دمشق خلال الأيام القليلة الماضية .

لبنـــان : قام الكوماندوز الاسرائيلى بعد منتصفليلة الاثنين ٧٣/٤/٩ بهجوم مزدوج تناول الاول نسف عدة مكاتب فدائية فى بيروت وقتل وجرححوالى ٥٥ شخصا بينهم ثلاثــة من قـادة فتــح والاخر فى صيــدا .

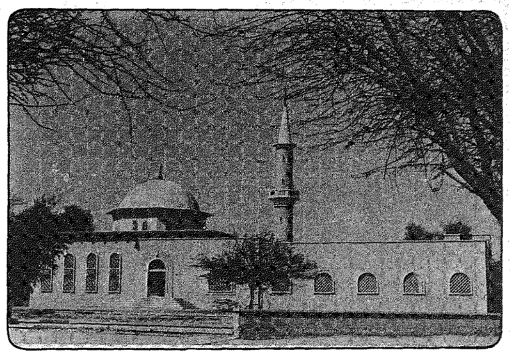
ليبيـــا : أنهى المؤتمر الاسلامى الرابع لوزراءالخارجية اجتماعاته بليبيا ، واتخـــذ القرارات الايجابية ، وأرسال وفد خماسى الى الفلبينلبحث أوضاع المسلمين هناك ..

وانتخب المؤتمر الأستاذ حسن التهامى أميناعاما للمؤتمر الاسلامى خلفا لتنكو عبد الرحمن . وفى خطاب القاه الرئيس معمر القذافى بمناسبةالمولد النبوى الشريف دعا الى تطبيق الفكر الــذى نادى به الرسول صلى الله عليه وسلم ومواجهــةكل فكر مخالف .

المغرب : يجب الا نتكلم فى منازلنا وفيما بيننا حيثماكنا باللغة الاجنبية عن لغتنا ، والا نراسل بعضنا ولا نقبل أى مراسلة الا بالعربية لغة ديننا ــ منالبيان الذى أصدره حزب الاستقلال المغربى ودعا فيه الى تعريب المغرب .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	ربيع ثان ١٣٩٣ هـ	مايو ١٩٧٣ م	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
الخميس	١	٣	٣ ٢٧	٥ ٥	١١ ٤٥	٣ ٢٠	٦ ٢٤	٧ ٤٩	٩ ٣	١٠ ٤١	٥ ٢١	٨ ٥٦	١ ٢٥
الجمعة	٢	٤	٢٦	٥	٤٥	٢٠	٢٥	٥٠	٢	٤٠	٢٠	٥٥	٢٥
السبت	٣	٥	٢٥	٤	٤٥	٢٠	٢٥	٥١	٠٠	٣٩	٢٠	٥٤	٢٥
الأحد	٤	٦	٢٤	٣	٤٥	٢٠	٢٦	٥٢	٨ ٥٨	٣٧	١٩	٥٣	٢٦
الاثنين	٥	٧	٢٣	٢	٤٥	٢٠	٢٧	٥٣	٥٦	٣٥	١٨	٥٣	٢٦
الثلاثاء	٦	٨	٢٢	١	٤٤	٢٠	٢٧	٥٣	٥٥	٣٤	١٧	٥٢	٢٦
الاربعاء	٧	٩	٢١	٠٠	٤٤	١٩	٢٨	٥٤	٥٤	٣٣	١٧	٥٢	٢٦
الخميس	٨	١٠	٢٠	٠٠	٤٤	١٩	٢٨	٥٥	٥٢	٣٢	١٦	٥١	٢٦
الجمعة	٩	١١	١٩	٤ ٥٩	٤٤	١٩	٢٩	٥٦	٥٠	٣٠	١٥	٥٠	٢٧
السبت	١٠	١٢	١٩	٥٨	٤٤	١٩	٣٠	٥٧	٤٩	٢٩	١٥	٤٩	٢٧
الأحد	١١	١٣	١٨	٥٨	٤٤	١٩	٣٠	٥٨	٤٨	٢٨	١٤	٤٩	٢٧
الاثنين	١٢	١٤	١٧	٥٧	٤٤	١٩	٣١	٥٩	٤٦	٢٦	١٣	٤٨	٢٨
الثلاثاء	١٣	١٥	١٦	٥٦	٤٤	١٩	٣٢	٨ ٠٠	٤٤	٢٥	١٣	٤٨	٢٨
الاربعاء	١٤	١٦	١٥	٥٦	٤٤	١٩	٣٢	٠٠	٤٣	٢٤	١٢	٤٧	٢٨
الخميس	١٥	١٧	١٤	٥٥	٤٤	١٩	٣٣	١	٤١	٢٢	١١	٤٦	٢٨
الجمعة	١٦	١٨	١٣	٥٤	٤٤	١٩	٣٤	٢	٣٩	٢١	١١	٤٦	٢٩
السبت	١٧	١٩	١٢	٥٤	٤٤	١٩	٣٤	٣	٣٨	٢٠	١٠	٤٥	٢٩
الأحد	١٨	٢٠	١١	٥٣	٤٤	١٩	٣٥	٤	٣٧	١٩	١٠	٤٤	٢٩
الاثنين	١٩	٢١	١٠	٥٣	٤٤	١٩	٣٥	٥	٣٥	١٨	٩	٤٤	٢٩
الثلاثاء	٢٠	٢٢	١٠	٥٢	٤٤	١٩	٣٦	٦	٣٣	١٦	٨	٤٣	٣٠
الاربعاء	٢١	٢٣	٩	٥٢	٤٤	١٩	٣٧	٧	٣٢	١٥	٨	٤٣	٣٠
الخميس	٢٢	٢٤	٨	٥١	٤٤	١٩	٣٧	٧	٣١	١٤	٧	٤٢	٣٠
الجمعة	٢٣	٢٥	٨	٥١	٤٤	١٩	٣٨	٨	٣٠	١٣	٧	٤٢	٣٠
السبت	٢٤	٢٦	٧	٥٠	٤٤	١٩	٣٨	٨	٢٩	١٢	٦	٤١	٣٠
الأحد	٢٥	٢٧	٧	٥٠	٤٥	١٩	٣٩	٩	٢٨	١١	٦	٤٠	٣٠
الاثنين	٢٦	٢٨	٦	٥٠	٤٥	٢٠	٤٠	١٠	٢٦	١٠	٥	٤٠	٣١
الثلاثاء	٢٧	٢٩	٥	٤٩	٤٥	٢٠	٤٠	١١	٢٥	٩	٥	٣٩	٣١
الاربعاء	٢٨	٣٠	٥	٤٩	٤٥	٢٠	٤١	١٢	٢٤	٨	٤	٣٩	٣١
الخميس	٢٩	٣١	٤	٤٩	٤٥	٢٠	٤١	١٣	٢٣	٧	٤	٣٨	٣١
الجمعة	٣٠	يونيو	٤	٤٨	٤٥	٢٠	٤٢	١٤	٢٢	٦	٣	٣٨	٣٢



مسجد سيدنا عثمان بن عفان

اسمـــه : عثمان بن عفان بن ابى العاص بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف القرشى الأموى .

مولـــده : ولـــد بمكـــة ..

اسلامـــه : اسلم بعد البعثة بقليل ، وتزوج بنتى النبى صلى الله عليه وسلم : رقية ، ثم أم كلثوم ، ولقب لذلك بـذى النورين ، وهو احد العشرة المبشرين بالجنة .

خلافتـــه : آلت اليه الخلافة بعد استشهاد عمر بن الخطاب سنة ٢٣ هـ ..

فتوحاتـــه : افتتحت فى عهده ارمينية والقوقاز وخراسان وكـرمان وسجستان وافريقية وقبرص ، وفى عهده تم جمع القرآن الكريم وكتابته برسمه المتداول والمعروف بالرسم العثمانى وهو أول من زاد فى المسجد الحرام ومسجد الرسول .

وفاتـــه : حوصر فى داره أربعين يوما ، وتسور عليـــه بعضهم الجدار فقتلوه وهو يقرأ القرآن فى شهر ذى الحجة عام ٣٥ هـ ودفن فى البقيع ومدة خلافته احدى عشرة سنة واحد عشر شهرا وايام .

« الى راغبى الاشــــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.

السودان : الخرطوم : دار التوزيع ــ ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيـــا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى ــ ص.ب : (١٣٢) .
بنغـــازى : مكتبة الخـــراز ــ ص.ب : (٢٨٠) .

تونـــس : مؤسسات ع بن عبد العزيز ــ ١٧ شـــارع فرنســـا .

لبنـــان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

عـــدن : مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).

الأردن : عمـــان : وكالة التوزيع الأردنيـــة : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جـــدة : مكتبة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦) .
الطائف : مكتبة الثقافة ــ ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبـــة الثقافة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

العـــراق : بغداد : وزارة الاعلام ــ مكتب التوزيع والنشر .

البحـــرين : المكتبة الوطنية : شارع بـــاب البحرين .

قطـــر : الدوحـــة : مؤسسة العروبة ــ ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبـــى : مطبعة دبى .

الكـــويت : مكتبة الكـــويت المتحـــدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية - الكويت